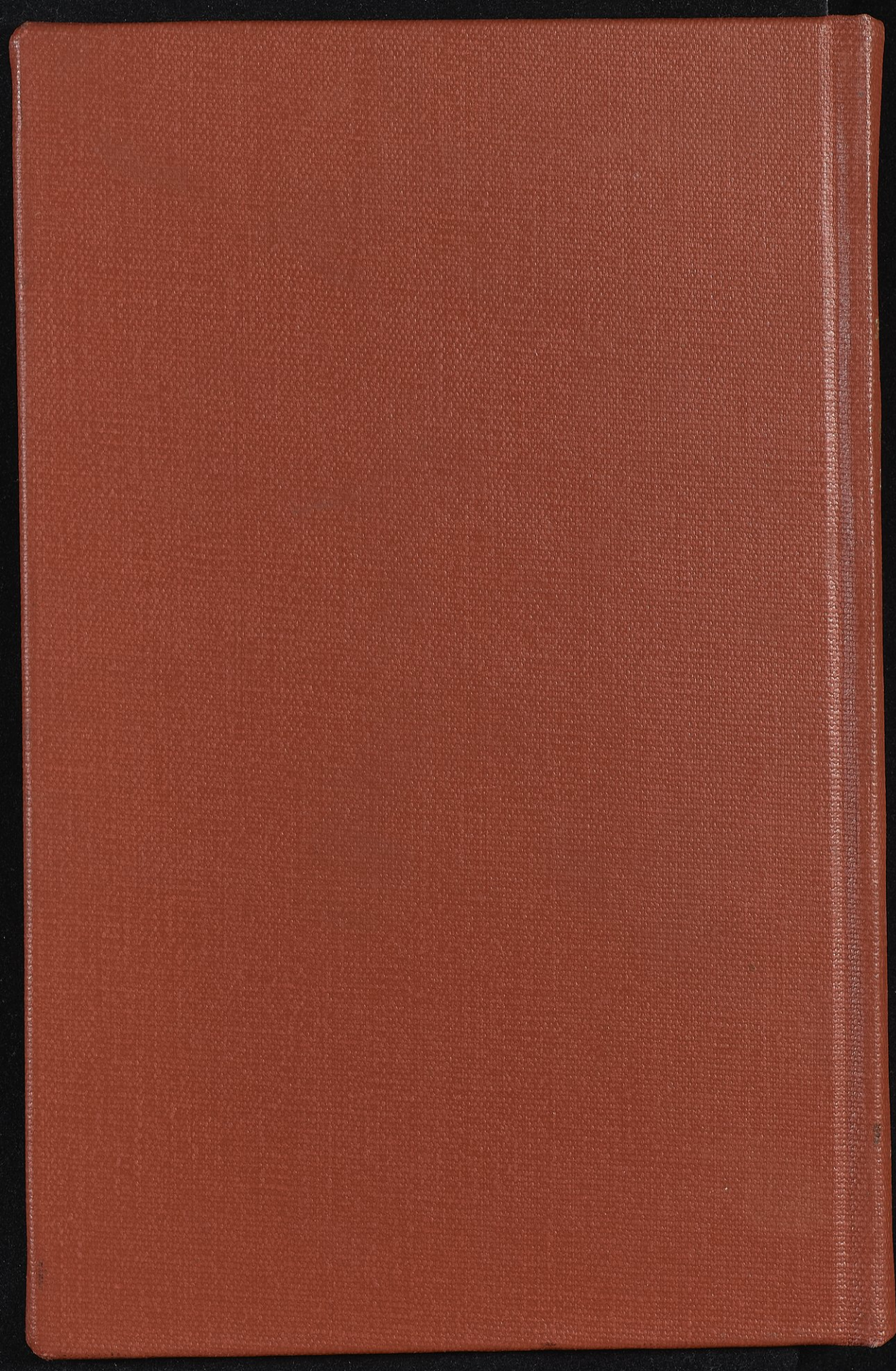
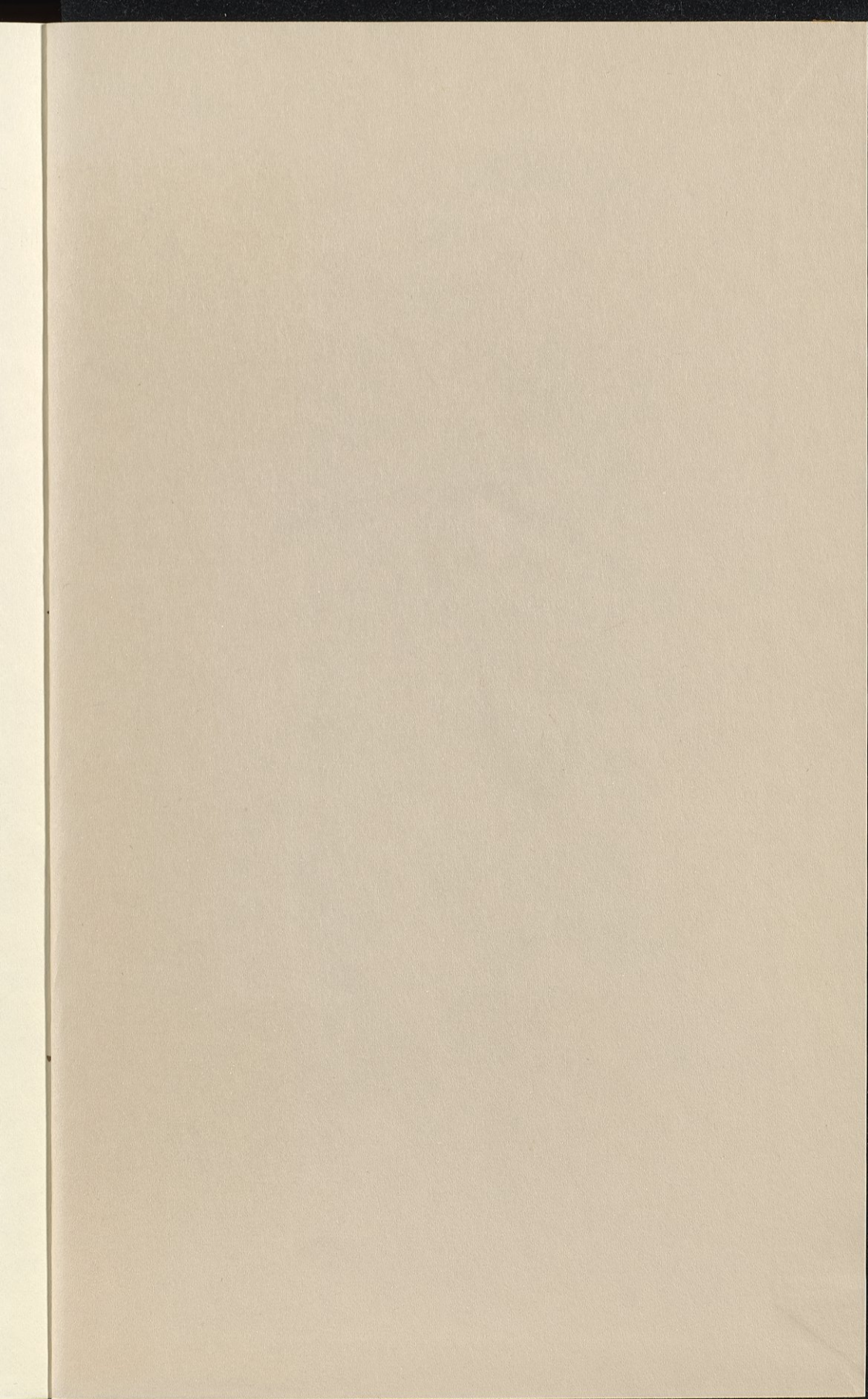


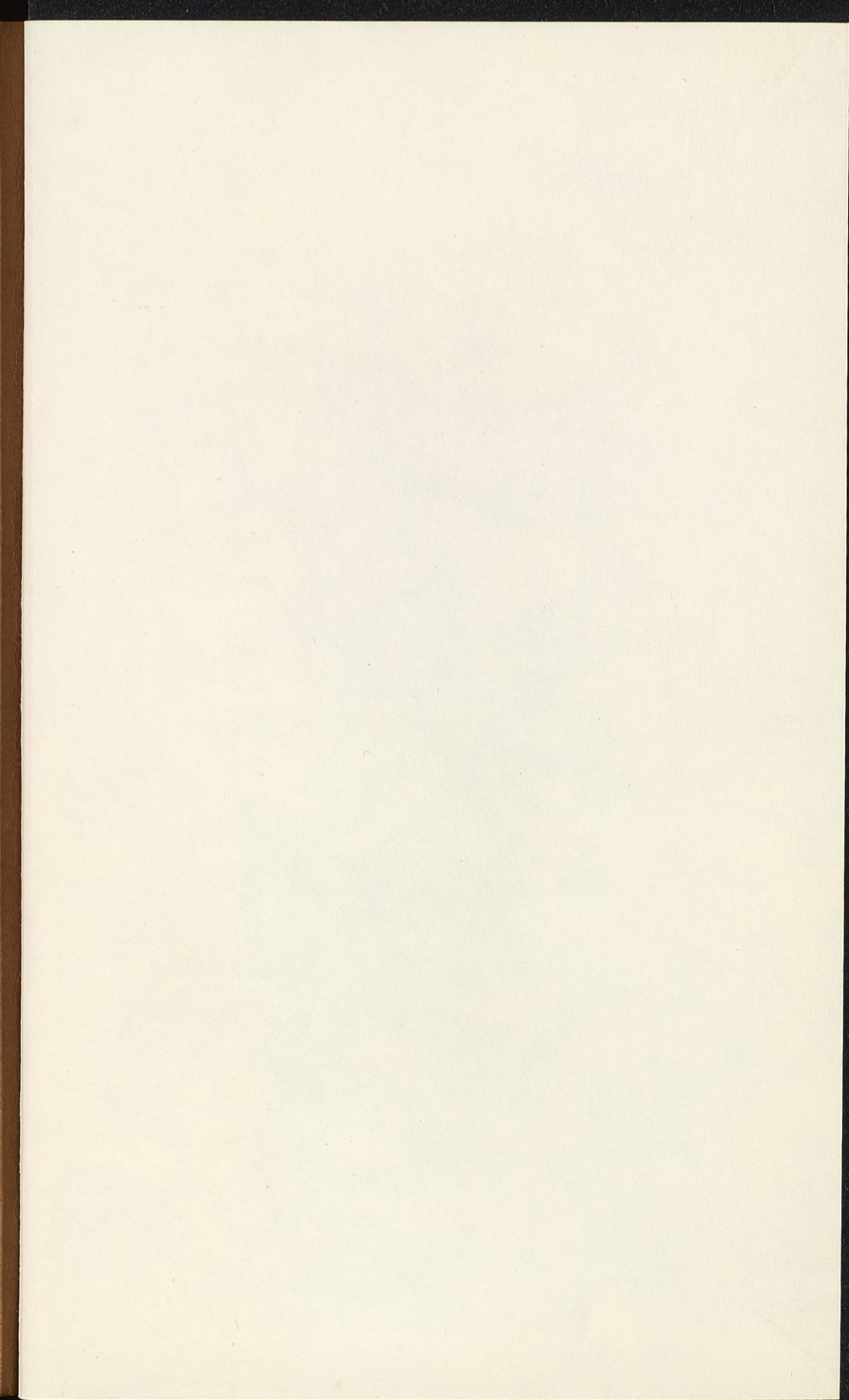


THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY

GENERAL LIBRARY

JAN 7 1976



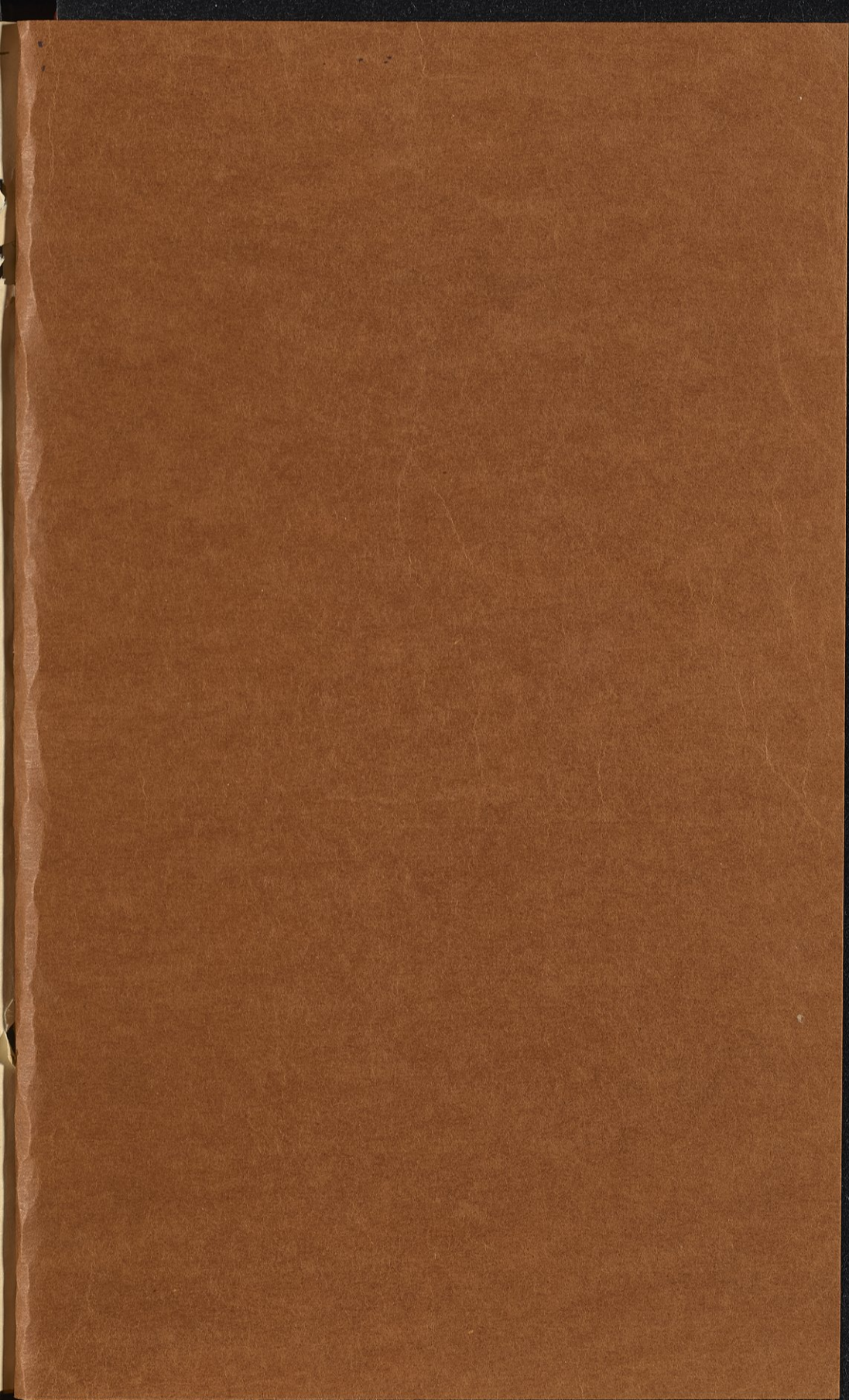


مردود

من مردود الشرب الى مردود الیوم

بقلم

الشيخ محمد بن عبد الله



مکتبہ الشاہ
دریں

سہ بدول العرب الی بدول یونان

بقلم

الشیخ محمد سلیمان

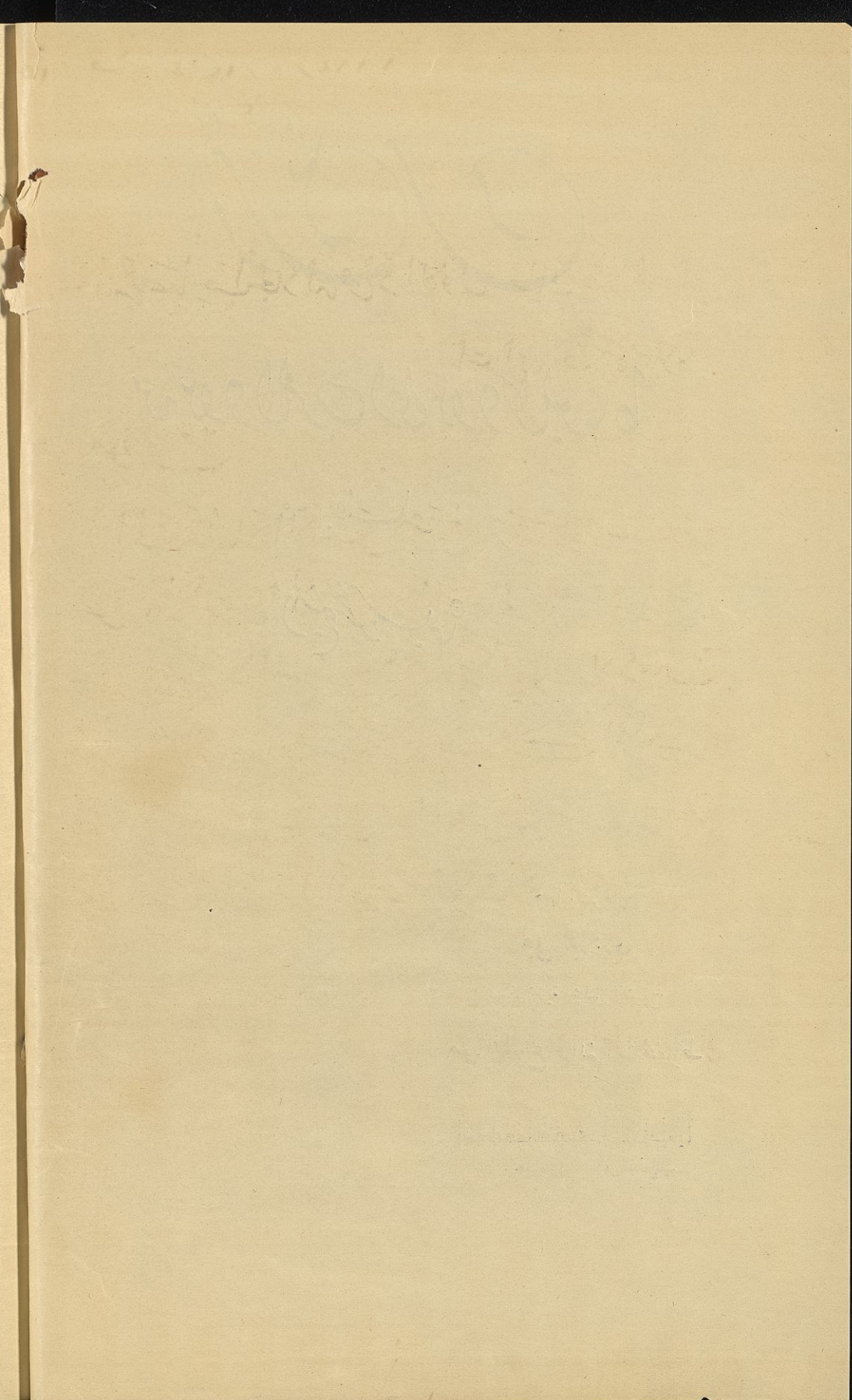
جمعہا ونشرہا

علی محمد ندوی

بمکرتبیرۃ مجلس الشیوخ

مصر الطبع والترجمۃ محفوظ

المطبعۃ السلفیۃ - واما ان یطبع
لصاحبہا محبہ الدین الخلیل



حَضْرَةُ صَاحِبِ الْجَلَالَةِ الْفَوَائِدِ الْأَوَّلِ مَلِكِ مِصْرَ الْمُعَظَمِ
أَعَزَّ اللَّهُ نَصْرَهُ وَنَعْلَاهُ

مَوْلَايَ ٢٢

إِلَى مَقَامِكَ الْأَسْنَى أَرْفَعُ رَسَائِلَ سَائِرِ
طُوفٍ فِي أَرْضِ اللَّهِ مِصْرَ بِلَادِ الْعَرَبِ إِلَى بِلَادِ الْيُونَنِ
وَمَرَأَى فِي هَذَا الْمُنْفَسَحِ ذِكْرَكَ وَذِكْرَ بَائِكَ الْأَكْرَمِينَ
تَرْجَمَةً أَنَا زَكْرًا وَمَا تَشْرِكُمْ بِلَسَانِ صِدْقٍ فِي الْأَخْيَرِينَ
فَكَأَنَّ مِصْرَ حَظَّ رَسَائِلِي أَرْزُقِ بِسَفِيهَا مِنْ نَوَاحِيكُمْ
يَعَزُّ مِصْرَ وَفَتْحَائِرَ لِلْعَرَبِ وَالْأَسْيَاحِ

الْوَلِيُّ الْأَمِينُ

محمَّد سليمان

الْفَهْلَةُ فِي ذِي الْحِجَّةِ ١٣٥٢ هـ

DS
49.7
.S84

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم الى يوم الدين

وبعد فاني دوّنت هذه الرسائل عن بعض أسفاري خدمة لوطني وتحقيقاً لمعنى السياحة التي حثّ الله عليها عباده المؤمنين . وسيجد القراء فيها مع لذة المطالعة وجمال الوصف ، مواضع للعبرة وعظات بالمقارنة ، وتوضيح حقائق جلتها الى المشاهدة ، وأفادنيها السير في الأرض حملتي على مراجعة التاريخ ومقابلة الروايات ، واستخلاص لبّ الحق من غلق الأوهام



وتسكاد الرسائل تكون مكتوبة بثلاثة أقلام . ولا عجب ، فتبعد ما بين تواريخها ، وتغاير الظروف والمناسبات في أوقات تحريرها ، وتوجه النفس يوم كتبت وجهة ما كتبت فيه . كل هذا جدير - وقد جمعتها دفّتان - أن يشتبه القارئ في انشاء الاقلام . ولكنها مع هذا أشبه بحبّات العقد ينظمها سلك واحد هو هنا روح الاخلاص ، وأمانة الرواية ، وقصد الخير لهداية السبيل

فالله أرجو أن ينفع بها . لوجهه تعالى قصدت ، وعليه توكلت ،

محمد - البجاني

هو حسبي ونعم الوكيل

في سوريا ولبنان

رسائل سائر^(١)

لله هذا الزمن ! لكأنه أمس القريب ذلك العام العاشر للماضي الزاغب في قبور الدهور وأنا أكتب هذه الرسائل (رسائل سائر) عن رحلتي في فلسطين ، فأمسك القلم اليوم كأني أتم رحلتي الى «سوريا ولبنان» مثمما يتم الكاتب تحرير تقرير عن عمل له يتولاه في أجزاء النهار ... ! وتحلل تلك الأعوام حجج الى بيت الله الحرام كتبت عنه «رسائل الحج» وكان الرسائل عن القدس والحج فصلان من كتاب أنا أمضى فيه لأتمه للقراء على مكنتي وفنجان القهوة أمانى والسيجارة في فمي ! ! الله هذا الزمن إنه يطوى العمر طياً . وإن دلالة هذا الطي لتبين على الكاتبين والمحربين أكثر مما تبين على غيرهم ، فإن قارئهم يستطيع بامحة أن يلم بآثارهم ولربما كان بين الأثر والأثر عمر إنسان . في حين أن غيرهم من المغمرين يطوى في جوف القبر طي القفّة من الخوص ، ما خلف أثراً ولا ترك شاهداً ، وقريباً من طيه تطوى العيون التي شاهدت جسده ونظرت حياته ، فمن بعدها لا يسمع عنه سامع ولا يدري بخبره حي

* * *

(رسائل سائر) عن فلسطين^(٢) و (رسائل الحج^(٣)) عن الحجاز

(١) كتبت هذه الرسائل سنة ١٩٣١ م

(٢) نشرت بعد هذه الرسائل (٣) ستجمع رسائل الحج في كتاب وحدها

أثران أنا أغدّي روحى بقراءتهما ، وأجد لذة فيهما تعلق بقرارة النفس ،
لأنّ القدس والحرم أثرهما عالق بالقلب والعقيدة . فهاهنا فيهما من
إحساس فائما يهزه بايقاع الراحة والارتياح والسكون الى مبعث ذلك
النور الذى نستضىء به فى حياتنا ليكون بصيرة لنا وهديا الى سبيل
السعادة الدائمة والنعيم المقيم ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله
بقلب سليم ﴾

فمن الطبيعى إذن أن تهتز النفس مرّة أخرى وتأرّز نواحيها لتفيض
على القراء ببعض ما تأثرت به من سير صاحبها فى الشام ، وبلاد الشام ،
ودخوله دمشق ، وحمص وحمّاه ، ومعرّة النعمان ، وحلب الشهباء ، وتعريجه
على بيروت ، وصيدا ، وصور ، وطرابلس ، ثم تطويفه ببلاد الجبل ،
وصعوده الى « أرز الرب » وتنشّقه أريج لبنان ، وسقيه من ماء العيون
وهي مشاهد ومناظر طالما صكّت أسماؤها الآذان منذ قرأ الكتب
ونظر الجرائد . وللتاريخ فيها منادح ومناوح . التاريخ المجنّح بعزّي
الدين والوطنية ، والتاريخ الجارى مع الريق فى مخارج الحروف العربية
حروف اللغة التى تتفاهم بها وأهل تلك الرقعة من الأرض مثلما تفاهم بها
آباؤنا وأجدادنا وأسلافنا الغارقون فى الأزل . خلّ عنك روابط
البشرية من تجاور ، وتصاهر ، وتمازج وتجاذب ، ومدّ وجزر ، ورباط
شدّه التاريخ المصرى شدّا من لدن المعز الفاطمى الى صلاح الدين الأيوبي
الى إبراهيم بن محمد على ، فكان هذا المجال كله مصرىّا ، وإن شئت فقل
شامىّا ، أو قل انه اسلامى وعربى ، حتى روى ابن بطوطة فى رحلته أن

البريد السريع كان يذهب من القاهرة - سرّة العربية - الى حلب على حدود بلاد السلاجقة في خمسة أيام وهي مسيرة شهر على ماقدّرهابه ذلك الرحالة ، أو مسيرة خمس وعشرين ساعة على ما تقارب بها الزمن في هذه الأيام

وإن زدت بسطة في روابط الحياة فهذه الأغذية التي ننسج بها أجسامنا ، طيّها من الشام ، وهذه النقود التي يتعامل بها أهل الشام يسمونها - المصارى - نسبة الى مصر السعيدة بلد النقد والغنى : وغذاء الأرواح من آثار الأدب في هذا العصر أو لست تراه عصيدة أكثر عناصرها من جلب الشام وبلاد الجبل ؟؟ والكتب القيمة التي تقرأها حديثاً وقديماً ويقرأها أبناء الشام قديماً وحديثاً وهي التي ربّت أبناء مصر وأبناء الشام أو ليست من نتاج هذه العربية المشتركة ؟ والدولة المنظّمة الاموية التي ولدت أول ما ولدت دولة في حجر الاسلام ، قامت أساسها واشمخر بنيانها في دمشق الفيحاء . وفي دمشق وعن دمشق انتشر الاسلام وبلغ من بلاد الله في مشارق الأرض ومغاربها ما لم يبلغ مثله في زمنها بعد أن ولّت ، بل ما حوفظ عليه من بعدها حفاظها هي على الفتح والاستعمار ودعم قوة الاسلام بقوة عربية خالصة لفت الأعجميات في طيّها لفاً لم يشقّ عنها إلا بعد أن شقّت لها اللحود وتواری أبناء العرب في أطباق الثرى . والشعر الشعر الذي درسناه وبني عقولنا ، ترى كم فيه من قصائد ومقطعات قيلت في الشام ، وجنّات الشام ، ومنتزهات الشام ، وقصور الشام ، ووقائع الشام ودول الشام ، ورجال الشام الخ الخ ثم جاءت بعد هذا رابطة العثمانية التي

حنت لها القلوب الضعيفة بعد أن دبّ الضعف والوهن الى أبناء الاسلام فكان المتوثقون بتلك العروة يحنّون الى حظائرها ويسكنون الى مساكنها مثلما يحنّ المحبّ المشوق الى آثار المحبوب وقد غيّر الزمن أو عدا عليه الزمان ، الى سنة ١٩١٤ قضت سياسة الغرب أن تبتّ باقى هذا الحبل وتقطع مافيه من ذماء ، ولكن سياسة الاجتماع وعوامله تأبى أن تبتّ بتّ السياسة أو تجارى تيار السياسة ، والسياسة وحكها على الشعوب أشبه الأشياء بالزبد الرابى احتمله السيل لا يلبث على ممرّ الزمن أن يكشطه الزمن فينجاب عن الوادى ويعود للوادى مظهره الذى يحجبه الزمن ، وهكذا دواليك الى أن يقف الفلك وتكور الشمس وتذكّ الارض ويأتى أمر الله

فالظواهر التى تبين بها بعض قطع الارض مما يسكنه الشعوب من أبناء الأرض ظواهر ستبديل حتما ، لا آثار باقية من مصادر فيها ثابتة . وطغيان الغرب على الشرق الآن أشبه شىء بطغيان الشرق على الغرب فيما مضى ، وليس هذا ولا ذاك أول طغيان ولا آخره ، وإنما الطغيان سنة من سنن العمران مثلما هو بين الغرب نفسه ، فان أبناءه يطغون فيما بينهم فتموت دول وتولد دول ، وتزول ممالك وتبنى ممالك . ومثلما هو بين الشرق مذ كان كالغرب ، كان فيما بينه متطاعياً بعضه على بعض الى أن جاءه الطغيان العام فتصاغر له وتطامن للغرب بمقدار الطور المقدّر له فتبديل الآية ويعود الطاغى مطغياً عليه والمطغى عليه طاعياً ؛ وهذه حال الاجتماع مصورة فى قوله تعالى «ولولا دفع الله الناس بعضهم

ببعض افسدت الأرض « فلذلك كانت الشعوب ، وكانت أرض الشعوب
وكانت مكونات الشعوب هي الأصول البواقى ، وما عداها ظواهر لا تخفى
الأصول ولا تبت ما بين الأصول

فاليوم حين تسافر للشام تستجيز مصر ، وتستجيز انكلترا ، وتستجيز
فرنسا . هذه الاجازات مظاهر أظهرت لك فرقاً عما كان لأبيك إذ يسافر
فيها كلها وكأنه ينتقل بين غرف داره بلا جواز ولا براءة ، ولكنها
ظاهرة لا تخفى أنك المصرى القديم وأن أخاك الشامى هو الشامى القديم لم
تتغير أصولكما ولا صناعت مكنوناتكما ، ونحن أبناء العربية وأبناء الاسلام
وأقول أبناء الاسلام ، لأن الاسلام لا يفرق عن العربية بل هو العربية
إن أردت أن تحقق مطعمه الأسمى فى توحيد شعوبه ، لاجنسيات بينها
ولا لغات مختلفات تقف تفاهمها ، ولا حوائل ولا حواجز إذ كان أبناؤه
جميعاً من مسلمين ومعاهدين إخوة كالجسد الواحد ، دارهم كلهم « دار إسلام »
بهذا الشعور ، شعور قارىء التاريخ والأدب ، وشعور العربى
القرشى ، وشعور المسلم الاخوى انتقلت الى بلاد الشام ولا أقول
- سافرت - لان السفر لا يكون إلا للخارج وأنت فى الشام لم تخرج
من مصر اللهم إلا أن ترى ما كنت تسمع عنه وما راء كهن سمعا

مشاهد وعبر

من تسع سنوات دخلت فلسطين وزرت بئر سبع أو آبار شعيب
فاذا بها بلدة قائمة في البر الأفيح ، متقاطعة الشوارع ، يجوز النظر فيها
أجوازها الى الصحراء فلا تصدّه إلا آفاق السماء . هناك على شارع
منصوص الى طور سيناء أشاروا عليه ، قالوا الى هذا شارع مصر . كذلك
سماء جمال باشا في أثناء الحملة التركية على مصر وأقام عليها بوابة كتب
فوقها هذا الاسم وقال لهم من هنا الى القنطرة ، فالقاهرة

وفي هذا العام قصدت الى سوريا ولبنان ، فبعد أن ركبت الاتومبيل
خمس ساعات من حيفا على ساحل البحر الابيض واجتازت عكا وصور
وصيدا ، لاحت لنا بيروت وشارفتنا ضواحيها حيث انبسط للاتومبيل
طريق معبدٌ مُقير على جانبيه الدور والقصور والحدائق والبساتين ، فاذا
ما وصلنا نحو البلد استقبلنا شارعٌ مستقيم ، عريض أزهر الجوانب ، في
بدئه غابة الصنوبر التي تنسب الى ابراهيم باشا ، وعلى جانبيه دور العظماء
والكبراء وقصر المندوب السامي . هنا قالوا لنا : هذا شارع الملك فؤاد
ملك مصر . إذ ذاك عادت الى ذهني ذكرى شارع مصر في آبار شعيب ،
وتقابل المعنيان على تضادّهما وتباعد ما بينهما ، ذاك شارع يحمل الإغارة
على مصر ، أما هذا فشارع الترحيب بأهل مصر ، وشارع يتلقى الوافدين
من هذه الناحية . ويشاء القدر المتصرف أن يسدّ شارع مصر في آبار
شعيب فلا تتجاوزه السابلة الى زمام البلدة ، أما شارع الملك فؤاد فقد

كتب له العزيز العليم أن يستقبل في كل سنة من رعية الملك فؤاد بضعة آلاف نسمة يدخلون بيروت وسوريا مملوئي الأوطية والجيوب بالأوراق والنقود ، فإذا ما أقاموا شهراً أو شهرين عادوا منه مملوئي الأوردة والشرابين بالدم والنشاط

ظاهرة هناك حقة لا ريب فيها ولا شبهة ، هي محبة أهل الشام لأبناء مصر . علل ماشئت فهذا الحب ظاهر ، وآثاره بيّنة ، ودلائله في المعاملات والمسائرات لا تحتاج الى تحشية . سواء كان ذلك للارتباط التاريخي من أقدم الازمنة حينما ملك فراعنة مصر بلاد الشام ، أو حينما ملك عمالقة الشام بلاد مصر ، أو لأن الذين يجيئون من الشام الى مصر ويعملون فيها يريد أغلبهم غنياً سعيداً ، أو لأن الذين يذهبون من المصريين الى الشام ينفقون فيها ما معهم ويعودون منه ببضائعه ، أو لأن اللغة واحدة ، والدين دين إسلام في غالبه وأهل كتاب محبوبيين في بلاد لبنان ، أو لاي سبب آخر مما ذكرناه هنا أو في مقالنا الماضي فالواقع أن المصريين محبوبون في هذه الناحية من رقعة الشرق الأدنى . وبحث ثم بحث فلم أجد أي فرق لي أنا ابن الوجه البحري بين الصعيد والشام . ثم بحث ثانية فوجدت أن مصر وفلسطين ولبنان وسوريا لحدود طبيعية ولا أشباه للطبيعة بينها ، وتكاد العوائد تستوى فيها ، واللهجات ان اختلفت في الشامية فهي لا تقل اختلافاً في أذن ابن الوجه البحري عن اختلاف لهجات الصعيد مثلاً ، وما هذه المسامح كلها إلا مساحة واحدة

يقوم لبنان فيها كما ينهد ثدى الفتاة على الصدر ثم تنبسط حوافه من قمته الى جلدة الصدر رويداً رويداً . وصفه في مصر بهرم مصر وان كان الهرم مديناً والجبل هناك واسعاً معبداً (١)

والكاتب المصرى اذا كتب عن زيارته في هذه البقعة من أرض الشرق العربى يحمل على أن يكتب كتابة الغبطة لا كتابة الحسد . الغبطة لأهل لبنان وأهل سوريا بحيث يتعمى أن يكون أهل مصر حالهم كمثل حالهم . والدقة في الرواية يجب أن نميز أهل الجبل في مقدار هذه الغبطة وفي رفعة حالهم عن حال أهل سوريا . أنا كاتب اجتماعي وكل همى في هذه الحياة أن أحمل قومي على انتهاج المثل الأعلى في الحياة وأن يستمتعوا منها بأوفر قسط يحصل لهم حظهم من الدنيا من غير أن ينسوا نصيبهم في الآخرة . أستطيع القول بأنى لم أر في لبنان فقيراً ولا قديراً ، وان أهل لبنان على ضيق الجبل قد استمتعوا من الجبل وانتفعوا بما في الجبل أتم متعة وانتفاع ، وأدوا في هذا أكبر واجب لأرض الجبل وجبل تلك الأرض . وهل كان يخطر بالبال أن تلف الجبل بالأتومبيل

(١) لبنان : قال ياقوت : جبل مطل على حصص ، يحيط من العرج الذى بين مكة والمدينة حتى يتصل بالشام ، فما كان بفلسطين فهو جبل الخل ، وما كان بالأردن فهو جبل الجليل ، وبدمشق سنير ، وبحلب وحماه وحصص لبنان ، ويتصل بأنطاكية والمصيصة ويسمى هناك اللكام ، ثم يمتد الى ملطية وسميساط وقالقة الى بحر الخزر فيسمى هناك القبق ، وقيل ان في جبل لبنان كورة لحصص جليلة وفيها من جميع الفواكه والزرع شيء كثير .

على طريق معرّج ملوئ صاعد هابط يمرّ على منتشر بيوته وقراه ، فاذا بالطريق كله معبد مقير ! واذا بالدور كلها نظيفة ظريفة ! واذا بالقرى كلها مضاءة بالكهرباء ، مجرور الى غرفها وصحونها الماء ! واذا برجالها ونساءها وأطفالها لا تقع العين منهم الا على مشرق نظيف ! ليت الفلاح المصرى يذهب مرّة الى الجبل ليرى المشقة والجهد فى الانتفاع بأرض ذلك الجبل . فعلى انحدار الجبل تقوم حوائط بالحجر كل حائط يحفظ الطين لشريط من الارض قد يضيق حتى يكون خطوة ، ثم تتدرّج الحوائط هكذا بأشرطة الطين الى قاع الوادى ، والشجر والزرع منتشر فى هذه الأشرطة بنظام و نظافة كأنها طبيّات ذيل « الفستان »

ويظهر لى أن الذين يحكمون على الشعوب مما يبدو على بعض جواليهم هنا ، لا يكونون على شىء من الصواب . هنا كنا نرى فى بعض الشاميين من معاملاتهم وألفاظهم ما يظنّه المقصر فى الحكم عنونا على أهليهم ولكن مشاهداتنا كلها فى سوريا ولبنان جعلتنا نتمنى أن يكون المجتمع المصرى على مثال ذلك المجتمع . هناك تألف وتعاطف بيدوان للعين ، لا تسكاد تجلس بين قوم حتى تتعارف معهم . وخلق المرح فاش فيهم ، ونحن هنا خصوصاً فى طبقة الاوساط يكاد الخلق الانكيزى يعمننا ، تدخل الترام أو عربة سكة الحديد وربما مرّت الساعة والساعات ولا تكلم من معك وقد لا تسلم عليه ، ولا أثر لهذا هناك ، فالسلام والتعارف أول ما يبدأ بهما الناس . وكنا نمرّ على الصانع ورزقه من صنعته ، فاذا به يتركها ويقوم معنا بنفسه ليرشدنا عما سألنا ثم لا ينصرف حتى يقول لنا أو لكم خدمة

أخرى؟ وتساءل التاجر عن شيء لا يكون عنده فيقول لك هو عند جاري ولا يفعل كما يفعل بعضهم هنا يقول (اتفضل أجيئو لك من المخزن) وهو يأتي به من عند جاره ليكسب عليه ! . وفي يوم الأحد رأينا يروت كلها مغلقة إلا من ليس مسيحياً ، وفي يوم الجمعة رأينا دمشق كلها مغلقة إلا من ليس مسالماً ، وفي هذين اليومين يتمتع أهل العطلة منهم بأحسن المتع ، يتنزهون ويخرجون الى الرياض والبساتين طربين مرحين . في حلب كنا نمرّ بالنهار على القهوات فلا نكاد نجد كرسيّاً مشغولاً ونمرّ عليها بالليل فلا نكاد نجد كرسيّاً خالياً . والفقر يشارك الغنى في حاجات العيش ، قال لي صاحب الفندق وكان قد استوطن مصر سنين : هنا يسيدي لا يكاد الغنى يجد سيلاً الى صرف ماله ، فلذلك لا تكاد تجد فرقاً بينه وبين الفقير لأنهما يحصلان معاً على اللبس واللحم والخضر والفاكهة . وكذلك قال لي صديق مطلع من أهل دمشق أنه لا دين عليهم وأكثرهم مدّخر . وهذا العام لم نر أثراً للأزمة في الشام ، وأسباب الرخاء قائمة به ، بل علمت أن حكومة سوريا تشغل العامل بليرة في اليوم وكانت قيمتها أيام كنا هناك ١٦ قرشاً مصرياً . وصاحبي الذي يحدثني وقد أراني بيته الظريف النظيف في دمشق عرفني أنه في مصروفه اليومى لا يزيد على ربع ليرة للحم والخضر والفاكهة . وكنا يوم الجمعة في حلب في أعظم متنزهاتها واسمه « السبيل » ويشبه قهوة البحيرة التي في حديقة الحيوانات عندنا ، جلس بجوارنا رجل لطيف نظيف الثوب حسن التكلم طلب ما طلبنا من قهوة وشيشة وظننا لما بدا من حديثه ولياقته

رجلا عظيما . أفيدري القارىء من هذا ؟ فى ثانى يوم كنا نتفرّج على قلعة حلب فاذا بصاحبنا هذا نجّار فيها وهو الذى تعرّف علينا ، فترى من متعته فى يوم الجمعة هذه ؛ وهى متعة شائعة بين طبقته ، أنهم لا يتأخرون عما أخرج الله من الطيبّات والراحة فى أيام الجمع . وتركب الاتومبيل فترى السائق نظيفاً ، ثم لا يكاد ينطلق بك الاتومبيل حتى تراه يشدو ويغنى غناءً طروباً ، فاذا قعدت للراحة فى مقعد قعد معك وطلب كطلبك فتكلمه فلا تجده قليل الفكر ولا سقيم المعرفة ، بل ندر أن تجد فى جنوبى لبنان من يجهل الفرنسية . ويظهر لى أن الفرنسية متغلبة فى لبنان بأدائها وتقاليدها أكبر تغلب فى الجنوب ، وفى الشمال تغلبها قليل ، وفى الشمال تجد ظهور رجال الدين المارونيين ظهوراً يديناً

وفاتحة التخاطب بينهم كلمة « يا حَبُّوبى » وقلّ ألا تسمع من كل من تخاطبه كلمة « تُكْرَم » وكلمة تكرم هذه تسمعها من الصغير والكبير والرفيع والوضيع ، تطلب من أى انسان ما تريد فيقول لك « تكرم » ، فهذه الكلمة الحبيبة دائرة على كل شفة ولسان

في دمشق الفيحاء

معاوية وقبره

تذكرون كسرى وقيصرودهاءها ، وعندكم معاوية ؟

(عمر)

انى لأرفع نفسي من أن يكون ذنب أعظم من عفوى ،
وجهل أكثر من حلمى ، أو عورة لا أوارىها بسترى ، أو إساءة
أكثر من إحسانى (معاوية)

سيدنا معاوية أمير المؤمنين ، كاتب الوحي ، وصهر الرسول ،
والعربيّ الداهية الذى وضع أساس السياسة الأرضية فى الدنيا لبناء الممالك
وقيادة الشعوب ، وأوّل مسلم أسّس للإسلام دولة وأقامها ملكاً عضوضاً
راسياً على قواعد تجبّه الزمن وتلاقى أحداثه ، والذى أقام فى الشام أربعين
عاماً مدّة إمارته وملكه فنشر الإسلام فى هذا الشمال الغربى من آسيا
وغزا الروم فى البرّ وفى البحر واستولى على الأرض والجزر ، والحليم
الثابت النفس ثبوت الجبال فى أهوج ثوران الريح حتى روى أنه أتاها فى
ليلة واحدة أن قيصر قصد له فى الناس ، وأن نابيل بن قيس غلب على فلسطين
وأخذ بيت مالها ، وأن المصريين الذين كان سجنهم (فى دم عثمان) هربوا
وأن سيدنا عليّاً سار له فى جمعه . تلقى هذه الأحداث فى ساعة واحدة
من منتصف الليل فلم يطر لها جانب من جوانب نفسه ، وخرج منها
كلّها سليماً ظافراً

شيخ الملوك الذى حضّر دمشق واتخذها قاعدة للإسلام فلم تلبث أن
كانت بجمع حواسّ الاسلام الخمس ومهوى الأئمة جميعاً للمسلمين أجمعين

وبعد أن كان أميراً خليفة صار مشاقاً خليفة ، ثم صار هو الخليفة حوالي عشرين عاماً أى نصف ما ملك وتأمّر ، وأيامه كلّها أيام فتح للإسلام ، حتى أيام الشقاق مع سيدنا على لم تلبه عن الإسلام ، وكتابه الى هرقل حين هم بالخروج عليه منتهزاً خلافة مع على كتاب خالد يصح أن يكون حديثاً يتلى لخدّام الوطنية في كل زمان ومكان (١)

معاوية الذى أغلظ له رجل فأكثر فقيلاً له أتحمّل عن هذا ؟ قال « أنا لا أحول بين الناس وألستهم ما لم يحولوا بيننا وبين ملكنا » فوضع بذلك حرية القول وسياسة النقد للرعية في حدود النظام العام والألّا يتخطوا حائط الملكية ، كما وضع أساس السياسة العامة في جميع حركاته وسكناته في لين بلغ من حنوّه أن لو كان بينه وبين الناس شعرة ماقطعت ، فتلقي عنه كل ملك في الأرض كل قاعدة يحفظ بها ملكه ويصون سلطانه . ومن هذا ولعظمته في دينه ، وفي نفسه ، ولصبره من نبيه لقب . ويقول عنه « ابن القيم » دائماً - « خال المؤمنين » إن كاتب هذه الرحلة شريف حسيني ، من نسل سيدنا على ولكنه مسلم سني على عقيدة السلف الصالح ، يحب الصحابة ويحلمهم ، وينشد

(١) بلغ معاوية أن هرقل هم بالخروج للشام لما بلغه خلاف واليها معاوية مع على فكتب اليه معاوية يقول « تالله لئن تمت على ما بلغني لأصالحن صاحبي ، ولأكونن مقدّمته اليك ، ولأجعلن القسطنطينية الحمراء حمة سوداء ، ولأزعجنك من الملك نزع الإصطفيانية الجزرة » ولأردنك إريسان الأراصة ترعى الدوابل

في الخلاف الذي وقع بينهم قول صاحب جوهره التوحيد :
 وأوّل التشاجر الذي ورد إن خضت فيه واجتنب داء الحسد
 ولذلك فسرعان ما دخلت دمشق حتى كان أوّل همّي فيها أن أرى قبر
 أوّل من نوّه باسمها ، وأزهى في الإسلام قدرها ، وجعلها بحق أوّل
 عاصمة للخلافة الملكية ، وخلف فيها خلائف رفعوا قدرها ، وأبقوا
 ذكرها ، فذهب بي دليلي إلى قبره خلف المسجد الأموي من بابة الشرقي
 فإذا بقبر مترب في قاعة مهذّمة يخدمه شيخ مقعد ! ثم ذا كرنا أديب
 دمشق الشيخ عمر الطيبي محرر « الف باء » فعرفنا أن هذا قبر معاوية
 الصغير أي ابن يزيد بن معاوية ، أما قبر شيخ الملوك فهو بمقبرة الباب
 الصغير على المشهور ، وعلى ما ظهر من وثائق أخرى فهو تحت قبو
 زاوية « السنود » الموقوفة على أهل السند . وفي ثاني يوم زرت المشهد
 فحدّثني قلبي أن معاوية بقبر القبو مما أحسسته بالروح وإن كان القبران
 مقبورين بلا اعتناء

لست من عبّاد القبور ، ولكن مشاهد العظماء ذكريات الأبناء .
 والامة الإسلامية التي يزدهي تاريخها بآلئ العظمة من نفوس قوّادها
 جديرة بأن تكون جوهره هذه الآلئ غير مطمورة دونها ، ولذلك
 كاشفت السيد الأملعي الجليل رئيس دولة سورية الناهضة بأمنيّتي وبشبه
 معتبتي أن لماذا لم يكمل الرئيس ما قصّر فيه أسلافه فتكون قبة معاوية
 منار العاصمة وقد ورثها السيّد في هذا الزمان ؟ ومع أن الشيخ تاج الدين
 شريف حسني من نسل عليّ ، والقائل له حسيني يجتمع معه في الجهد

المكرّم الذى نازعه معاوية ، فكلانا من سموّ النفس وعصمة الدين بحيث توافقنا على العناية بهذا الصحابيّ الهام . وقال الرئيس : إن هذا يحتاج تحقيقاً تاريخياً عن مكان القبر ، وسعة ماديّة يُنفق منها على ما يليق بصاحبه ، وزمن الدولة اليوم لما يناسبه هذا المقام

أطلت الكتابة في قبر معاوية ولكن الحقّ أنّه كانت بي نزعة في سياحتي أن أزور في الشام قبر معاوية بدمشق ، وقبر خالد بن الوليد بمحص ، وقبر أبي العلاء بمعرة النعمان . لنكون قد وقفنا على مشهّد أعظم ملك ، وأشجع قائد ، وأكبر فيلسوف . وقد وقفنا ورأينا في تلك الحفائر كيف هي قدرة القادر ، وكيف يجتمع الأوائل بالأواخر في هذه المصار

أقدم مدينة بلا آثار

قالوا إن دمشق الشام أقدم بلد على ظهر الأرض اليوم . وكان من حقّ هذا القدم أن يزخر ذلك البلد بآثار الأوائل ، ويكون فيه من مدور التاريخ ما يتلاقى وهذا القدم ، إلا أن دمشق خلوت من هذا المقتضى فافيهما من أثر سابق على تاريخ الفتح الاسلامي اللهم إلا كنيسة وطينة تحت الأرض تدعى كنيسة « حنانيا » زرناها في حيّ المسيحيين ، لالحمة عليها من قدم إلا أن تنزل لها في درج بالقدم ، ويدكرون أنّها مذكورة في الإنجيل وقد طبع أهل الدار التي تغطس الكنيسة تحت فنائها صفحاً من الإنجيل فيها ذكرها . وما بعد هذه الكنيسة من آثار فندر أن تراه إلا بقايا جذوع من أساطين حجرية في بعض جدر من بيوت

دمشق قال لي عنها دليلي إنها بقايا الأعمدة التي كانت الشوارع بينها مغطاة بأقبائها فاستقامت آثارها اليوم في جدران الدور

ولكن ابن بطوطة ذكر هذه الشوارع المقيمة ولا لحة عليها من آثار الأول . وقطعت دمشق من شمالها إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها فإذا بها بلد خلو حتى من آثار الأمويين الذين أقاموها وشادوها وزخرفوها ، لم يبق لهم فيها أثر إلا مسجد الوليد بن عبد الملك ، وجدره على ما يظهر قديمة من قبل الاسلام

وتعجب للرومان الذين خلدوا وشاهدتهم في كل مكان حتى في صحراء لبيداء وبلاد شرق الأردن وفي فلسطين وغيرها كيف خلت ضفاف « بردى » من آثارهم وتعرّت أقدم مدينة من بقاياهم . نعم ان العباسيين هدموا آثار الأمويين ، ومن عجب أنهم لم يتركوا بدمشق أثرا



واجهة من المسجد الاموى

وآثار دمشق الباقية فيها اليوم تبتدىء من صفحة الفتح المصرى
من أيام الملك العادل أخى صلاح الدين الأيوبي ، فدمشق تكاد تكون
أعلامها من صنع الملكين العظيمين العادل والظاهر بيبرس ، أما قصور
بنى أمية ، والخضراء التى كانت حيزهم قبلى الجامع الأموى ، والمغاني التى
تغنى فيها شعراء العرب وأدهش الأمويون بها ألباب بواديهم فقد أتى
عليها بنو العباس بلا ذنب للآثار ولا جريرة للمشاهد . ومن يذكر هذا
التاريخ تذكره ثورة نفسية على عماله وعلى كاتبه . نعم قد يجوز للدولة
الناشئة اذا غلبت دولة أخرى أن تستأصل رجالها وتحلّى وجه الارض
منهم ولكن هدم المشاهد والآثار إنما هو افتيات منهم على التاريخ
وإفقاد لحققة قد تكون ثمينة من سلسلته المتسلسلة الى ما يأتى بعدها
من الأجيال . ثم ان المحل لهذا قد يتوسع الى جواز ذلك الهدم ولكن
بالإجماع لا يقول عاقل بنش قبور الموتى واستخراج عظام الهالكين
يحرقها ويذروها فى الريح كما فعل بنو العباس بأحداث بنى أمية ، بل إنى
لا أرى فى تلك الفعلات جرأة على الله كيف ينتزعون عبيده الذين توفاهم
إليه من بين يديه وهو المختص بحسابهم ومجازاتهم ويعاقبونهم هم بتقدير
المخلوق العاقى

وماذا على من هذا كله ، ولكن دمشق فى منظرها اليوم أشبه
ما تكون بالعجوز عليها آثار الجمال الماضى ، أو بالأطلال تنبىء عن ثراء
الذين حلّوا بها وارتحلوا ، وحينما تمر على مراكز الأسماء الأولى تأخذك
هزة اذا قيل لك : هنا باب جيرون ، أو باب الميدان ، أو باب البريد ،

أو باب الجابية ، وطالما تردد على لساني هذا البيت :

ما بين جابيتها وباب بريدها قريغيب وألف شمس تطلع
والترك الذين بقوا فيها مئات السنين لا أثر لهم إلا «تكية» للسلطانين
سليم وسليمان إن لم تتداركها يد العناية أخذتها يد الإهمال ، وهناك مسجد
يسمى مسجد «سنان باشا» بديع عليه مئذنة مغطاة بالقيشاني هي المئذنة
الوحيدة التي رأيتها فيما رأيت من بلاد الاسلام مكسوة بالقيشاني . وقد
أتت الثورة الأخيرة على كثير من دور دمشق فهي خراب قائم ، ولكن
الشهادة لله أن دولة سوريا ناهضة اليوم عاملة لمجدها ناصبة ، فدار الجامعة
جديدة بجوار تكية السلطانين ، ويد العمار سائرة في الشوارع . واستوقف
نظرنا هناك ثلاثة معاهد مصرية هي خمر دمشق اليوم ومعقد العز لدولة
سوريا . دار الحديث ، وفيها يقوم الشيخ الزاهد محدث الشام السيد بدر
الدين الحسني ، وقد رأيناه وسمعنا حديثه في المسجد الجامع . ودار الكتب
وهي في المدرسة الظاهرية التي بناها الظاهر بيبرس على قبره ، وقامت
اليوم قاطر الكتب أغطية للضريح ، كل قطر على واجهة تغطيه ،
فلم أر مدفونا أفضل من الظاهر في قبر من علم . ودار الآثار تجاهها في
المدرسة العادلية ، وهي دار ناشئة من يدخل في القاهرة دار الآثار
العربية أودار الآثار المصرية يتصور قليلا ضخمها بجانبه بعوضة صغيرة
ولكن الاستاذ محمد كرد علي وزير المعارف السورية يملأ ماضغيه بهما
خراً وأذان سامعيه صرخاً ، ولوطوعت لي نفسي أن أجابه بالنقد على
تقصيره ففعلت فها نذا أبلغه في كتاب . نعم لما زرنا هيكلك بعلبك وهو

في حكومة لبنان أشبه ما ينطبق عليه مثلنا العايم (كالليمونة في بلد
 قرفانة) وجدنا جمهورية لبنان محتفلة بهذا الهيكل أيما احتفال حتى
 جعلت رسم الدخول اليه جنيهاً سورياً دفعته على ظن أن أرى وراء
 الجبل ما وراءه ، ودفعت نصفه لدليل زعموا أن إن لم أصحبه ضللت ،
 ووجدت الجند والجباة على الأبواب ثم دخلت وخرجت فوجدت
 الكراسات المطبوعة عن الهيكل بالصور والعلوم تباع على بابها ، فكان
 من هذا الاحتفال وهذا الطبع تغطية لضالة مارأيت ، واستفادة
 على الجملة عوض ما دفعت ، ولكنك لا ترى عن دار الآثار الدمشقية ،
 ولا عن قلعة حلب الشهيرة التي وضع المجمع العلمي يده عليها ، وهي
 ذات قيمة كبيرة رومانية واسلامية . لا تجد هنا ولا هناك دليلاً
 ولا مطبوعاً يفيد أو يعيد . وقلت لكرد على أفندي : كنا ننتظر
 منك يا سيد أن تكتب عن دمشق مكتوباً يفيد زائرها ويدلُّ الغريب
 عنها دلالة الفائدة التاريخية فيعرف من مواضعها اليوم ما كان مشهد
 التاريخ بالأمس ، ويعود من بلدكم مضاعف العلم بما قرأ عنه في التاريخ
 والأدب . فقال الوزير : لقد وضعت خطط الشام وكفى . وخطط الشام
 كتاب في التاريخ كل ما فيه من تعب أنه قرأ وأكثر ، ثم اختار وكتب ،
 أما دليل دمشق الذي أقترحه فهو تحقيق علمي عملي ، لا يضعه إلا شديد
 القُصْرَيْن ، قوى أمين ، والمظنون في هذا والأولى به كان يكون من
 يتصدَّر لرياسة المجمع العلمي في دمشق ، وهو مجمع أعطينا مذكرة عنه فإذا
 بأعماله كلها كلام في كلام . واليوم يطبع تاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر في

جملة أجزاء أظنّ لو نشرت ورقاتها متلاصقة لغطت صفحاتها مدينة دمشق بأسرها من الغوطة الى قيسون . فرد واحد يقوم بهذا المجد المتوحد لمدينة غارقة في القدم كلما طواها الزمن نشرها ابن عساكر ، أفلا تقوم وزارة المعارف السورية بجزء من هذا المجهود تحفظ به حياة عاصمتها الحالية ؟ بل الجامع الأمويّ درّة التاريخ الاسلامي لامرشد فيه ، ولا كتاب مختصراً عنه ، ولا صور تباع ببابه ، ولا طائر ينشر له ، وهو في دمشق بقية النسر التي تعلوه علم من حقّه على جبرته أن يكون له معلم . إنّ دمشق أكبر من بعلبك ، وجامع أمية أمكن من هيكل هليو بوليس فهل لدمشق ومسجدها رجل كالذي كان لبعلبك وهيكلها ؟
لعلّ السيد الأملعيّ رئيس الدولة السورية يوعز الى وزير عنده بهذا المقام

قبور الخالدين . وقصور الفانين

خلت الديار فلا حديث لسامر . فالخضراء التي اتخذ الامويّون منها جنان الخلد في دمشق . وقصور بني حمدان التي استبق المتنبي ومنافسوه الى ذكر أسيادها ومبانيها . ومشارف العزّ التي أقامها الرومان بمحمص وقام هرقل يودّع سوريا على ذراها وداعه الذي لاقاه بعده . وبدائع الصالحية وشقائق المعرة واللاذقية . والمُلك الكبير الذي تحدّث ابن بطوطة أنّه شاهد مشاهده في تلك الرقعة من أرض الله من حيفا الى حلب وما والاها

في قلب آسيا وبلاد العرب - جميع تلك الآثار أتى عليها مديبل الدهور
وهادم الدول ، وتقلّبت بها الأيام كما يتقلّب الليل والنهار على أديم الكرة
فلا بقاء لها إلا بالذكرى إن كانت تجدى ، وليتها ذكرى المواقع والمعالم
ولكنها ذكرى الكتب والطروس

اليوم ترى الأرض غير الأرض . وهذه بيروت التي رآها شيخ
السائحين قرية صغيرة أصبحت اليوم درّة الدولة الناهضة في ثغور البحر
الابيض ، وكانت الحرب العامة نعمة عليها بما نزل فيها من خراب
ولجمال باشا الطاغية فضل التجديد والتمدين على تلك المدينة وغيرها بما
لا ينساه إلا جحود . وإذا خطر ذكر جمال باشا فالسائح في الشام لا يمكن
أن يغفل هذا الاسم المدوّى به الآن ، ولعل ذلك للإثار التي أبقاها هناك
وأكثرها تراه في المدائن من شقّ الشوارع وإقامة معالم العمران ممّا
لا يبعد معه تصديق الرواية التي يتهامس بها أهل العلم بالتاريخ ، قالوا إن
فكرة نبتت في رأس جمال باشا أن يستقلّ ببلاد العرب ويتوج عليها
ملكاً ، وساعدت الباشا على فكرته دولة ترتخص الذهب في نيل مآربها
ومن هنا كانت مشروعاته في البلاد مشروعات من يمى نفسه بأرثها ويعقبه
ذريته . ففي برّ السبع وعزة ويافا وبيروت ودمشق وحلب رأينا بأعيننا
أفخم شوارعها وأكبر ميادينها تحمل هذا الاسم . بل في العريش نفسها
وفي دار «المحافظة» بها لا يزال نصب رخامى قائم على برّ محفورة فيها
مكتوب فيه بالرخام اسم جمال باشا ، والماء الذى كان يُطلع العروق في
خدود أهل حلب من بدء التاريخ ، جمال باشا هو الذى صرفه عنهم وساق

لهم غيره صافيا ، وفي بيروت رأينا الدار التي يسكنها المندوب السامي لا تكاد العين تحويها خامة وجلالا ، وفي القدس دار المندوب السامي على سفح هضبة الزيتون دار قوراء تحكى لك حديث الف ليلة وليلة . فهذا مارأيناه وغيره مما لم نره صنعه جمال باشا القائد الهائل لجمال باشا ملك الاحلام : نعم فان أحلامه رؤيت باستانبول وعرف بها إخوانه الترك فارادوا أن يأخذوه أخذ عزيز مقتدر فسبقهم هو الى جعلها أضغاث أحلام وساق شباب العرب فشنتهم في ساحة البرج ببيروت على أنهم أرادوا الفتنة والانشقاق فعاقبهم بالشنق والاعدام ، وطار حلم ملك العرب من رأس جمال باشا الى حين لم يطل كثيرا حتى أطار الأرم من رأسه بما حمل ، وطوى الكتاب وأسرع التاريخ خطاه الى أعماق النسيان فلا ذكر له اليوم الا كما يذكر الأموات ! وحديث جمال باشا هذا يجر بنا الكلام الى حديث سبقه في طالعة الحرب حيث كانت الدولة التي ترتخص الذهب تريد أن تعيد ملك الفاطميين الى ورثة الفاطميين من بنى العرب وأن يكون سيد القاهرة سيد العرب كلهم ؛ ولكن خصما ثالثا دخل في الدعوى فأبطل القضية من أساسها ؛ وإن كن بعض ما يحدث في هذه الأيام يراد به على ما يقال أن يفتح الباب لتحقيق بعض الأحلام وإخراجها الى عالم الوجود بعد ما ظهر من « صقر الجزيرة » أنه نسي وكره الأول وأراد أن يستبدل به ما لا يصح له ولا يمكن أن يكون ، ولكل نبا مستقر ، وسترينا الايام من أعقابها ما تبديه الأراهيص في مبدئها والكتاب لا يسبق التاريخ ، وليس المقام للشرح والتفصيل فضمير الغيب مجهول ،

و نعود للرحلة فنقول : ان قصور الفانين عفاها البلى ولم يبق إلا قبور
الخالدين ، وفي دمشق الفيحاء زرت قبر (صلاح الدين) صلاح الدين الذى
انتقل له ملك الحديد أو سيّد الحرب كما كانوا يلقبون الامبراطور غليوم ،
ووضع عليه إكليلا من البرونز كتب عليه الكلمة الصليبية التى لا تصهر
ولا تلين ولا تبديل لها ولا تحويل (إلى الملك الحيدى) . فمن المسجد
الاموى من بابه الشمالى تدخل الى قبر (صلاح الدين) بعد أن تحتاز
دهليزاً وتقطع حائطاً فترى قبة صلاح الدين تحوى قبره وقبر وزيره
العماد متجاورين الى الأبدية كما تجاورا فى الفانية ، ولا تزال على قبر الوزير
« تركيته » الخشبية من صنع زمانه ، أما تركيبة السلطان فقد أخذها
الامبراطور ووضع بدلا منها تركيبة من الرخام ، تقابل بينها وبين ما على
العماد فكأنك تقابل بين صدار من القزّ وزرد من الحديد ، نخشب الوزير
أقوى وأنغم من رخام الملك ، ولا أدري ماذا كان يجول فى خاطر الامبراطور
وما ذا أراد بهديته ؟ فقد أخذ تركيبة القبر الخشبية الى برلين وهى قنية
فى التاريخ غالية ، وما أعطاه من العوض لا تميز فيه عن الحديث ، أما
إكليل الامبراطور فقد أخذه الانكليز حين دخلوا فاتحين ، حسبوه
غنيمة ألمانية أو عثمانية ولو ذكروا اللورد « اللنبى » يومئذ بحديث
صلاح الدين وریشارد قلب الأسد لما طوّعت له نفسه أن يجازيه عن ملكه
ذاك بهذا العدوان ؟؟

وفى فناء المدفن ثلاثة قبور متجاورة راکدة أشبه بالصقور الجاثمة
هى قبور الطيارين الترك الثلاثة الذين رقدوا فى سفرتهم حين أرادوا



بجارية « فدرين » يوم طار
من باريس الى القاهرة سنة
١٩١٠ فطارواهم من استامبول
وسقطوا في دمشق فأوَّاهم
مدفن الملك الكريم وجوزوا
بهذا الجوار الصالح على إقدامهم
وإن كان قومهم في إقدامهم
الأخير جوزوا بالطرد
والحرمان من تلك البلاد —
وتذكرت حين وقفت على

« مدن صلاح الدين »

هؤلاء العقبان بيتاً من قصيدة كنت قلتها سنة تلك المنافسة أقابل بها
بين حظّ الشرق وحظّ الغرب من هذى الحياة :

« فدرين » فيهم أجدلٌ ولنا مُدثِّنة الحِداء ^(١)

وفى زقاق من أزقة دمشق زرنا قبر الشهيد نور الدين ، والشهيد
نور الدين والسلطان صلاح الدين هما فرقدا الحروب الصليبية اللذان
سطعا للإسلام وردّا عادية بطرس الراهب وما جرّته على المسلمين وما
تزال تجرّه إلى يوم الدين وكانت عاقبتها حال « القبر المقدس » اليوم حيث
عاد حكمه خليفة ريشاردو (أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده)

« ١ » الاجدل الصقر . وذن الطائر طار وأسرع السقوط في مواضع متقاربة

وهنا ظاهرة رأيناها في دمشق كلها ، لا يتورّع أهلها من اختطاط القبور
والمساجد واتخاذها دوراً يسكنونها أو يبنون عليها وينتفعون بها ، ولست
أدرى أصل الوقف بها ولا ما كانت عليه في سابق الزمان ! فقبر زكي
وقبور كثيرة ومساجد عدّة رأيناها في دمشق كما أقول . ورأينا مساجد
يدخلها الناس من أبواب البيوت وأفيتها قد اتخذوها صحناً للدور ؛
وساكنو هذه وتلك كأنهم القوام يتقبلون ما يعطى من الصدقات
وفي المقبرة القبلية ^(١) زرنا قبر مؤذن الإسلام سيّدنا بلال الحبشي
الذي تضرب به الأمثال في الجلد والاحتمال والضنّ بعقيدته أن ينال منها
ما نزل به . حتى كان أسياده يطرحونه ببطحاء مكة مقيداً في حرّ الظهيرة
جائعاً يؤذونه بما لا تطيقه الجبال . يريدون أن يفتنوه عن دينه وهو
لا يزال يقول « أحد . أحد » فتصورته والله في قبره رجلاً جليداً بعيد
المناط كأنما يبسم عن نضرة وسرور في روضة من رياض الجنة ينعم بها
على صبره و (إنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب)
وبقاع الشام أغنى البقاع بأجدات الأنبياء والشهداء والصحابة
والتابعين ، ولا غرو فالشام مهد الأديان فهي بحق مثوى رجال الأديان
وسبحان الباقي على الدوام

« ١ » هي مقبرة (الباب الصغير) وهذا ما عليه أكثر المؤرخين ولكن صاحب
« الاصابة في تمييز الصحابة » نقل بعد رواية الأكثر عن ابن منده صاحب المعرفة
أنه دفن بحلب ؟ وبلال لم يؤذن بعد موت النبي ﷺ لأحد من خلفائه الا مرة
خروج عمر سنة ١٧ بعد طاعون عمواس

اللغة والعمامة

زرت محكمة الجنايات بدمشق، ودخلت قاعة الجلسة فرأيت قضاتها الثلاثة ووكيل النيابة، وكاتب الجلسة على المنصة، يرتدون السواد، وأمامهم في الحوامة جمع من المتهمين يقف بينهم شاب مطيلس بسواده يحامى عنهم، فسمعت يدافع بلسان عربي مبين، متسق المنطق، بليغ الحجّة، وعيت دفاعه كله كأني أستمعه في القاهرة لا فرق بين مصري وشامي، إذ ذاك طفرت فجأة الى فكرى فكرة هذه الجامعة التي يتفاهم بها ملايين من العرب على تباعد ما بينهم واختلاف أمصارهم ولهجاتهم وتوَجَّح ألسنتهم في عاميتهم، حتى كأن عامية كل قطر بل كل مقاطعة رطانة أعجمية على سمع الغريب عن صقع أصحابها، وأنه لولا هذا اللسان الفصيح وتلك اللغة الجامعة، لغة العربية الفصحى، لبقى أبناء العرب متقاطعين لا يفهم أحدهم أخاه ويكون العربي في بلد أخيه العربي بدون هذا اللسان كأنه في بلد أعجمي، فكرة بعثها في محامى دمشق، فتذكرت بها أبلغ حجة للأوائل على الأواخر، وأفضل منة تقلدها الفصحى أعناق أبنائها الحاضرين والغابرين والجائين، وتمنيت حين كنت أسمع وإذ وجدت بدفاع هذا المحامى البرهان القاطع على فائدة الفصحى ووجوب المحافظة عليها في الخطاب والكتاب، تمنيت أن لو كان معي الرجلان اللذان يزعم أحدهما في مصر أنه فيلسوف ويدعى الثاني بالعراق أنه شاعر، وهما كانا يدعوان الناس أن تكون لغة الكتابة هي اللغة العامية

بدلاً من اللغة الفصحى التي يريدان أن تبقى على الرفِّ كما بقيت اللاتينية في رفِّ شعوب الجنوب الأوربي يرجع إليها في مصطلحات العلوم وحاجات الاختراع ، في حين فاتهم القياس وفاتهم أن اللغة الإيطالية مثلاً غير اللغة الفرنسية ولكل منهما كيان مستقل ، وفي كل منهما لسان فصيح ولسان عامي ، وأن اللغة العربية وحدة مستقلة مثل اللغة الفرنسية التي يعتبرونها فرعاً من الأصل اللاتيني وفيها كذلك لسان فصيح ولسان عامي ، وهم باللسان الفصيح يكتبون ويخطبون ، وفيما بينهم يتفاهمون باللسان العامي وقت أن يكون الغناء به وحده إذا كان المتكلمون به من أبناء صقعه المحدود ، فأما لسان الفصحى الفرنسية فهو اللسان العام للكتابة والخطابة لأن المكتوب للعموم فلا وجه ولا معنى للكتابة بلسان الخصوص وهو اللسان العامي ، فزاعم الفلسفة في مصر ومدعي الشعر في العراق كأن يريدان تقويض العربية الفصحى وهي أداة الخطاب العام لسبعين مليون عربي بلا غرض ظاهر إلا التشبه الأعشى مع فساد القياس ، ونتيجته من ذير شك تفكيك أبناء العرب وجعلهم شعوباً وأممًا ، في حين أنهم شعب واحد ، وأمة واحدة ، بلسان واحد هو اللسان الفصيح ، وأما اختلاف اللهجات واختصاص كل صقع بنطق مخصوص فن طبيعة الصقع وتجزؤ الجماعة وانحياز أفرادها في حوز محدود ، وهم مع ذلك وسط محيط واحد دائرته واحدة وطابعه العام واحد ، ولسانه الناقل واحد ، به يحصل التفاهم العام ، وبالتفاهم العام تحيا الرابطة ، وتقوى عروة هذا المجموع ، اتصالاً بلا انفصام . فليفهم ابن العرب قيمة لسانه والحفاظ

على الفصحى حين يسبح من العراق الى طنجة أو ينتقل من عدن الى حلب ، ليفهم أنه لولا هذه الفصحى لكانت سياحته بين قومه في هذه الرقعة الواسعة إنما هي سياحة الى سيبيريا أو فرنسا أو الهند ، وأن لغته هي التي تجعل ما بين الموصل والدار البيضاء كأنه في بلده لم ينتقل غريباً ، ولم ينتجع أجنب ، وما دعاء هؤلاء المخارفين إلا في ضلال

لم تعزَّ العمامة في عيني عزَّتها حين رأيت رئيس دولة سوريا اليوم يتوجَّج بها رأسه

والشيخ تاج الدين الحسنيّ يعمّ ، ولطفه في عمامته أنه يضعها على رأسه مع أنه يلبس ثياب الفرنجة من « السترة والبنطلون » ما جبره لبس ثياب القوم فوق جسده على التزام الطربوش أو البرنيطة غطاء لرأسه ، ولا منعته العمامة وهي تاجه أن يكون ذلك الأعزّ الرفيع العماد الحاكم على رأس الدولة السورية . عزّة والله نفخت أنفي وهو يحمي دائماً لحمي العرب ، والكاتب ينتزع العظة من كل موطن يسوقها لقومه ليقول لضعاف النفوس الذين خلعوا تيجان العرب من فوق رءوسهم إن طرايشهم وبرانيطهم لا تجلب لهم ما ليس في رءوسهم ، كما أن عمامة الرئيس تاج الدين لم تُطر مافي رأسه من همّة وما يستحقّه ذلك الرأس من سعادة ، بل قل هي قوّة النفس في صاحبها تنزع به الى المحافظة على أصله ، والاعتداد بأرومته وإلاّ فيقل لي أبناء مدرسة « دار العلوم » بالقاهرة من تلميذين ومعلّمين ماذا أغناهم الطربوش وما ذنب العمامة كان عندهم ؟

لا الطربوش زادهم قيمة ، ولا العمامة منعتهم تقدماً ، ولكنهم خسروا شخصيتهم ، وانتفشوا في غنم الحرث ، ولم يجدوا لهم داود حاكماً ، ولا سليمان فالهما ، فهم الى الزوال صائرون

ونعود فنقرر لرئيس الدولة السورية مع هذه الظاهرة العربية ، ما أحسسته من قوة روحه ، فقد كنت وإخواني معه في مقعد بدار الرئاسة في غرفة طولها عشرون متراً في ثمانية أمتار وكأنه من قوته يملأ المكان كله ، لسان فصيح ، ونطق قوى ، وعزيمة ملبسة في مخارج الحروف ، فارادته تصبُّ المغنى في أذن السامع صباً دافعاً الى القلب ليسعر لهذا الرئيس بالعبقريّة والنبوغ وأنه سوّده مواهبه فوق ما هو سيّد بورائته ، وخلق به أن ينشد دائماً قول عامر بن الطفيل :

فما سوّدتني عامر عن وراثة أبي الله أن أسمو بأمر ولا أب

الذوق عندهم

لو لم يكن أهل لبنان وسوريا بالذوق الذي فيهم ، لوجب أن يكونوا أهل ذوق بالجبلّة والمشاهدة وما تعامه طبيعة الله لهم ، فقد وهبهم الباري وطناً أبدع في صنعه ، وأرضاً وشأها بالرياض والغياض ، وحشاها بالانجاد والوهاد ، وفجرها عيوناً ، وأصق عيونها ماء ، وورق ماءها سلسالا . ثم خلقهم فيها فدرجوا بها صغاراً وعاشوا فيها كباراً ، فلم يولدوا بفطرتهم أهل ذوق لوجب أن يكتسبوا الذوق مما هم فيه وما يتكرّر لهم بالمشاهدة مدّة العمر وطول الحياة

في نهـد الجبل تنبـجس عين من الماء نافرة ، على ربوة ناضرة ، وسط
 منظر ساحر ، هنا السهل وهنا الجبل ، والنجم والشجر ، وبدع الصانع
 في خلقة المكان ، فهو كالخسنة تلوَّى بجسدها اللدن ، وأكفُ النبات
 متعلقات بأطراف المكان ، وباسقُ الشجر طالع من ثنـايا الصخر ، وعرائس
 الكرم تغطي السقف ، وعرائس الزهر تحتال وتبختر ، خلّ الجو وما
 فيه من صفاء ينبـجـاب عنه وجه السماء ، ثم ريح عليل يهبّ على أثـبـاج
 الرياحين تحمّله روحها تحيَّات عطرات ، ينشقها الخلق في تلك البقاع
 ليس ما أصفه مكانا واحداً ولا أمكنة عدّة ، ولكنه صورة عامة
 لما شاهدناه في جبل لبنان وما رأيناه في بعض سوريا . ولطف ما في الصورة
 أنّها طبيعيّة لاصنعة فيها ولا تطرية إلا أن يجيء ابن آدم فيأخذ الماء
 من نافورته ويشقّ له القنوات على خطوط مستقيمة متوازية متقاطعة
 في رقعة من أرض الله يضع عليها موائده وكراسيه ، ثم ينتحى منها قاعة
 أعدّها لصنع القهوة والشاي والرجيلة وما يحتاجه غيرى ، فترى وأنت
 تجلس في هذا المقعد قوماً نظافاً ، وأجناساً لطافاً ، من رجال ونساء وأطفال
 وأحداث كأنهم « قطع الرياض كسين زهراً » ويجيئك الرجل بالقهوة
 مغليّة بحبّ الهان ، والرجيلة زاهية في أشكال الألوان ، والماء النابع
 من بين أصابع الرحمن على ما خلق الرحمن مما يحكونه في الجنان « أحلى
 من العسل ، وأبرد من الثلج ، وأصفى من عين الديك » فقل لى ربّك
 وأنت تسقى بماء الجبل ، وتشرب قهوة زبيد ، وتتعاوى نرجيلة الشام ،
 وعينك لا تقع إلا على وجه سافر وزهر عاطر ، وأذنك صماء عن كل لاغية ،

ونسيم لبنان غاد ورائح يقلب رثيتك ذات اليمين وذات اليسار ، وقد خلوت من الهموم وخلت عنك الهموم ، أى معنى هذا الذى ينبعث فى قلبك من شكر النعمة للخالق النعم وأن تتروّح من فضله راحة السكون اليه والتمتع بزينته التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، وأن تفهم الحياة على وجهها الصحيح راحة بال ، ونعمة حال ، وسموّاً بالنفس عن السفساف والدنيا ، وترفعاً بالذوق والحسّ الى المثل الذى تقيمه الطبيعة قدوة للحواس ليستلّ الانسان من جلده تلك العناصر المضطربة التى تشوش فيه طرق الجمال ، ثم ليخلص بطبعه الى مسامرة الطبيعة الكاملة أمامه متجلية عن أحلى وأعلى ما يريده الانسان

من هنا وجب أن يكون ذوق أهل الجبل وما والاها من مناعم الاشام . يوماً دعانى الخللّ النوفى الاستاذ داود بركات للغداء عنده فى بلدة «محشوش» كان يوماً مؤنساً كلّهُ ، السيّارة التى أخذتها ظريفة ، والسائق لطيف ، واصطبحننا على وجه نهار مشرق ، ثم الرفيق كان الأخ «بركات» افندى بركات «ودرجنا فى طريق أجلس الى «جونيه» على شاطئ البحر ثم صعدنا الى جبال «كسروان» وأخذ السائق يتلوّى بنا على أخاديد النجود ، ويطلع بسيّارته الثنايا ، ثم ينحدر الى منحرج الوادى وقعر الغور وهو لا يلبى على شىء ، وقد سكّرت أبصارنا من سحر هذا الجمال العابق فى الأريج ، والناشر رواقه على سفوح الآكام ، وممتون الرّبا ، ومختلف المناظر الى عريش شبهه عن روايتى «بمجلس السلطان» فى قصص السحر والجان . فالوادى حواليه منخفض عنه الى قدميه ، والماء من صفحات



➤ المؤلف امام منزل الاستاذ داود بركات والرفاق جبريل بك نقلا والشيخ الغنيمي ➤

➤ والاستاذ داود والدكتور حافظ بهجت ➤

جدرانہ یصّب لؤلؤاً سائلاً ولجیناً مسلسلاً تلقّتها قنوات العریش مفرّعة
على مجالس القاعدین وقد انبتت زراعیّہا فی جوانبہ ، وکنا اتعدنا والصحب
الدعویّین هذا المکان من طریق یحشوش فهاہی إلاّ قهوة فی سقاہا ،
ونرجیلة أنزلوها تیار الماء لیخفّف عنہا حرارة ما فی جوفہا حتی توافی
الرفاق ، واستقلّ الركب فقطع جبال کسروان الی أن لاحت « یحشوش »
فی منفرج الوادی ، وبدا بینہا بیتان کأنہما حمامتان سنّمتا بالرجان ، وأهل

الجليل يسقفون دورهم بالقرميد الأحمر . والأستاذ داود في الشام والأستاذ داود في مصر طلق المحيا باسم يتهلل . فساحتك من الحديث عنه ، ومن الحديث عن أناقة الدار ، وحسن الاختيار لمكانها ، ووفرة الذوق تجلّى في طعامه وفي تنسيق ألوانه وتشويق خوانه ، فذلك ما كان ينتظر من « كاتب الذوق » وخذ قصتي والآسة ليبيبة بنت أخته ، لما قعدنا للكلام بعد الطعام قال الأستاذ داود : الشيخ والرجيلة ، نسينا أن نعدّها ؟ وكنت استعددت بسيكار الزنوبيا بدلها . فكففته أن يتكلّف ما لا يتعاطون . ولكن - وضع كلّ ذوق هنا في لكن - لكن الآسة ليبيبة سمعت كلمة خالها فأنسلت من بيننا بخفة الرشأ وما هي إلا كلمات فاذا بالعروس مقبلة كأن على يدها باقة زهر ، واذا بـرجيلة أعدّتها فتاة غسان ، وتفنّنت فيها بخيال بيتها الجميل ، وضعت على « الطاسة » زهراً أحمر مضت به صعداً كصعدة الهرم الى النار التي على الحجر ، فاذا بك ترى على الطاسة هرما لست تدري أهو زهر أم حجر ، ثم ألقت في بلورها ثمر « الوشنة » الطازج كأنه تفّاح صغير ، يثور بمائها في جولة النفس مع التأليل ، وروح الزهر نشقت به الرجيلة فسرى مع دخانها ، وهي مقبلة بها في بهجة الشباب ورونق الثياب كاللقاء بلا انتظار ، إذ ذاك اتكأت ، وسرح الخيال ، وأنا أتذكر قول الحق ﴿ ثم لتسألن يومئذ عن النعيم ﴾

الذوق عندنا وعندهم

الذوق الذى شاهدت أثره العام فى أهل لبنان وبعض بلاد سورية
كان عندنا فى بلاد الريف من ربع قرن على الأقل أكثر ثم غاب وارتحل
ندراً إذ ذاك أن تكون فى قرية بمصر الا أوتيت بسطة النفس ،
وانشراح الصدر ، وسرور الحس ، واقتزاز الجسد
تجلس العصر على الطريق فيملاً عينيك سرباً غريباً من صبايا
القرية ، خارجات يستقين الماء بمجرارهن ، نظاف الثياب ، حسان الوجوه ،
ممشوقات القدود ، عليهن القمص الزرق بلون السماء ، ولهن الوجوه الأدم
كأنها بيض الأنوق

وأفنية القرية تراها فى الرواح مملوءة بالمرآحى شيباً وشباناً ، هؤلاء
يلعبون « السيجة والدمو » وأولئك يعبثون بالطرة والخطب ، فاذا ما
صلوا العشاء خرجوا الى الأجران فى ضوء القمر ، فمضوا قطعاً من الليل
فى حلو السمر ، وفرجة السامر ، وسماع المحدث والشاعر ، أو لعبوا
الكرة « والحكشة » و« آه ياخي من ياخي » وتدخل الدور فتراها فسيحة
لطيفة ، وسعت أطفالها أن يمرحوا ويلعبوا ، ورقشت بطاها وسطوحها
بأصص الريحان وأحواض الزهر ، حتى الفقراء يعمدون الى شليات اللبن
الفارغة أو الجرار المنكوسة يطينونها ويزرعونها ، وعندهم الحصير
الأبيض ، واللبد المنجد فرشاً نظيفاً ، ومقعداً جميلاً . وصدور الرجال
عري ، اعشوشب فيها الشعر ، وأرجلهم حافية تكلست نعاماتها خلقت لها

تعالا دونه جلود البقر ، وآثار الصحة والعافية ناطقة على الأعضاء
والسواعد ، شاهدة على الوجوه والجاسد ، وبسمة الثغر أول ما تلقاك
كانت من ابن الريف

وفي أيام القطن تتجمع الفئات لجنه فئة فئة يسمونها «المئية» خليط
أحداث من ذكور وإناث يترقق ماء الحياة في وجوههم ، وتلقاهم
بنضرة العيش وفطرة الطبيعة ، فهم يستقبلون الشمس الى المزدرع ،
ويولونها في المساء الأديار دارجين الى البلد ، يقدمهم الزامر بأرغوله ، والنائر
بدقه ، والموقع بطبله ، يحدو لهم أحلام صوتاً فيجيبونه جميعاً بإيقاع
متحد يهز القلب ويثير الإحساس

مناظر ذهبية ، وخلق خلقت ، ودور ضاقت ، وصدور غطيت ،
وأرجل أنعلت ، وماء الحياة بخرته هموم الحياة وضيق العيش وأزمة الزمان
فهيئات اليوم أن تجد في الريف إلا مرضاً وهزالاً ، وضنكاً وإقلاقاً ،
وهزيمة عامة في الثروة والصحة أعقبتها فجعة يتلقاها أسى من يزور
الريف ، ويقارنه بما كان أهله عليه في قريب الزمان

نزلنا من عالية «الأرز» الى طرابلس عن طريق حصرون وبشري
فتلوى بنا الطريق على حواشي الوهاد ، وسفوح الأودية ، وأشباج الكثبان
بين خضرة نضرة ، وقرى عامرة ، ودور زاهرة ، حتى إذا كنا بسقط
اللوى لاحت لنا دار في ثغر البقاع بيضاء تزهو برياحات عليها لقوا
أصصه فوقها بسموت الجدران فدارت على نواحيها الأربع ، والزهر
مشرق يانع مختلف الألوان صنوان وغير صنوان ، فكانه أهداب

العمامة منتشرة دائرة كما تراها في لُوثة ابن البلد بحى الحسينية ، فما
 إن حاذها الاتومويل ، وكان منظرها قد استهوانا ، ومعنا من العلماء
 شيخ لطيف الحسّ والروح حتى صرخ : أن قف ياسائق ، أسقونا الماء
 يا أهل الدار . وهنا فقرأ قطعة من الأدب العربي يحكيها لك الأصمعيّ
 إذ ضلّت له ناقية أخذ ينشدُها في الأعراب فقام له في الصحراء خباء
 استسقى أهله الماء فخرجت له عجوز بسقائها تطالعه غزال من ورأها الخ .
 فقد مثلت لنا القصة بتمامها : طلعت عجوز الدار بإبريق نظيف ينزّ الماء
 من مسامه على جسده اللامع فيغري بالشرب غير الظمان وخلف السجف
 كانت الفتاة المهابة ترائي الضيفان خُبأة طُلعة كأن الشمس تشرق من جبينها
 والغصن يتأوّد على قوامها ! الموقف جميل ولكن السفر طلوب

وفي دمشق عزم على الأديب المعروف لقراء المقطم بمكاتب سياسى
 شرقى وهو اليوم ذو منصب فى دولة سوريا ودعانى الى داره الفينانة
 بطريق الصالحية ، فنذ وضعت رجلى على عتبة الباب الى غرفة
 الاستقبال الى قاعة الطعام فمجلس الحديث ، وأكلت ، وتكلمت ،
 وسمعت ، وخرجت . كنت كأنى أقرأ فى هذا الوقت قصيدة من قصائد
 حسان قالها فى جلق أيام « بردى يصفق بالرحيق السلسل » حسنة المطلع
 والمقطع والختامة من وفور الذوق فى بنائها وروائها والساكن بها

وتفرجت على قاعة الشمعة ، وهى فى دار رجل من تجّار اليهود بناها
 وزير من مئة سنة واشتراها شاريها بخمسة آلاف جنيه ، ومن يراها
 يستقلّ هذا الثمن فيها ، فهى مبنية بالرخام وكأنه فيها « الدتلا » المحرمة

جدرها على طولها كأنها رخامة واحدة ، منمنمة النقش موزونة النحت
 كأنما صنعوا الرقشها الأبر ، تريك باللون الظاهر والرسم البارز حدائق
 وجنّات ، وعسكراً وملوكاً ، ووقائع ومعامع حتى ليخيّل اليك أنك وسط
 مشاهد قائمة ، هنا التين والرمان والعنب والأب ، والفاكهة والحب ،
 وحديث التاريخ ملموس ، والسقف من ذهب ، وفي الأرض بركة نصبت
 فيها نافورة كلها بالرخام المجزّع المبدع ، وقد انتهزها اليهودى فرصة فعرض
 فيها تجارتها من « المينا » المنزلة بالفضة ، وآنية النحاس المفرغ ، والخشب
 المطعم والصيني النادر . تدخل لها من صحن الدار المشتجر بالزرع ، وفيه
 أبناءه وبناته وأهل داره كأن الداخل غير غريب فهم في مبادلهم وأثواب
 الخدور النهيضة القصار ، فاذا تفرجت فإمّا اشتريت ، وإمّا رأيت
 صندوقاً من خشب للإحسان كتب عليه (صدقة للأيتام) فما تضعه فيه
 فلا يضيع لله ، ولا تخسره في هذه الفرجة



ترى بيروت كالأسكندرية من قسمها الجديد على البحر ، وترى دمشق
 من « الميدان » كأنك في باب الخلق ثم تنزل تحت الربع الى الغورية
 وقصبة رضوان ، وحلب الجديدة أشبه بمنشية البكرى إلا أن المنشية
 متربة الشوارع ، لا خطوط ولا استقامة فيها . أما جبل لبنان فهو رمل
 الإسكندرية بفرق جميل ، أن الرمل هنا متضام المسكن ، متلازق الدور
 وهو في الجبل منتشر منتشر . ثم « وأكبر ثم هنا » هناك لا غبار ولا
 عثير ، فالعيون عيون ناظرة غنجة الأهداب والجفون ، شديدة بياض
 البياض ، حلوة للإنسان والحدقة

خالد - الخالد

ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك
نفسه عند الغضب (حديث)

لقد شهدت مئة زحف أو زهاءها مابقي في
بدني شبر الآ وفيه ضربة سيف أو طعنة رمح ثم
أموت على فراشي هكذا كما يموت العير ؟ لانامت
أعين الجبناء (كلمة خالد وهو يحتضر)

لم أزر باريس ، ولا وقفت على قبر «الانقليد» وفيه دفنوا « سيف
فرنسا » المشطّب ، ولكن آذاني ملأى باسم « نابليون » وما كتب عنه
وقيل فيه ولقب به من الألقاب التي مهما جودها وزوقوها ووسّعوا
مداها فإنها بلا شك ولا جدال تحرّ بصاحبها إلى الأذقان أمام تلك العظمة
الحرّية والنفس الأبيّة الجيّاشة بالروح السامي العالی المشيع على أرجاء
الإسلام بآيات النصر ، والذاهب مع الدهر الى الخلود ما بقي للمسلمين
وجود ولدينهم ذكر

هنالك ، ومن أرباض حمص يشهد القادم أطراف المآذن البيض
تلمع في وهج الشمس مؤذنة بالمسجد الفخم القائم على جدث القائد الدائم ،
وفي ركنه الشمالى المغرب يسقط طرف كل مائل أمام ذلك الجسد الثاوى
بالمجد ، ويتمثل الزائر في هذا الضريح أى شديد بالصراع ، وأى شديد
في ملك (ضبط) النفس ، وأى نفس كانت مهوى الأفتدة ومناط

القلوب ، وأى شجاع هذا الذى هدم دولتى الدنيا فى أيام الدنيا وشاد دولة
الإسلام للدنيا والآخرة . بل أى قائد أوتى النصر ولم يعرف إلا النصر
وأى طبع حربى وضع الخطط وابتكر الأساليب ونظم الحرب على غير
مثال وعبا الجيوش بالابتكار وجعل حياته كلها شعلة من سراج وهّاج
من المهد الى اللحد حلقات من سلسلة على مدّ العمر ما سقطت حلقة
فيها ولا انطفأت فتيلة منها ، بل مضت الى ربّها تحمل عجيبته فى خليقته
أن كان له عبد من عباده آتاه الله الشجاعة وقذف به فى المعامع فلم تطو
له راية ولا خبا له نور حتى آتاه اليقين فهدم منه ذلك الصرح المردّ ،
وهدّ منه تلك القوة المتوثبة المتوجهة المنتشرة فى آفاق بلاد العرب وعلى
مشارف الفرس والروم . هذا الراقد « خالد » الخالد ، هنا مثنوى الخلود ،
وقدوة العلّاء ، ومطمح الشعوب إذ ينهض بها قوادها ، وهيئات هيئات
أن تلد الحوامل مثل خالد حتى ينفخ فى الصور

ختمت حياة نابليون بموقعة « واترلو » فطوى انكساره فيها صحف
انتصاراته قبلها وقرن اسمه الخائب بالموقعة الخاسرة ، وقولوا فى نابليون
ما تقولون فقد كان زمنه زمن الحديد والنار ، وزمن المدفع والبارود ،
قولوا ما شئتم فنانابليون على آلاف الكتب المؤلفة فيه ، مجالته كانت
محدودة ، ومعامعه محصورة . ونحن لا نبخسه ولكن الحظ واقفه بكتّاب
درسوه فأبقوه ، ومؤلفين عاشروه فورّخوه ، وعقول فى بنى الشرق
ضعفت أمام الغرب فأكبرت كل ما يجيء من الغرب . ولكن سبرى
هدانى الى حمص ، ووقف بى على القبر الذى طالما وقفت على اسم صاحبه

مكبراً معظمها فتذكرت والأسي يبعث الأسي ، ترى لو كان خالد في عصر نابليون ورُزق من الكتاب والمؤلفين والمعلنين والمروّجين ما رزقه هذا المتأخر ، أي اسم مدوّ في الدنيا كان يبرع اسم خالد أو يفرعه ؟

ظهر خالد في زمن الرمح والمزراق والسيف والحجفة ، وأيام البادية والجل ، في أمة لاحظّ لها من العلم كما حظّت به فرنسا ، ولا وسائل للنقل بسكة الحديد والتلغراف وعلم الإشارة و « تكتيك » الحرب كما كان للأواخر ، ثم هويهم دولتين كان الدهر يسجد لعزّها والتصريف يمضي على أمرها والدنيا قسيمتها أو قل الشرق والغرب بينهما ، دولتي الفرس والروم وما أدراك ما الفرس والروم وهما كاتتا تليان بلاد العرب كلها وإلى ملوكهما تذهب وفود العرب يحتبون ويستغيثون . خالد هو الذي نقص أرضهما وقصّ أطرافهما وأخذت كل دولة تآرز أمامه إلى عاصمتها وأخذ خالد يسوقها بسيفه إلى ماقدّر لها من الفناء والبلاء ، خلع الأسوار عن دولة فارس وهبها هباً ثم فتح أبوابها على مصاريعها لمن يأتي بعده فلا غلق ولا باب ، وانقلب راجعاً إلى دولة هرقل يُغذّ السير وأمامه هرقل يُغذّ بالهزيمة حتى إذا تملكه اليأس وقف على ربض من أرباض حمص أو « الرها » وقال لسوريا كلمة الوداع التي حفظت له في التاريخ وداعاً للاقاء بعده ، فلما فعل هذه الأفاعيل وضفر له المسامون أ كاليل الغار وصارت نفوسهم في يده كالقطر مصهوراً يتكفؤ هابراً احتيه كما يشاء ويذهب بها أنى شاء ، وترى الجماهير فيه « آله النصر » ، على تعبير المتأخرين ، أتاه أمر العزل من خليفته عزلاً لم يقيم بعده بقيادة تتكافأ ومُنّته وسابق بلائه .

في وقتٍ لو يشاء خالد أن ينزع الخلافة من عازله لفعل . هذا برزت في خالد خليقة الشجاعة العظمى ، الشجاعة التي فضّلها الرسول على شدة الصراع وقوّة النزال ، شجاعة ضبط النفس عند الغضب - فاذا بخالد القائد جندى ينخرط بسيفه البتّار في صفوف « الأفراد » ويقاقل بعيدا عن الراية وقبة الإمارة قتال خالد الذي ضربت بشجاعته في مظهرها الأمثال

سيف الله المسلول

من السنة التي أسلم فيها خالد سنة سبع إلى السنة التي مات فيها سنة إحدى وعشرين قلّ أن تقلّب ورقة من صحف المغازي إلا رأيت فيها اسم خالد مشرقا بالدم لامعا بالنصر

خالد الحربى بطبعه أو المطبوع من الحرب حتى شغف بالحرب هوى فيقول « ماليلة يهدى إلىّ فيها عروس أنا لها محبّ أو أبشر فيها بغلام ، أحبّ إلىّ من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين أصبح بهم العدو » كان في جاهليته على أعنة الخيل « قائد الفرسان » وكانت إليه في قريش « القبّة » تضرب فيجمعون إليها ما يجهّزون به الجيش ويعين على الحرب فلما أسلم لم يلبث إلا قليلا في صفوف الأجناد حتى رفعه النبي ﷺ إلى مرتبة القيادة وخصّه بقلب ما أعطيه أحد في الإسلام وقال فيه حين أسلم مسرورا به (الحمد لله الذي هداك ، قد كنت أرى لك عقلا رجوت ألاّ يسلمك إلّا إلى خير)

وجه النبي ﷺ جيشا وجهة الشام يصحّ أن يعدّه المؤرخ أول جيش

افتتحت به الحروب الأجنبية خارج الدائرة العربية بعد أن قويت
سواعد الإسلام ، وسمى المصطفى عليه ثلاثة من القواد يتعاقبون الإمارة
كلما تخطف الموت سابقاً منهم : مولاه زيداً ، وابن عمه جعفراً ، وشاعره
ابن رواحه ، وكان ما قدر ، فقوّد الحيش عليه إذ ذاك خالد بن الوليد
فأخذ الراية وقاتل في يومه قتالاً شديداً ، وكان المسلمون في ثلاثة آلاف
والعدو في مائتي ألف ، مائة ألف من الروم ، ومائة ألف من العرب
المتنصرة ، أى بنسبة واحد الى ما يقرب من سبعين بحيث لو مكّنوا
منه لشرّبوا دم المسلمين في أقلّ من سبعين ثانية ، ففي ثلثي يوم خالف
خالد ترتيب عسكره ، جعل الساقة مقدّمة والمقدّمة ساقة ، وبادل بين
اليمنى والميسرة فظنّ الروم أن المدد جاء المسلمين فرعبوا ، وأخذ خالد
يتقهقر بانتظام وهو يناوش العدو سبعة أيام حتى خافوا أن يجرّهم إلى
الصحراء حيث يواتيه المدد فانقطع القتال ونجا خالد بجيشه ، وتسمى
هذه الموقعة غزوة «مؤتة» وقد بلغ من شدّتها أن اندقّ في يد خالد
يومئذ تسعة أسياف ، ووجد في جسم القائد الثاني (جعفر) بضع وتسعون
طعنة ورمية ، وقتل فيها قوّادها الثلاثة ، ففيها استحقّ خالد تقدير الإسلام
وأخذ اللقب الذي يباهى عليه المسلمين إلى يوم القيامة ، فإنّ رسول الله
ﷺ اطّلع بعين الغيب على ما جرى فخطب أصحابه بالمدينة ونعي الأمراء
الثلاثة لهم قال : « ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم »
فمن هذا اليوم سمي خالد « سيف الله »

*

* *

لو أن الله هدانا لكاتب من حملة السيوف يدرس وقائع خالد ويفهمها بعقله الحربى لأرى الخلف من خالد جوهرأ فردأ هو واسطة العقد فى أبطال الحرب العالمية غذاه النصر فى معامعه قوة الابتكار ومنزلة التيقظ لم يبُلد ذهنه لطائفة ولا فاتته فرصة لأثمة، أجمل ما وصف به أنه « كان لا ينام ولا يُنيم »، لا يعرف الجندية آلة تسير، ولكنه يراها « فرصة تنهز » النصر غايته والخطط وسيلة اذا أوصلته الغاية لم يتقيّد بما وراءها من الأوامر العالية فى طلب غايته وإضافة الغاية إلى الغاية ثقة بشفاعته النصر فى النهاية

يفهم كلمة « الحرب » بأتم معناها، ويعمل بالمعنى والمعنى لا يبالى حواشيه، والحرب - كما يقولون اليوم - هى الحرب قد تصيب نازها البعيد عنها، وقد تتعجل من لبس لبوسها وإن لم يكن من أبنائها فتحرقه حيث لا متسع لتحقيق السلم فى وقت الحكم فيه للسيوف، وحب الغلبة والخوف من الخديعة متسلط على المشاعر نافذ على القلوب - من سيف خالد تطاير بعض الشرر، طيرته طبيعة الحرب فلم يرو لنا أن النبي ﷺ آخذ خالدأ على ما ليس بملكه ولكنه برىء الى الله ثلاثا مما صنع خالد^(١) وأرسل ابن عمه عليأ بمال فودى دماء من أصيب وما تلف من أموالهم حتى أنه ليدى ميلغة الكلب، حتى إذا لم يبق شىء من دم ولا مال، بقيت معه بقية من المال، فقال لهم علي كرم الله وجهه حين فرغ منهم: هل بقى لكم دم أو مال لم يود اليكم؟ قالوا: لا. قال: فإني أعطيك هذه البقية من هذا

(١) حديث بنى جذيمة فى فتح مكة

المال احتياطاً لرسول الله مما لا يعلم ولا تعلمون ، ثم رجع الى النبي وأخبره
الخبر فقال أصبت وأحسنْتَ اهـ^(١)

وفي حروب الردّة وقد تولّى خالد قيادتها أيام أبي بكر فردّ العرب
على أعقابهم إلى الاسلام وقتل مُسَيْلَمَةَ وهزم طلحة وفرت منه سَجَاحُ ،
في نار هذه الحرب قُتل نفر رأى عمر أن خالد أقتلهم بلا حق واشتدّ عليه
فغضب له أبو بكر وقال لعمر : (ارفع لسانك عن خالد فاني لا أَشِمْ
سيفاً سلّه الله) ثم ودى مالكا بن نويرة القتييل من بيت المال ، وهو يرى
خالداً تأوّل فأخطأ لا غير

لما زرنا المسجد الأموي بدمشق رأينا بابه من جهة الشرق على شكل
أبواب المساجد ، أما بابه الغربيّ فَإِنَّهُ لا يزال باب كنيسة بطرازه الأوّل
قال المؤرخون : إن خالداً دخل دمشق بالسيف حرباً من ثنية قيسون
أما أبو عبيدة فدخلها صلحاً من باب الجابية ، فالتقيا معاً في وسط المسجد
فما دخله المسلمون حرباً احتازوه مسجداً ، وما دخلوه صلحاً أبقوه
لأهله فبقى كنيسة ، إلى أن جاء الوليد بن عبد الملك وأراد جعله كلّهُ
مسجداً ففعل ثم عوّضهم عمر بن عبد العزيز عن نصيبهم كنيسة أخرى .
كذلك خالد في فتح مكة أمره النبي أن يدخلها من كُدَى بأسفلها ، ودخلها
هو من كِداء ، فأما جيش النبي فلم يصادف مانعاً وأما خالد فدخلها محارباً

(١) ليتدبر هذا العمل السامى في السياسة وفي الحكومة والعدالة والرحمة الذين
يفتنهم الغرب ويستهوهم بزخرفه

مقاتلاً كأنَّ الحرب مكتوب على سيفه أو كأنَّ طبعه الحربى يغلبه فلا يعرف غير السيف ، وفى « قنسرين » وهى آخر حروبه فى الشام وقعت مقتلة لم يقتل الروم مثلها إذ كان قائدهم « ميناس » وهو رأس الروم وأعظمهم بعد هرقل ، فلما قتل القائد ماتوا على دمه حتى لم يبق منهم أحد ، وتحصَّن أهلها فهددهم خالد فتشاورا وطلبوا منه الصلح على ما صالح عليه حمص فأبى إلا على إخراج المدينة إذ كان بقاؤها محصنة وهى على الثغر مما يهدد الإسلام فأخربها وكان بها خنوس هرقل على وجه الزمان

بعض حركاته الحربية

لقد طلبت القتل مظانَّه فلم يقدر لى إلا أن أموت
على فراشى ، وما من عملى شئ أرجى عندى بعد « لا إله
إلا الله » من ليلة بتها وأنا متترس والسماء تهللى
بمطر إلى صبح حتى نغير على الكفار « خالد »

نحن قريب من الحرب الكبرى وطالما وردت علينا أسماء الحركات العسكرية التى لعبها القواد فيها ، وأنا رجل قد انغمس قلمه فى تاريخ « خالد العربى » وتأثرت روحى بمطالعاتى عنه ومطالعة روحه فى قبره ، فلربما ظنَّ المريب عصبيةً بى أو حطاً مع الشرقية والإسلام ، لذلك بدأت مقال اليوم بتحدِّ عامٍّ لكل كاتب مؤرِّخ أن يذكر لى قصة أو أقصوصة عن قائد دار اسمه فى هذه الحرب أو جرى على الألسنة قبل تاريخها من حين العهد بتدوين التاريخ أمكنته القدرة من حركة عسكرية كحركة

« التقهقر بانتظام » التي وضعها خالد « سيف الله » فما قصصناه بالأُس
 عن « غزوة مؤتة » فأخذها جيشا مهاجعا دته ثلاثة آلاف غير من هلك في
 الموقعة بقيادة الأُمراء الثلاثة قبله أنقذه من عدو مدافع في عقرداره مطبق
 بقوتين عدّة كل قوة منهما مئة ألف ، فيبدأ اللعبة بتغيير مواقف جيشه
 إياها للعدو أن مددا وصله ثم يظلّ سبعة أيام يناوش هذا العدد الهائل
 وهو ينحاز الى « مؤتة » ويتخلص من بين هذه الخالب الناشبة بشرف
 وكرامة الى أن ينقطع القتال وينجو نهائيا بجيشه الصغير ويعود سالما الى
 وطنه بالمدينة

ومن عجيب أمر الشعوب وتشابهها في عواطف الحماسة من القدم
 أن شعب المدينة قابل جيش خالد في عودته بمظاهرة عدائية على ظنّ أنه
 عاد منهزماً ، وجعل الناس يحثون على الجيش التراب ، ويهتفون (يافرّار
 في سبيل الله) حتى تأثر بعضهم (سامة بن هشام بن المغيرة) فقعده في داره
 لا يخرج للصلاة من كلام الناس ، ولكن القائد الأعلى والسيد الأعظم
 سيدنا النبي عليه السلام هو الذي ردّ عادة القوم عنهم ، وقال (ليسوا بالفرّار
 ولكنهم الكرّار إن شاء الله) وأراهم أن ذلك من مكاييد الحرب وأثنى على
 خالد في مهارته

وفي موقعة أحد التي انهزم المسلمون فيها كان سبب الهزيمة حركة
 « لفّ ودوران » نظمها خالد وكان مشركاً إذ ذاك مع قريش ، فإن النبي ﷺ
 وقف جيشه مسنود الظهر الى جبل أحد ، وأمرهم ألاّ يبرحوا أمكنتهم
 مهما تكن النتيجة ، فلما حمل المسلمون على المشركين تقهقروا فاتبعهم

المسلمون يذهبون ، ورأى الرماة ذلك فتركوا مواقفهم للمشاركة في الغنيمة
وكان خالد يرقبهم إذ ذاك فانقضَّ على من بقي من الرماة يقتلهم ، وأتى
المسلمين من ورائهم فكانت الهزيمة التي أنبهم عليها القرآن كثيراً ،
ومنها كان الدرس المفيد الذي تعلموه بعدُ ، ألا ينهزموا - وهذه ميزة
خالد في مواقفه كلها أن يتصيد الغفلة من عدوه ثم ينتهز فرصتها بأسرع
وقت وأكبر فائدة ، وله من عقله الحاضر ، وبديته المواتية ، وتجربته
الناجحة أعظم عون وأقوى مدد ، وفي تاريخه الحربى أمثلة نادرة على
يقظته وإحاطته التامة بحركات عدوه أطرفها « على ما أعلم » كان في فتح
دمشق ، فان خالدًا لما كان مع أبي عبيدة على حصار دمشق ترك الأعداء
ليلة مواقفهم على الأسوار لوليمة أعدّها لهم البطريق ، فلم يعلم بذلك
أحد من المسلمين إلا خالد بن الوليد فإنه كان لا ينام ولا ينعيم . ولما وقف
على جليّة الأمر تقدم بنفسه مع نفر من ثقاته إلى السور وصعد إلى أعلاه
بالسلايم وكبر وكبروا واقتحموا الباب ففتح لهم وكان النصر
يقول الفرنسيون (الأكل يجر الأكل) وفي هذا المقام يصحّ
تغيير المثل (النصر يجر النصر) فان راية خالد التي لم تطو في حروبه
جرّأتها على الأهوال وخوض اللجج وأرته الجرأة أن نتيجتها النصر
فقطف من جناها إكليلا اختصّ به رأسه حين لا يقطف الجبان ولا
المتردّد إلا شوكا يشيك به قلبه وجسده ، ومن كان النصر عادته صارت
أرب في يده ، يبتكر لها ويضع بسيفه خططا ، وتواتيه حيلها من
طبعه الذي تطبعه في ميادينها ، لينال على هون مالا يدركه غيره بشدّة .

وسأقص خبره في واقعة اليرموك ليستخرج القاريء منه أربع عظام هنَّ
أبكار خالد لم يطمئنهن أحد قبله ، ولا ركبهن أحد بعده الى الآن
ورد الأمر من أبي بكر إلى خالد وكان على جيوش العراق أن يعين
المسامين بالشام ، فتمسّ طريقاً يخرج فيه من وراء جموع الروم لا يستقبلهم
فيحبسونه عن غياث المسامين ، فكلُّ مستشاريه قال : لا نعرف إلا طريقاً
لا يحمل الجيوش ، إنما يأخذه الفدّ الراكب فاياك أن تغرر بالمسامين : فعزم
هو على هذا الطريق ، وهوّن الصعب فيه اغتنامه للوقت وأن يخرج
من خلف العدو ، وخطب فيهم خطبة شديدة قال فيها « إنَّ المسلم لا ينبغي
له أن يكثر بثى يقع فيه مع معونة الله له » فقالوا له : أنت رجل قد
جمع الله لك الخير فشانك ، وطابقوه واشتهوا مثل الذي انتهى ، فأمرهم
أن يملأوا الروايا الخمس ، وأن يظمي كل قائد خيل إبلا جلالاتهم يسبقها
عللاً بعد نهل ، وصرّوا آذان الأبل وربطوا مشافرها فلا تجترّ ، ثم
اعتسف البلاد إلى المفاوز حتى إذا ساروا يوماً افتظّوا لكل عدّة من
الخيّل عشرّاً من الإبل فزجوا مافي كروشها بما كان فيها من الألبان وسقوا
الخيّل ، وشربوا هم للشفة جرعا . أربعة أيام قطعوا فيها هذا الطريق الوعر
من الحيرة بالعراق إلى اليرموك في الشام . وكان جيشه تسعة آلاف
وصل مدداً للمسامين وهم سبعة وعشرون ألفاً متقسمين على ألويه أربعة
لكل لواء أمير لا تجمعهم بأخيه جامعة ، والروم إذ ذاك متّان وأربعون
ألفاً في قيادة واحدة . رأى خالد هذا التفرق في القيادة ، والقلّة في العدد ،
والبعد عن الدار فابتكر في الحال فكرة « توحيد القيادة » ولكي يدخل

بها على عقول زملائه جعلها قيادة متنقلة ، يتولّى الأمر الواحد قيادة الجيوش الخمسة يوماً ويوماً سواه وناشدهم أن يبدؤوه بها . وفى يومه الأول لم يثنّ إلى غده ، فقد كانت فيه الموقعة الفاصلة . عبأ جيشه تعبئة يقول المؤرّخون إنّ العرب لم تعبّوها من قبل ، جعل جيشه كراديس كلّ كردوس حوالى ألف ، ونشره صفّاً أمام العدو المتراصّ ليملاً أعينهم بوجههم التساوى فى العدد ، ثم حمل حملته القاضية فكانت الهزيمة الكبرى ، وكان فيها الذكر الدائم الخالد باختراق الصحراء المدهش . وتوحيد القيادة البكر . وتعبئة الكراديس المبتدعة . أمّا عجيبة النفس فهى فيما سيجىء

أخذه بـ «الامر كزيرة»

خالد فى الذروة من قریش ، سيّد بنى مخزوم ربحانة العرب ، وقائد الفرسان وصاحب القبة فى الجاهلية ، والذى سار النصر فى ركبه طول أيامه ، كان أبوه والنبي صلّى الله عليه وآله وعمّ النبي العباس بن عبد المطلب ، عدلاء هم أزواج بنات الحارث بن حرب ، أوفى بسطة فى العقل والجسم ، وهو فى خلقته شبيهه عمر بن الخطاب ^(١) حتى ليختلف الناس فيهما ، وما أدراك ما خلقه عمر تخطّ رجلاه الأرض وهو راكب ، قوّد فى الجاهلية وقوّد فى الاسلام وسمّاه النبي سيف الله وقال فيه (خالد سيف من سيوف الله ،

(١) فى الأغنى : كان عمر يشبه بخالد بن الوليد وذلك أن أمّه حنّمة بنت

هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم اه . وكان من يرى عمر يظنه خالداً من قبل أن أمّ عمر هى بنت عمّ خالد فكأنه خاله ج ١٥ ص ٥٦

نعم فتى العشيرة) ، الثبّت الذى لم يزلّ ، والقائد الذى لم يفلس ، والمجرب
المدرّب ، البهّمة ، اليقظ الذى أسلمته آراؤه وأفكاره وأعماله وخططه
إلى صواب دائماً وظفر أبداً ، وهو فى عزّة النفس وسموّ المحتد وبلاء
العمل وخدمة الاسلام بالمكانة التى أعجب بها المصطفى وقال يوم ورد
هو وعمر بن العاص وعثمان بن طلحة يسامون : (رمتكم مكة بأفلاذ
كبدها) ، ابن الوليد بن المغيرة الكيّاد العنّاد فى مشاقّة الاسلام بكبر من
الأمر نزل فيه القرآن ، حتى كان من جلالة خالد فى المسلمين أن يجاملوه
فى أيّبه فلا يذكرون بحضرته ما يغيظه ، وهو فى نفسه مع هذا مخلص
لا يتشكك فى إخلاصه يعمل لمصلحة الاسلام على قدم المساواة مع خدام
الاسلام بميزة ظاهرة ميّزته فى غزواته أنه شاهد يرى ما لا يراه الغائب ،
وكلّ يرمى لغاية واحدة فلا عليه هو أن يصل لها من الطريق الذى يوصله أقرب
الطرق . لذلك لم يكن عجباً وأمره هذا ، أن يعتدّ بنفسه فى إمارته ،
وأن يقول فيها « باللامركزية » لا يتقيّد بالأوامر كثيراً ولا يقف على
حدود الألفاظ خيفة أن تفوته المعانى . لمّا توجه إلى قتال المرتدّين من
العرب قرّره الخليفة أبو بكر خطة السير ، فلما أراد خالد قصد « البطاح »
تخلّفت عنه الأنصار وقالوا : قد عهد اليك الخليفة أن نحن فرغنا من
(بُراخة) أن نقيم حتى يأتينا أمره ، فقال خالد : قد عهد إلى أن أمضى
وأنا الأمير ، ولو لم يأت إلى كتاب بما رأيته فرصة ، وكنت إن أعلمته
فاتتنى لم أعلمه ، وكذلك لو ابتلينا بأمر وليس فيه منه عهد لم ندع أن
نرى أفضل ما يحضرنا ثم نعمل ، فأنا قاصد البطاح ، وسار فلم ير الأنصار

أن يتركوه وساروا وراءه . قال الزبير بن بكار : كان خالد اذا صار إليه المال قسمه في أهل الغنائم ولم يرفع إلى أبي بكر حساباً ، وكان فيه تقدّم على أبي بكر يفعل أشياء لا يراها أبو بكر فيعاتبه ويعالجها ولا يرى أن يعزله . ولقد بلغ من اعتزازه بنفسه أن ترك الجيش في العراق بعد موقعة « الفراض » ليحجّ بدون إذن من الخليفة ، نعم إنه احتاط لحجّة أتم الحيلة محافظةً على الطريق واعتسف الطريق اعتساف الشجاعة المأثوفة من خالد فإنّه إذ أمر الجيش بالرجوع إلى الحيرة ، أظهر أنه في الساقة وكنم حجّه فلم يعلم به إلا من أفضى إليه ، وخرج الخمس بقين من ذى الحجة وسار في طريق من طرق الجزيرة : صعب ، وعر ، لا مركبه دليل ولا رثيال ، وكانت غيبته يسيرة حتى ماتوا في إلى الحيرة آخر الجيش حتى وافاه خالد وصاحب الساقة إليها ، ولما علم بهذا أبو بكر عاتبه عليه عتاب المعجب المكبر في كتاب يصح أن يكون « تقليداً » برتبة أونيشان ، وظل خالد على نزعته هذه « اللامركزية » إلى أن شدّد عمر النكير عليها وأشار على أبي بكر أن يكتب إليه يقفه عند حدّه فلا يقضى شيئاً إلا بأمر فلما أجابه ردّ خالد عليه (اما أن تدعني وعملی ، وإلاّ فشأنك بعملك) وكانت مشورة عمر تقضى بعزله ، قال أبو بكر : فمن يجزى عنى جزاء خالد ؟ قال عمر : أنا . قال فأنّت . فمشت الصحابة إلى أبي بكر يقولون ما شأن عمر يخرج وأنت محتاج إليه ، وما بالك عزلت حالداً وقد كفّاك ؟ وكانت ضجّة ثم استقرّ الرأي على بقاء كلٍّ في عمله إلى أن ولى عمر حسب خالد في الاسلام - على استبداده برأيه - ألا يكون أحد

يغنى غناءه فيه غير عمر، عمر الذي ولى الخلافة بعد أبي بكر، وفي هذا الحديث، يدرك القارىء منه من هو خالد الذى نكتب فيه

خالد وعمر - تحليل نفسى

ليعلم القارىء أن خالدًا بلغ مرتبة يصح أن يعدّه الناس فيها «ملكاً غير متوجّج» فإنّ هذا القائد من نسب المجد الى حدّ أن روى المؤرخون أن قریشاً كانت تؤرخ بوفاة أبيه أو عمه (هشام بن المغيرة) لإعظامها إياه سبع سنين إلى أن كانت السنة التى بنوا فيها الكعبة فأرخوا بها، وهو من عامت في جاهليته «قائد الفرسان وصاحب القبة» فلمّا أسلم لم يكتمل الحول عليه حتى نال من رسول الله لقب «سيف الله» وما بلغ الثلاثين من عمره وكان قد رآه النبي ﷺ متدلياً يوماً من هَرَشَى «طريق» حتى قال فيه (نعم الرجل خالد بن الوليد) ثم ولّاه أبو بكر في خلافته قيادة الجيوش العامّة ونوّله سيفه في قيادته انتصارات هائلة جعلت الخليفة نفسه لا يسمع فيه مقالاً لقائل، ولازمه يمين الطالع فكُنّ الثقة به في نفوس الجماهير ثقة أحسّها خالد وهو يعدّ في عنفوان الشباب «دون الأربعين» فوثق بنفسه ثقة لم تك بالعمياء ولكن مضت به إلى الاعتداد برأيه حتى ليقول للخليفة (أما أن تدعى وعملى وإلا فشانك بعملك) . ولما استقدمه أبو بكر للتحقيق معه في قتل متمم بن نويرة بمشورة عمر كان عمر يعتقد إدانته حتى لا يبرأ من التهمة ودفعته عقيدته الى أن يتلقى خالدًا وهو يدخل المسجد وقد غرز في عمامته «ريشة القيادة» فينزعها

عمر ويحطمها ويسمعه كلاماً لا يلتفت خالد اليه يظن أن رأى أبي بكر مثل رأيه ، حتى إذا بسط الأمر للخليفة يعذره ويتجاوز عنه ما كان في حروبه تلك ويخرج خالد ظافراً فيسمع عمر كلمة المنتصر ، فعرف عمر أن أبا بكر قد رضى عنه فلم يكلمه ودخل بيته ، وحقاً كانت تيه أبي بكر بخالد ، فإنه « سيف الله » ولا يرى أن يشتم « يغمد » سيفاً لله ، فأعمله للإسلام واعتز به حتى كتب له « لم يشج (يقهر) الجموع بعون الله شجوك ، ولم ينزع الشجبا من الناس نزعك ، فليهنئك أبا سليمان النية والخطوة الخ » . هذه الفتوة في خالد من الناس ، والنصر المواتى سيف خالد ، وما ينفخ الخليفة به خالداً ، وتيمان الناس وركونهم إلى خالد ، جعلت نفس خالد في منزلة علت على بعض التقاليد وأغضت به عن أتباعها فإن خالداً بعد موقعة البطاح تزوج أم تميم ابنة المنهال ، وكانت العرب تكره النساء في الحرب وتعبره . ولما فرغ من أمر مسيامة الكذاب وقتل عليه ٢١ الفاً منهم ٧ آلاف في « حديقة الموت » طلب إلى جماعة بن مرارة وهو بقية سادتهم أن يزوجه ابنته فقال له جماعة : مهلاً فإنك قاطع ظهري وظهرك معي عند صاحبك « الخليفة » فأبى إلا أن يزوجه فزوجه وورد عليه عتاب أبي بكر في كتاب لما نظره خالد جعل يقول (هذا عمل الأعرس) يعني عمر بن الخطاب لأن سيدنا عمر كان أعرس ، إلى أمثال هذه النزوات الدالة على القوة في الدولة ، وهو قوى متين في نفسه وفي سيفه فلا ريب تولّى عمر وهو يرى أن اقتتان الناس بخالد قد نضج ، وكانت لعمر نظرات يرى بها بعض الأمر من غير ما يراه أبو بكر ،

وقد وقع لى فى أثناء هذه الكتابة مثل منها يدل على سعة العقل عند هؤلاء القوم الذين أخرجهم الإسلام من ظلمة البداءة إلى نور الحضارة حتى ليقرأ القارئ عنهم آراءهم فيحسبه يتلو صحف الغرب التى دونت اليوم عصارة المدنية بأراء أصحابها المتلقين دماءها من طبقات وبطون فى بحور الاجتماع وحضارة التمدن . كان أبو بكر يقول « لا أستعمل أهل بدر (الموقعة التى انتصر الإسلام فيها أول ظهوره) ، أدعهم حتى يلقوا الله بأحسن أعمالهم فإن الله يدفع بهم وبالصلحاء من الأئمة أكثر وأفضل مما ينتصر بهم » . وكان عمر يقول : والله لا أشركهم وليؤامنتى . فترى أبا بكر سار على شبه (قانون معافاة العربان من القرعة اليوم) لأنه حفظ الجميل السابق لأهل بدر فلم ير تكليفهم بعد جميلهم الأول شيئاً . وترى عمر سار على شبه (الدستور الحالى) فرأى الجميع متساوين فى الحق والتوجب فأشرك أهل بدر معه وأن يؤاسوه ولا يعفيهم القديم من عمل الجديد . وكان أبو بكر لا يقيد من عماله ولا وزعته ولذلك رد على عمر فيما أتاه خالد من قتل متمم بن نويرة فى حروب الردة يقول (هبه يا عمر تأول فأخطأ ، فارفع لسانك عن خالد) وودى مالكا (أى من بيت المال) وعذر خالد بعد أن سمع منه الخبر . وكان عمر يقتص من عماله وخطب فى الناس يقول (يا أيها الناس إني والله ما أرسل اليكم عمالاً ليضر بوا أبنائكم ولا ليأخذوا أموالكم وليسكني أرسالهم ليعاموكم دينكم وسنتكم فمن فعل به شيء سوى ذلك فإيرفعه إلى فوالذى نفس عمر بيده لا قصنه منه) فوثب إليه عمرو بن العاص فقال : يا أمير المؤمنين إن كان رجل من أمراء

المسامين على رعية فأدب بعض رعيته إنك لتقصه منه ؟ قال : إى والذى
نفس عمر بيده إذا لأقصنه منه ، وكيف لا أقصنه وقد رأيت رسول
الله ﷺ يقص من نفسه ، ألا لا تضربوا المسامين فتذلوهم ، ولا تجمروهم
فتفتنوهم ، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ، ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم
ورأى أبى بكر يتمشى الآن مع النظام الفرنسى ، ورأى عمر يتمشى مع
النظام الانجليزى ، الأول يتحمل عمل الوالى بفرض خطئه فى سبيل
المصلحة الاجتماعية ، والثانى يفرض الوالى كاملا ولى العمل بكماله لمصلحة
المجتمع فما نقص منه فتبعة شخصية يتحمل مسئوليتها الى آخر الأمثال
عما لا يظن القارىء معه أن رأى عمر فى خالد عن دخل فى النفس بل هو
الرأى الصالح عن عقيدة الصلاح . . . أولا ترى عمر صنع مع ابنه عبد الله
أكثر من هذا ؟ لقد كان عبد الله ابنه وأخوه زيد فى حروب الردة بقيادة
خالد فقتل زيد شهيداً فلما رجع المسامون وفيهم عبد الله قال له عمر إذ رآه
ما جاء بك وقد هلك زيد ؟ ألا وارىت وجهك عني ؟ ألا هلكت قبل
زيد ؟ هلك زيد وأنت حي ؟ فقال : حرصت على ذلك أن يكون ولكن
نفسى تأخرت ، وسأل الله الشهادة فأعطيها ، وجهدت أن تساق إلى فلم
أعطيها : وحدينه مع ابنه الآخر ومع أزواجه لا يدع مجالاً لتخربات بعض
المؤرخين أن تزن نفس عمر برية كيف وهو فاروق الحق من الباطل ؟
كيف وهو وخالد قد كذبا كل من ظن فى هذه النفوس العظام هوى
اللدد والخصام وابتغاء الفانى من الحطام ، إذا فنظرة عمر نظرة إصلاحية
عميقة فى الاجتماع ، عالية عن وسوسة النفس وميل الأنوية علو عمر على

بنی الإسلام۔ علی أن عمر کان یعاود خالداً بأن یعمل له فیأبی إلا أن یخلّیه
یفعل ما یشاء (کرايه الامر کزی) فیأبی عمر (کرايه المرکزی) ولکلّ
وجهة هو مولیها فاستبقوا الخیرات استبقا أسلافکم الآخر

عمر و خالد

كيف یختلف العظماء - صفحة من مجد الاسلام

عمر الضخم الذی أعزّ الله به الإسلام ونزل القرآن علی رأیه فی عدّة
مواضع ، المؤمن المملک الذی إن سلک طریقاً لا یسلک الشیطان ، والبشر
الجوهر الذی لو أراد بنو البشر أن یقیموا تمثالاً للحق الخالص لما عدوا
به شخص عمر الإخلاص . لما أن ولی الخلافة کان من لوازم الطبیعة ألا
یأتلف وخالدا فی قرن : شخصیتان عظیمتان لکلّ وجهة هو مولیها
لاعجب أن یحوی سلك الحکومة أحدهما دون الآخر

(١) کان خالد یقول باللامر کزیة وعمر یقول بالمرکزیة وخالد
مبررات رأیه الی سقناها ، وعمر ان قال بالمرکزیة فانه یقول ویقدّر ما
یقول ، ویقدّر علی تنفیذ ما یقول بجميع معانی الحکامة وفيها عناصر العدل
والحق والمصلحة فهو الخلیفة الفرد الملبّس جسده کلّه بعیون مکان مسامّ
البشرة ، حتی یکاد وهو فی مرکز الحکم تكون عینه واقعة علی کلّ وال
من ولاته بعد أو قرب ، بل یعتقد رعیتہ فیه أن عینه لا بدّ ترى کلّ
فرد منهم وعلیه أن یتامس فی الفرد حاجته یقضیها ویسدّ مکان الخلّة
منه ، کان لا یخفی علیه شیء من عمل عماله ، وکل ما فی دائرة ملکة مرفوع

إليه ، وله عامل خاص « محمد بن مسامة » هو صاحب العمال (مفتش داخلية) الذي يقتص آثار من شكى منهم ويبعث كل شكوى ترفع في أمير ، وليست المسألة في السر من شأنهم إذ ذاك بل التحقيق جهرى والبحث علانية ، والحق مضمون من أيسر طرق الوصول

(٢) كان خالد « رجل حرب » يرى النصر غاية فلا يلتفت في سبيلها إلى ما قد ينشأ عن طبيعة الوسيلة وعلى خزانة الدولة أن تعوض على الفرد ما يصيبه من ضرر في سبيل الدولة ، أما عمر فكان « رجل حق » يتحرج للحق في كل موطن ولا يعرف وسيلة ولا غاية ينشأ عنها غمط للحق ولا يهمل كبيراً أو صغيراً يدوس الحق ، ولا يبرر الظلم عنده أى مبرر ، فهو يؤخذ في الحق بالحق ولا يلتفت إلى ما عدا الحق . من هذين الوجهين اختلف نظر الرجلين ، وكان عمر يقع في خالد لهذا أيام أبى بكر ويرى مؤاخذه بالحساب على عمله في ولايته ، ويشدد في التحقيق عما وقع منه أثناء الحرب ، حتى اشتد مع أبى بكر يطلب عزله

(٣) وفي زمن النبي ﷺ لم تكن هناك شخصية كائنة ما كانت تطمع في الظهور أو يخشى من ظهورها ، فلما ولى أبو بكر ورأى غرام الجنود بخالد وتقانيها بين يديه ، وجه هذا الغرام وجهة استفادة الاسلام منه ، فأخذ يقذف بخالد في كل عزيمة ، ويراه أهلاً لفتح ما يستغلق ، فحمله ثقل الاسلام ، ووله بجلالة خالد في جيشه حتى أنه حين رأى ضغط الروم بالشام عقب انهزام ابن سعيده قال (والله لأنسين الروم وساوس الشيطان بخالد) وكتب له بالسير إلى الشام بعد أن أراه في كتابه منزلته

في الناس وأنه لا ينزع الشجاء منهم نزعاً (فليهنك أبا سليمان النية والخطوة
فأتمم يتمم الله لك) . أما عمر فنظر الى هذا الغرام نظرة اجتماعية أخرى
رأى الناس عظموه خشي أن يوكلوا اليه ، وهو يريد منهم التربية الاستقلالية
أى أن يكون من كل مسلم خالد نفسه ، بحيث يقوم في الفرد منهم شجاع
مستقل بنفسه يقدم على المواطن ولو لم يكن خالد معه ، وقد صرح
عمر بهذا الرأي لما عزل القائد الهمام (المثنى بن حارثة) وكان المصلى بعد
خالد ، وبهما كانت السطوة والبسطة واليهما كان الانقياد والطاعة والتهالك
على الخطر ، قال عمر : (انى لم أعزلهما عن ربيعة ولكن الناس عظموها
خشيت أن يوكلوا اليهما) وهى نظرة عالية جداً فى تربية الشعوب خصوصاً
الشعوب الفتية التى يريد بُنائها أن يقيموها على المبادئ ، لا الأشخاص
من هنا كان الخلاف ، وهنا فحدث عن عظمة العرب ، وأشد بتربية
المسامين الأولين وآثارها الجللى التى غيرت وجه الأرض فى زمن لم يجنى
يمثل سرعته التاريخ ، أما خالد فقد برزت خليقة الشجاعة فيه فهو يملك
نفسه عند الغضب فينزل على طاعة عمر ، لا يحدث له هرجا ، ولا يفتح
له فتقاً ، ولا يشاقه أو يناوئه كأنه ليس بخالد فتى الحرب ورجل النزال ،
بل يملك عليه الإسلام لبّه حتى يقول حين بلغته ولاية عمر (الحمد لله الذى
قضى على أبى بكر بالموت وكان أحبّ إلىّ من عمر ، والحمد لله الذى ولى
عمر وكان أبغض إلىّ)^(١) من أبى بكر ثم ألزمنى حبه) حتى اذا أدركه

(١) يظهر أن بغض خالد لعمر كان من حملات هذا عليه ومصادمته له فى
زمن أبى بكر وكان عمر منه بمنزلة (المستشار الأول للدولة) ويخيل إلى أن

الموت أوصى عمر ببنيه - وهذا أروع ما روى عن ضبط النفس خصوصاً عن رجل مثل خالد مع خصمه العظيم - وأما عمر فقد نزعته به طبيعة الحق إلى أن يشيد بخالد، ويعظم حقه؛ وينشر ذكره بل كتب منشوراً عاماً إلى الأمصار كلها يعامهم فيه بمكانة خالد ومنته ويعتذر بالسبب الاجتماعي الهام في عزله، لا سخطه عليه ولا خطأ منه ولا خيانة به ثم يتلقاه في المدينة تلقى الفاتح، حتى إذا مات خالد أغضى عمر في مآتمه عما كان لا يغضى في سواه، فإن خالد لما مات لم تبق امرأة من بني المغيرة إلا وضعت لمتها على قبره (يعنى حلقته رأسها ووضعته شعرها على قبره) فقال عمر: ما على نساء آل الوليد أن يسفحن على خالد دموعهن... الخ ولسنا نتعرض لأمثلة كثيرة من آثار هاتين العظيمتين في هذين العظيمين إلا بمثلين يتجلى فيهما مجد الإسلام وعظمة رجاله ويدرك منهما أبناء الإسلام وهم أشبه شيء بالغرباء عنه الآن أى تراث في قبور الجدود وكنز لا يفنى من سير الأسلاف

(١) بينما كانت معركة «اليرموك» دائرة بقيادة خالد قدم البريد من المدينة فاخذته الخيل وسأله الخبر فلم يخبرهم إلا بسلامة، وإلا بمدد وراءه موافيقهم، وهو إنما جاء بموت أبي بكر وتأمير أبي عبيدة وعزل خالد، فابلغوه خالداً، فأمر إليه الذي جاء به، وأعلمه الذي قاله للجنود، قال خالد: أحسنت فقِفْ، وأخذ الكتاب وجعله في كنانته، خالداً امتد به ظنه إلى تحميل عمر ما كان يردده من عتاب أبي بكر وإن لم يظهر عمر فيه كما رأيت في كتاب الخليفة له عند زواجه ابنة مجاعة بن مرارة

وخاف إن هو ظهر أن ينتشر الأمر على المسلمين حتى تم النصر لهم
عزل خالد من الإمارة وتولى أبو عبيدة القيادة العامة، بل قل
مات أبو بكر حبيب خالد وتولى عمر مناوئه، أفترى الذى كان من
خالد ؟ إنه انخرط جندياً محارباً تحت إمرة أبي عبيدة، لا غضب ولا
حراد ولكنه الجهاد فى سبيل الله، وحرب النفس والشيطان، حتى إذا
فتح خالد قنسرين وهو تحت الإمرة أيضاً، بلغ عمر صنيعة. أفترى
الذى كان من عمر ؟ لم يحسد ولم ينفس ولم يشتد ولم يزيد بل قال من شرها
مسرورا (أمر خالد نفسه، يرحم الله أبا بكر هو كان أعلم بالرجال مني الخ)
(ب) والمثل الثانى يزيد فى دلالة على ضبط خالد نفسه وأخذ عمر
بالحق، ويريك قوة النظام فى هذه الدولة الناشئة وتفريق أفرادها بين
حق الدولة وحق الفرد، وأداء كل منهما على ما ينبغى له، بل يوضح خدام
الأمم كيف يعز الدولة أبناءؤها ويرتدى بعزها أصغرهم حتى يأخذ بحققها
من الكبير - فى سنة ١٧ هـ وخالد تحت إمرة أبي عبيدة على قنسرين
أدرب خالد (أى ذهب مغازياً فى دروب الأناضول) وأصاب أموالاً
عظيمة، فانتجعه رجال منهم الأشعث بن قيس، أجازة خالد بعشرة
آلاف، فباغت عمر، فدعا البريد وكتب إلى أبي عبيدة (أن يقيم خالداً،
ويعقله بعلمته، وينزع عنه قلانسوته، حتى يعلمهم من أين إجازة
الأشعث ؟ أمن ماله أم من إصابة أصابها ؟ فإن زعم أنها الثانية فقد أقر
بخيانة، وإن زعم الأولى فقد أسرف، واعزله على كل حال، واضمم
إليك عمله) فاستقدمه أبو عبيدة وجمع الناس وجلس لهم على المنبر وقام

البريد فسأل خالداً فلم يجبه ، حتى أكثر عليه وأبو عبيدة ساكت ، فقام بلال اليه (بلال الحبشي مولى أبي بكر ومؤذن النبي وهو من هو بالنسبة لخالد ، ولكنّه الاسلام وديمقراطيته ، ثم تعريفه منازل الناس) فقال : إن أمير المؤمنين أمر فيك بكذا وكذا . ثم تناول قلنسوته ، وعقله بعمامته وقال : ماتقول ؟ أمن مالك أم من إصابة ؟ قال : لا بل من مالى ، فأطلقه ، وأعاد قلنسوته ، ثم عممه بيده وقال : نسمع ونطيع لولاتنا (وهكذا إطاعة الله ورسوله وأمير المؤمنين) ونفخم ونخدم مواليتنا (وهكذا احترام بلال لمولاه خالد) وورد الكتاب باستقدام خالد الى المدينة فودّع أهل عمله وخرج حتى قدم على عمر ... إلى هنا ، يقف القلم خاشعاً أمام هذه العظيمة من ضبط النفس ، حتى إن أبا عبيدة لم يقو على تبليغ خالد كتاب عمر ولا تكلم فى نفاذه ، ولا أعمه بعزله ، حتى ورد الامر ثانية به ، بل ليعجب المرء من تجرؤ بلال الحبشي على خالد المخزومي ، وسكوت خالد له ، وإن كان بلال غسل الإهانة عنه ، أو قل لا إهانة فى الاسلام ، واسمع عتاب العظماء : قال خالد لعمر بعد هذا كله (لقد شكوتك إلى المسامين ، وبالله إنك فى أمرى غير مجل يا عمر) هذا كل ما قاله خالد سيف الله المسلول ، فاقراً إذاً عظيمة الحق من عمر قال بعد سؤال :

(ياخالد : والله إنك على لكريم ، وإنك إلى لحبيب ، ولن تعاتبني بعد اليوم على شيء) وكتب إلى الأُمصار (إنى لم أعزل خالدًا عن سخطه ولا خيانة ولكن الناس فتنوا به خفت أن يركلوا إليه ، ويبتلوا به ،

فَأَحْبَبْتُ أَنْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ الصَّانِعُ وَالْأَيُّ يَكُونُوا بَعْرُضَ فِتْنَةٍ

قال سالم : لما قدِم خالد قال عمر متمثلاً : —

صنعت فلم يصنع كصنعك صانع وما يصنع الأقوام فالله يصنع

النيل والقنوات

نبيع الصفا — عين البركة — مغارة قلايشا

نهر بردى — وادى العرائش الخ الخ

هذه الأسماء وأمثالها كثيرة جداً تسمعها في أرض الجبل وبلاد الشام ، وتسمعها بضجة ورنين . ويقفز إلى ذهنك وأنت ابن مصر ، خيال لا يفارقك من النيل وفروعه أنها قد

تكون منه أو قريبة من مائه ، فإذا جثتها « وجثتها بشوق » وجدت الجبل ينقلب عصفوراً : سمها على الأصح القنوات أو قل فيها (حنفيات) أو صنايع باللغة العربية ، ولكن « وما أقوى لكن هنا » لكن أبناء الشام يبنون من الحبة قبة . فالحق أقول أنك لا تندم على أن تزور هذه العيون والمنابع . فحولها اتخذ اخوانك ملهى جميلاً ، وامتدت بهم الدعوى إلى إعطاء أحكام لهذه المياه



المؤلف وزميله الشيخ محمد رزق أمام الشاغور بسقيان بمائه

تقضى على بعض الأمراض . وفي الطب الحديث والطب القديم صدقت
المداداة بالوهم ؛ فكثير سُنى بشرب الماء من بعض هذه الأمواه . وأنا
شخصياً أعتقد الآن في عين الدوق بزحلة فقد أ كثر الشرب من
مائها أياما وكان بي ألم في بدء القولون زال ، وما زلت أندم الآن ألا
أكون أطلت المقام والشرب على العين ؛ إنما اللطف في هذه المنابع أن
القوم أخذوها بالصنعة وانتفعوا بها أيما انتفاع ، أ كثره طرح الموائد
عليها وتزين الأماكن فيها واجتلاب الناس لها ، وأهمها في نظري « مغارة
قاديشا » أو المقدس : فمن هذه المغارة يندفع الماء بقوة تستخدموا تيارها
في استخراج السكر بآلة ببلدة « بشرى » ومدوها على أ كثر من أربعين
كيلو مترا إلى طرابلس ، فهم يضيئون بها بلاد ما بينهما ، ويدير بعض
المطارنة وابوره في طرابلس لصنع السمنتو . وهنا « والشئ بالشئ »
يذكر « أهني رجال الدين في لبنان الشمالي ، فقد استعملوا الاسم الكريم
وأطلقوه على ما يخرجه الله من الأرض فصارت (مغارة قاديشا) بوصف
أنها مقدسة لهم ، وانتفعوا بتيارها فما يكسبونه منه داخل إلى
جيوبهم ، بل إنهم سموها الأرز « أرز الرب » ، فلما صلحت قطعة منه
لاستخدامها قهوة بنوها قهوة وصارت وقفا على رجال الدين وذهب
زيعها اليهم ، والدين في شمال لبنان ظاهر بين أهله من المارونيين ، وألطف
ما تراه لهم تلك المنازل التي سموها أديرة وشادوها على حروف الجبال
وذرى الربا هادئة مطمئة تطمئن النفس بها وينعم الساكن فيها
أما أهل دمشق فبودى أن أ كلفهم إقامة تمثال للشاعر حسان

فوق قنطرة « بردى » فقد طالما ظن بيته في مخي :

يسقون من ورد البريص عليهمو « بردى » يصفق بالرحيل السلسل
فكان كل ما هم من مدينة الأمويين أو « أولاد جفنة » أن
أشرب من بردى وهو يصفق بالرحيق ، حتى إذا دخلتها ورأيت بردى
« وليتنى ما رأيته » فإذا به أشبه شيء بمسيل الجامع ، ذابل أخضر ، في
قاع المجرى ، لا تطوله يد ، وإن طالته قدرته ، فلم أر مصداق شعر وهو
« التخيل » أصدق من بردى حسان

أكبرت القنوات في الشام ووددت لو أن المصريين في مصر قدروا
النيل ، قدروه بقيمته ، أو قدروه كما كان آبائهم يحفلون به حتى غالوا
فصاروا يتخذون له من العام الى العام قرباناً من الخيرات الحسان ، أو
ليتهم تركوه لطبعه فلا يردلونه ويؤزرون به ، وقد جبت مصر كثيراً
فأبان سرت وجدت النيل ومجراه أقدر ماتراه . ولم أر بلداً غير المنصورة
وميت غمر انتفع به بعض انتفاع كأنه ليس يجرى بماء الحياة

حمص - حماه - معرة النعمان

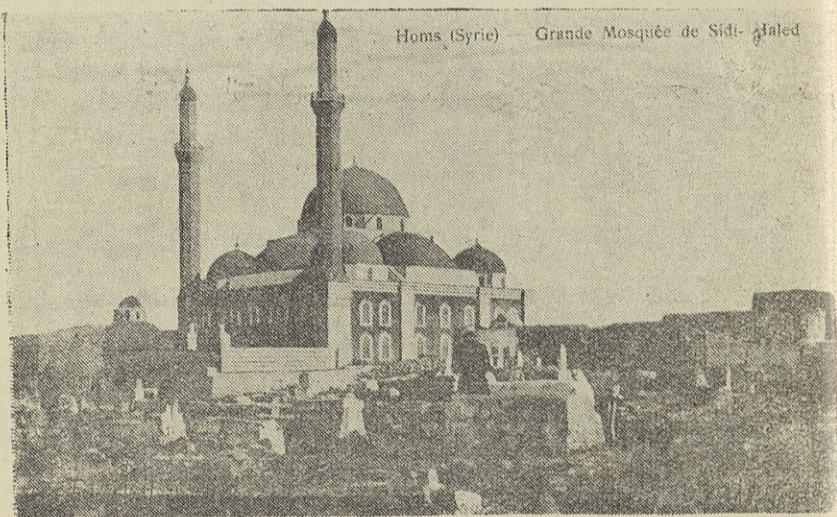
سود الى خالد

تميز حمص بثلاث تأخذ عين القادم : مسجد خالد . ونهر العاصي .
وشباب البلد في مجمع البلدية

فقد أقامت بلدية حمص بناء جمعت فيه نزل الغريب والحلى ، مطعم
نخم ، ومسرح نخم ، ومقهى نخم ، وأعدت سطح هذا كله لفندق لم تبنيه
بعد . ففي هذا المجتمع ترى جمعاً راقياً في منظره ، تختلط بهم فتانس ،
وقد تعجب أن تنجب حمص مثل هؤلاء وهى في منظرها لا تزيد عن
بندر قديم عندنا . أما الطعام فيقدم بالوجبة كاملة في ترتيب وخدمة
راقين ، والقهوة والشيشة كأحسن ما تطلب . والمكان يحوى حديقة
بديعة تناسب جمال المقعد ، وتأكل وتشرب القهوة والشيشة فإذا قدمت
لك قائمة الحساب كان جميعه نصف ايرة سورية أى ثمانية قروش مصرية
يوم كنا هناك ، إن زدته قرشين كنت السيد المنظور

ونهر العاصي أشبه شئ بالرياح التوفيق أو بترعة كبيرة تقرب منه
ولكن ظرفه شدة تياره ومجالس مفروشة بالحصر والسجاد على حافته ،
لكل مجلس حائط من حصير تحت شجر الصفصاف ، ولكل صاحب مجلس
مبتعد عن المجلس الثانى ، ويقوم بالخدمة هنا رجال أشبه شئ بمن كنا
زاهم يجيئون مصر في تجارة الخيل ، شداد لكل منهم صدار متراص العرى ،
ونعمة البدو عليهم في رقة الحضر ، وقد صدقت فراستى فيهم ، حدثنى
صاحب المجلس أنه كان تاجر خيل من خيل عنزة التى انقرضت سوقها

من مصر وكانت تروج للسباق ، وتروج لأرباب « البرجاس » والخيالة
من الأهلين قبل أن يهجم الاتومبيل ، وهى دون خيل نجد فى الثمن
والعدو ، وقد عفت المدينة على هذه وتلك فأصبحت دابة اليوم طعامها
الزيت والبزير بدل الشيخ والقيصوم



مسجد خالد

أما مسجد خالد فهو بهجة العين فى حمص ، على شكل مسجد القلعة
بقبة عالية تحيط بها قباب صغار تعلوه مئذنتان على جانبيه ، ولأنه مبنى
على الارض فلا يبين فى نظر العين بالسمو الذى امتاز به جامع محمد على ،
وقيل لنا إن بناءه كلف اثني عشر ألف جنيه عثمانى دفعه المرحوم السلطان
عبد الحميد نصفها والباقي جمعه رجل سموه لنا « الدجاني باشا » وكان رئيس
البلدية ، وبقياسه على مباني القاهرة يكون رخيصاً جداً ، إلا أنى لاحظت
فى حمص أنهم يننون عمائرهم بالحجارة من صف أبيض وصف سنجاني

من الحجر الذي يكسر في مصر وترصف به الشوارع ، وقالوا إن مقالعه
قريبة من حمص

وخالد مدفون في حمص على الموثوق به ، والصحيح في التواريخ أنه
اختار حمص مقاماً بعد أن كان بالمدينة حتى إن ابن جرير الطبري لم يذكر
غير حمص مكاناً لقبره . ومن اللطيف أن أبا الفداء صاحب حماه وكتب
« المختصر في أخبار البشر » مع أنه لا يذكر إلا نتفاً مختصرة في سوق
التاريخ لما ذكر وفاة خالد قال : (واختلف في موضع قبره فقليل بـحمص
وقيل بالمدينة) . فهل نفس المؤرخ العظيم على حمص تفرد بها بمواراة هذا
الجدث الخالد ؟ مع أن حمص كانت كرسى مملكة هذه البلاد

ومع قبر خالد قبر صغير قالوا إنه قبر ابنه عبد الرحمن ^(١) ، ولكني
اطلعت على رواية في الأغاني ربما تبعد هذا المكان عن عبد الرحمن ، فقد
ذكر أن ابن أثال طبيب معاوية سقاه السم بدمشق فمات لما رآه أهل الشام
أهلاً لولاية العهد بعد معاوية — والله أعلم —

بعد الذي كتبتّه عن خالد لاشك أنه رجل حربي بطبعه فمن الفضول

(١) كذا قال ياقوت . وتملاً الجرائد آذاننا بنكر ابن المريشال

« هندنبرج » إذا ذكرت أباه فالولد « ياور » الوالد ويرى القراء في قرن الاسمين
نشوة فخر يحسها بنو الألمان ، فليعلم بنو العرب أن قائدهم العام في موقعة اليرموك
خالد العظيم الذي ضرب الروم ضربته النهائية ، كان على رأس فرقة من فرقته
يومذاك ولده « عبد الرحمن » وعبد الرحمن سنه يومئذ ثمانى عشرة سنة ، وقرن
التاريخ للعرب اسم الابن باسم الأب في أعظم وقائع الأيام

الاكتناز فيها إلا أنى أذكر كلمة ختامية فى هذا . وقد يندهش القارىء اذا علم أن صفحات المجد التى نشرت بعضها خالد كتبها كلها قبل أن يتم الأربعين من عمره وتوفى صاحب هذه الاعمال الجسام وهو فى الثالثة والاربعين وقد أوصى بسلاحه وفرسه أن يجعلوه عدة فى سبيل الله فى أيام الحرب كتنا نرى بعض الفرق الهندية أو الانكليزية أو الاسترالية تسوق فى رحلاتها معزى أو جحشاً أو قطاً الخ . وقيل فى سبب هذا ان الاورطة تتفاعل بحيوانها الذى تجعله فى « الطليعة » وتعنى به ، وأخبرنى بعض قوادنا أن كثيراً من أبطال الحرب تكون فيهم ناحية روحية تحملهم على التفاؤل بأشياء لا تجعلهم يفارقونها ويستمدون منها كثيراً من قواهم بل بعضهم يتشائم بفقدائها إلى حد الموت - وجدت هذه الظاهرة فى خالد ، فقد روى صاحب الاصابة أن خالداً فقد قلنسوته يوم اليرموك فقال اطلبوها فلم يجدوها فلم يزل حتى وجدوها فاذا هى خلفه ، فسئل عن ذلك ؟ فقال اعتمر النبي ﷺ فخلق رأسه فابتدر الناس شعره فسبقتهم الى ناصيته فجعلتها فى هذه القلنسوة ، فلم أشهد قتالاً وهى معى إلا تبين لى النصر . اهـ

ولما مات خالد وغسلوه وجدوا الضربات التى أصابت جسده كلها ضربات أمامية لاضربة منها فى الخلف وهكذا صدق كعب فى قوله :
لا يقع الطعن إلا فى نحورهمو وما لهم عن حياض الموت تهليل
أخذنا القطار من حمص الى حلب ، وهو القطار الدولى الفخم ، سار بنا خمس ساعات فى منبطح من الارض كأنه الوجه البحرى بمصر لولا

أن النيل يُزهر بكل زرع عندنا في جميع الفصول ، وهنا كان فصل المطر
انقضى بنبته ثم حصاده ، فالأرض خالية من المحصول إلا جذوره وإلا
حشائش أو خضر يسقيها مخلف السيح . ولاحظت في بلاد الشام ملاحظة
جديرة بنظر المؤرخ أنها تصلح لحروب العرب أو الجيوش الزاحفة
بالرجل والبهيم ، فأرضها تُنبِت الكلاء وتكفي الدابة ، وأشجارها فيها
ما يُقيت الجند ، ولعل هذه الأرض كانت أصلح للعرب وأمرأ فيما مضى
حتى دوّخوها بالسهولة التي يرونها التاريخ ، ثم كانت فيما بعد مجالا للحروب
الصليبية وهي لما تخرج في آلاتها وحركاتها عما سبقها من الحروب ، ثم
هي بجبالها وتعاريجها وتفجّر العيون فيها وتلوى الاخاديد بمائها ، تصلح
لدفاع أهلها ، وتتعب الغير عليها إلا إن كان بطبع أهلها ومعرفته بهم
وتقشفه تقشفاً يساعده على الكفاية بما يناله في خارج الاسوار

ويجب أن نقلع عين الشيطان بذكر حادثتين من قلة الذوق صادفتانا
في رحلتنا . فقد ركبنا القطار ومعنا جراميزنا ألقيناها في ديوان ظننا
فارغاً فاذا به مشغول لبعض العسكرين وبعض أبناء البلد ، وكان بجواره
ديوان به امرأتان خلناه « للحريم » فلم نلتفت اليه ، وارتبك عمال القطار
معنا ، فسار القطار وجاء أهل الديوان الأول يرومون أن يلقوا الجراميز
ويخرجونا ، فأما الفرنسيون فلم نعتب على غلظتهم وقلة مبالاتهم وتجروؤ
أحدهم أن يضع يده على زناد « مسدسه » وهو ثمل ، وأما إخواننا
أبناء الشام فقد ملئنا غيظاً من قلة ذوقهم وشدة بهم بأكثر من المحتلين حتى
لم نحفظ أنفسنا من توبيخهم ، ونقلنا « الكمساري » الى الديوان المجاور

فإذا به للرجال ، والمرأتان كل منهما تحتلّ طاولة بينهما وجراميزها - بلا حق - فأما إحداها فسكنت على مصيبتها بنا ، والثانية صبت غيظها في الكسارى ، زعمت أنه ضغط اصبع ابنتها بباب الديوان فأخذت تولول وترطّن بالفرنسوية ، فاشككنا أنها بنت باريس ، ولكن الحق أنها كانت صنعة ربويّة منها ، لعلها كانت ترؤم طاب التعويض فتكأنا فيما بيننا بالعربية أن الرجل مظلوم ، وهى لاترداد وصاحبها الفرنسية إلا رطانة على فذح المصيبة فى إصبع البنت ، والرجل ورئيسه ورئيس رئيسه يعتذرون ولا يجدى ، وبقينا كلما تحرك أحدا فامس لها حقيبة أو مس أصص الريحان التى كانت تملأ بها الديوان رطنت ، خمس ساعات ونحن فى ضيق من المرأة ونخشى أن تكون فرنسوية أو أن يكون رأى « عبد العزيز فهمى باشا » سبقنا الى حلب فلا أقل من أن تدعى ماينفعها به ، وإذا بالسيدة المتصنّعة « عربية حلبية » صهيونية على ما يظهر ، وقد سمعت كلامنا كله ، وأنها مدعية بغير حق ففهمت أن عملتها كشفت ، فلوت عن مصيبة البنت قرب حلب ورفعت رباط الإصبع وقابلها أهلها من شكلها يكلمونها بالعربية ففرخ روعنا ولم يسع أحدا إلا أن قال لها : يا شيخه حرام عليك فلقطينا خمس ساعات كأنا فى « الزنانة » ، ورمقناها جميعاً بنظرات مصرية تفرّد بها المصرى اذا غيظ

أما قلة الذوق الثانى فقد رأيناها بسوق الغرب من صاحب نزل بها ومن نزله وخدمه حتى طرنا منه بعد يومين ونحن أحوج ما نحتاج إلى المقام به ولا اطيّل الله يوقع فيه كل ثقیل - وحققاً لقد صبح فيه ما قيل (لكل

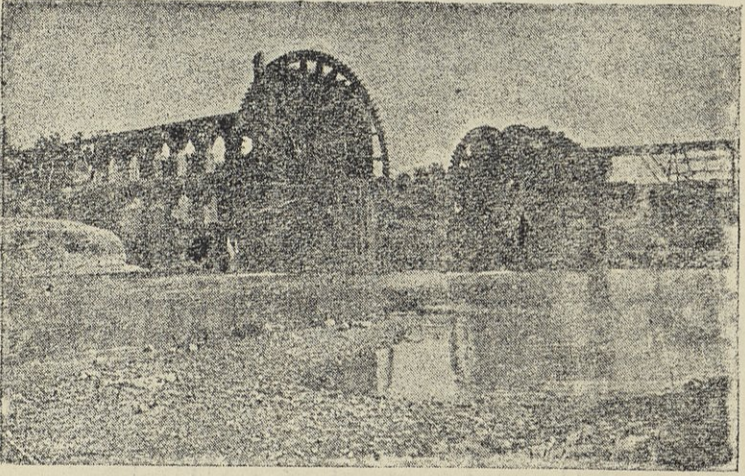
شئ من اسمه نصيب) واسم هذا مشتق من مادة الحجارة وكفى
 وأقننا بحلب ثم عدنا بالأتومبيل فمررنا على معرّة النعمان وعلى حمّاه
 فأمّا معرّة النعمان فلا مزية فيها إلا أن بها قبر الفيلسوف « أبي العلاء
 المعرّي » ومن يزوره ومسجده يتصور صاحبه بشكاه الذي أودعه
 الواصفون ترجمته



الجزء الاعلى لواجهة من قبر أبي العلاء مكتوب عليها :
 أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان

والمسجد والمدفن في بقعة قديمة تكاد تكون من زمن صاحبها ،
 وتُريك خياله في خلقته . . مالم مضغوط . ومعرّة النعمان هي كانت
 معرّة حمص فلما أُضيفت الى النعمان بن بشير الأنصاري على ولايته
 حمص زمن معاوية سميت به ، وهكذا عظمة الوالي تنسب الولاية له ،
 ولا كذلك الحقير إن ولي فهو بمنصبه قائم قاعد يستفيد منه ويحيا به ولا
 حياة له إلا في مداه ، وبعض الخاصة يغلط في « شقائق النعمان »

وينسبها إلى النعمان بن بشير ولا كذلك وإنما هي منسوبة إلى النعمان بن
المنذر ملك الحيرة فإنه أعجب يوماً بموضع ائتم نبتته وراقه ما فيه من
الشقائق فاستحسنه وقال : احوها ، فكان أول من حماها



النواعير على نهر العاصي في مدينة حماه

وقطعنا بالأتومبيل نحو ساعة ونصف ساعة فوصلنا إلى حماه وهي
التي سماها ناصر خسرو « عروس البلاد » فلم نر فيها أثر العرس ، ولا
رأينا بها شيئاً مما يصفه ياقوت ولا يُجديها اليوم ما ذكره صاحبها (أبو
الفداء) في تاريخه أنها كانت زمن داود وسليمان مدينة عظيمة ، فقلعتها
خرابة ولا أثر لسورها وأبراجه ، وكل ما استوقف نظرنا فيها نواعيرها
الدائرة على نهر العاصي ، فهي سواق يديرها التيار . عظيمة الدائرة من
خشب أشبه شئ بما نسميه في مصر « بالتابوت » في وسطها صليب

طويل الأقطار ، وعلى الدائرة مراوح مثبتة ، يدفعها التيار فتدور على محور مركز في جدار عال قام من أسفل النهر إلى مستوى حائط آخر ، في أعلاه قناة أشبه شئ بما نراه عند « فم الخليج » مما نسميه بالقناطر ، فالساقية تدور بلا ثور ، وتصب العيون ماءها في هذه القناة العالية تحمله إلى البساتين المرتفع سطحها عن ساحل النهر

ويظهر لي من هذه الرحلة أن ما يسميه المؤرخون بالممالك والدول في تلك الأرجاء كدولة آل حمدان بحلب ، وإمارة حماه وملكها أي الفداء الخ إنما يشبه في زمننا ما نسمعه عن ساطنة لحج وإمارة الكويت وشيخ الحمرة وهذا يكون في عصر الانحطاط الذي أعقب أيام العز الاسلامي ووحدة الدولة العربية في تلك البلاد

حلبا البيضاء - حلب الشهباء

الدعوة العربية - وحظ مصر

حلبا بالسريانية اسم المدينة العظيمة التي تضارع دمشق اليوم في الدولة السورية حذفت ألفها تخفيفا ، معناه البيضاء ، وترجمها العرب بالشهباء ترجمة مرادفة أو ترجمة صحيحة ، لأن بياض ذلك البلد يختلط فهو إلى الشبهة أقرب إلى الصواب . بلد قائم في سهل أفيح يرق هواؤه ويخف جوه ، ويشرح صدر ساكنه إذا زود عينه بتلك السججة التي يتبدى بها منفسح أرضه - عاصمة دولة بني حمدان التي أراق الشعراء

ففيها أمخاخهم واستخرجوا لها كل وصف بديع وقول مليح ، وزادوا
فذكروا « خورا » بها جعلوه غديرها واسمه (قويق) ولعله مأخوذ من
كلمة مصر العامية (قوق) أى فرغ ، فهو شق لا يكاد يبين إلا فى شعر
الشعراء ، لأماء به ولا حس لناظره . ولما عقدت معاهدة الترك أخيراً
مع فرنسا شرطوا فى العقد أن يسكّر الترك ماءه عن أهل حلب ،
فاستكثر عليه مداداً صرف فى كتابة بنده ، بل قل إن مداد الشرط
كان أجود من ماء « قويق » . وقد أجهد النحاة أنفسهم فى تصريف
هذا النهر وتصغيره ، كما أتعّب الشعراء قصائدهم فى تضمينها سرّ ضموره
وغور مائه ، إلى أن قرأت عنه بحثاً جيداً لكاتب هناك ، أنه مأخوذ
من (قوق) بالتركية معناه شجر « الحور » الذى ينبت بكثرة فى منبعه
بعينتاب فى بلاد الأناضول على نحو ميلين من حلب . فلم يخسر العرب
شيئاً من صرف الترك هذا الماء ، لأن الله صارفه عنهم من قبل الترك

وحلب كانت قرية صغيرة فتحها العرب سنة ١٥ هـ وكانت تتبع
قنسرين التى اشترط خالد على أهلها فى صلحه معهم أن يخربها ، ثم دارت
بها الأيام إلى أن اتسعت وعمرت وضخمت ، ولو انتصر الترك فى حربهم
الأخيرة لكانت اليوم عاصمة الامبراطورية العثمانية ، فان الألمان رأوها
فى مكان القلب من هذه الامبراطورية ، وواسطة العقد بين بلاد العرب
وأرض الأناضول ، وجمع الشرق والغرب ، فهي مهبط التجارة من هنا
وهنا ، لذلك عمدوا إلى المشورة على الترك بنصبها عاصمةً لملكهم الواسع ،
فبنوا بها محطة بغداد على طراز عربى قل نظيره ، غير محطتها التى يقوم

منها القطار إلى حيفا ثم يتابع المسافر سيره منها إلى استامبول
والمصرى في حلب لا يظنّ نفسه خرج عن منطقة الحسين والجمالية
فالعمائم الغباني ، والقفاطين الملفوفة ، ودكاكين الكنافة والبسبوسة ،
وباعة الشراب في مواعين النحاس المهرجة والطاسات الزنانة والفسق
الحمر ، وأمثال هذه الاشكال هناك وهنا بزى واحد وعمل واحد ، وظاهرة
اطيفة في حلب يراها الغريب أن تكون قهواتها « وما أكثرها » خلوة
بالنهار فاذا قرب الليل ندر أن ترى بها مكاناً خالياً

ونزلنا حلب في المساء فتخطّفتنا سماسرة الفنادق حتى كادت عجالاتنا
تضيع بينهم ، وضايقونا مضايقة المعدم ، من راكب مع السائق ، وجاذب
في الباطو ، وحامل للحقيبة ، لولا أن الله سلّم ، ومع هذا فقد نزل بعضنا
في فندق والآخر في آخر ، ثم قضينا بها أيام هناء وراحة ساعد عليهما
حسن الجو ، وهو إنما يحسن هناك من منتصف سبتمبر أما قبله فقلّوا
إنه النار الموقدة ، ولا عجب أن ترتفع بها رووسنا فأهلها يذكرون بها
أهل مصر بكل خير وكرامة ، وفيها يدا بطل مصر ابراهيم باشا ،
مستشفاها الذى يداوى الناس فيه هو بناؤه ، أقامه مستشفى للعسكر
فبقى ، وعلى رأس قلعتها المخربة ثكناته العامرة لاتزال مستعملة ، وإن
كانت مع الأسف يسكنها الفرنسيون

وتنقسم المدينة الى قسمين متباينين قسمها القديم ، شرقيّ بحت ،
على ما وصفه ابن بطّوطة في رحلته ، قيساريات مسقوفة تحيط بمسجدها
الجامع من جنباته الأربع على شكل الفحامين بمصر ، وفيها كل ماتحب

أن تشتري، وبها الدور القديمة وسكن أصل البلد. أما قسمها الجديد فهو القسم الأشهب، شوارع واسعة مستطيلة مفروشة بالمكدام والقطران، تزيناها دور جديدة متراصة مبنية بالحجارة الشهباء، لا يعلو أكثرها عن ثلاث طبقات، والسماء بها متدانية اللون، متباهية النور، وفيه كثير من اليهود وأهل الثراء ومحالّ الفسحة وأبنية الفنادق. ويقول صاحب «قاموس الأمكنة والبقاع» إن الزلازل دمرتها في سنتي ١٨٢٢ و ١٨٢٣ ميلادية فلعلها كانت أزيد مما رأينا، وإلا فانها أغمر بلاد سوريا وفلسطين، بل لا أثر فيها للحرب الكبرى وفتنة الثورة على الانتداب الفرنسي، كأن ابتعادها عن العمار دفع عنها الخراب، ولكن كاتب الفندق الذي كان يخدمنا على الطعام أبان لنا سبب سلامتها من البلاءين، قال: إن أهل حلب يحفظون ويعملون بالمثل القائل: (من تزوج أمي قلت له ياعمي) فنحن كنّا مع الترك إلى أن جلوا فصرنا مع الفرنسيين إلى أن خلت حلب للعرب فلم ننزع أحداً

وصبغة حلب لا تزال تركية، واللغة التركية فيها فاشية، ولكن لا بد أن تنقرض في الجيل الناشئ، لأن الترك لم يبقوا لهم في بلد احتلوه أثراً يذكرهم أو يعلّق أهله فيهم، فالعربية اليوم في سورية قوية مستولية على مناحي الحياة في أبنائها يدعو بها الناشئ والذاهب — وهذه النعرة خالصة لأرومة العرب، سمعت في كل مكان نداءها والدعاء بحياتها لا يقولون سورية، ولا لبنان والحجاز، ولكنهم يقولون «العرب» وهي دعوة في مصلحتهم بحق، إذ يتعلقون بثمانين مليوناً ينطقون الضاد

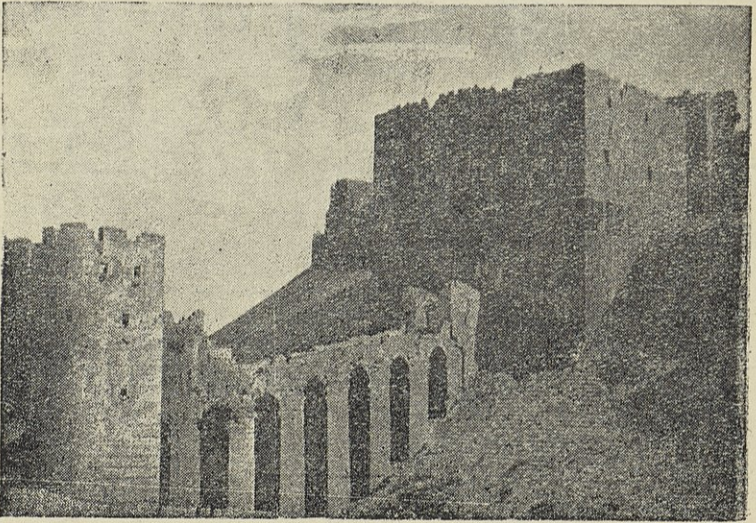
ويفتخرون بهذه الجامعة التي نشرت حضارتها في العالم وركزت راياتها من
قديم على هام الدول

وبهذا الروح العربيّ فاتوا مصر ، ومصر بتخلفها عن تقمّص الروح
العربيّ تخسّر في بلاد العرب وأرض الشرق خسارة لا يحسّ بها أبناءؤها
والخسارة تلاحقها في كل يوم عمّا قبله بميزان طاع ، وقد ظلت مصر قلب
العرب وروح المشرق مادامت رافعة يدها بمصباح العربية تنيره للمشاركة
من صحن الأزهري ، وتديره على أرجاء الإسلام من قلوب علمائه الذين
لهم أعطر ذكر في أرجائه ، فاليوم وقد أخذت بالدعوة « الفرعونية »
طوراً ، وطوراً بالدعوة « الوطنية » وهجمت عليها ريح التفرنج ، وتقدمت
« الجامعة » تضغط الأزهري ، وتلهي علماءه بفتات الدنيا وفرغوا للراتب
والمظهر ، ثم جاء الحجاز يطلع على أتانته يصدّ « المحمل » عن الحرم ، فلا
تُحمّل كسوة الكعبة لها من مصر ، ولا تغدق خيرات مصر على أهليه ،
وطلعت « فاسطين » في الزمن الأخير ببدعة « المؤتمر الاسلامي » وفكرة
« الجامعة الاسلامية » ونعق الناعبون من جنبات الأرض على مصر ،
فتعدّى كل ناعق صوته ، وسكت الأرفعون صوتاً ، والأعلون رأساً ،
وهم الذين كانت مصر تُشير بهم على الاسلام ، وتلوّح للشرق ، أقول ان
مصر بهذا أخذ مجدها يأرز من بلاد الاسلام وأرض العربية ، وإن لم
يتداركها ذوالقوة والحول وصاحب النظر الصادق بما يمدّه به قلبه ويقينه
ويحفظه لملكه وسلطانة ومصره وشعبه ، فيهيّب بأصحاب هذا التراث
ان يهبوا للحفاظ عليه والعمل للارتفاع به واستبقاء مجده بل مدّه وإمداده

ان لا يكن هذا فان العواصف تنوح من النواحي وها هو الصباح يوم مض
ويخفق ولا أرانا الله يوما ينفذ فيه الزيت من قتيلته

قلعة حلب - ومسا جد الشام حكاية الكنافة وقسمة الأرزاق

قلعة حلب قديمة قبل الإسلام عليها الطابع الروماني ، والصور
المنحوتة على الصخر تمثل الحيوان المفترس والتعبان النافث والطير المقتنص
وجاء المسامون فاستعملوها وانتفعوا بها ، ثم وضع ملوك مصر أيديهم
عليها فأطروا جبينها بأسمائهم ، وكتبوا على طرازها آيات القرآن وحوادث
التاريخ ، ويقول «أبو الفداء» إن «هولاكو» أمر سنة ٦٥٨ هـ بتخريب



قلعة حلب

أسوار قلعة حلب وأسوار المدينة خربت عن آخرها ، ووصفها « ابن جبير » وصفا متقنا وذكّر أن لها سورين ، ثم عقبه في القرن الثامن « ابن بطوطة » فنقل وصف ابن جبير كأنه استغنى به عن وصفه لها ولم يذكر بها خرابا مثما شاهدناه في زيارتها ، فقد أصبحت الآن كأنها كومة تراب ، ولا أعرف تاريخ خرابها إلا أن يكون سنة الزلزال فاعلى أعثر عليه أو يفيد من يعرفه

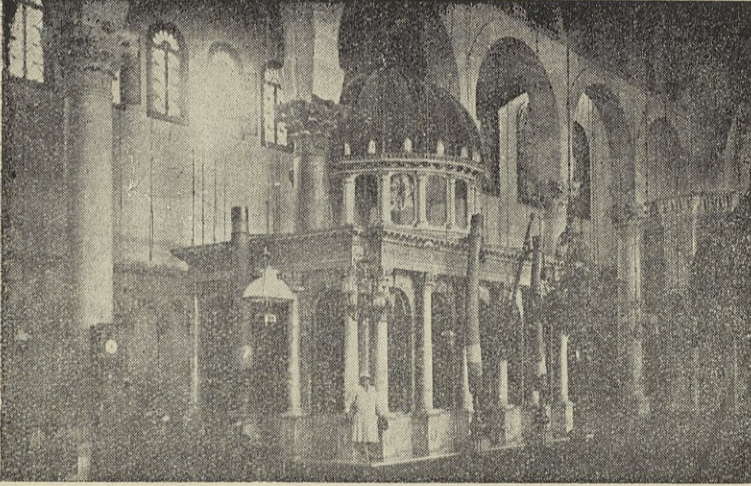
أما القلعة فنحوي البلد ، بنيت على تلّ وحوطت بالأسوار ، وجعل لها خندق يحيط بها كان مغمورا بالماء ، لم يبق منها اليوم إلا هدم ونقض ، ولا قائم بها إلا مسجدان صغيران ، أحدهما ينسب لأبينا الخليل عليه السلام ، والثاني كتب عليه اسم « محمود بن زنكي » كانت جدرانها مكسوة بالقيشاني وسرقت ، وكسره باق تحت الجدران ، ولها على أعلى القمة مئذنة مربعة قائمة في الهواء صعدتها ورأيت البلد منها في منظر يشرح الصدر لا يفوقه في حسنه إلا منظر دمشق وقد رأيتها من سطح الفندق ، فهي دراري منظومة في دائرة تحوطها ، نصفها جبل ونصفها شجر ، فن شماليها وشرقيها يحنو عليها جبل (قاسيون) ، ومن الغرب والجنوب غوطة دمشق بأشجارها الغلباء وخضرتها الحواء ، ومنها تسلك جيش خالد بعد أن ملك قرى الغوطة وكانت مساكن غسان ، وهناك على ثنية قاسيون أثره في فتوحه ونصرته ، ومنها إلى اليوم يخرج طريق الحاج وقد أخذوا في حلب يبحثون القلعة فنقبوا في التلّ وعثروا على سرداب يؤدّي إلى منبأ مبني تحت الأرض يصلح لمقام الجند وادّخار

الزاد ، دخلناه فاذا به صلد والنور ينبعث فيه من قبته على رأس التل ،
وكشفوا مقعد السلطان بيبرس وهو في عظمته يُناسب هذا الماجد الذي طوّق
الاسلام منته الباقية بإعادة الخلافة وإقامتها بالقاهرة بعد أن هُزم أسلافه
التر على أيدي المصريين الذين قتلوا هولاء الطاغية ، وقامت مصر عن
الاسلام بإزالة هذه الغمة الخائفة ، وتحت المقعد ظهر حُمام السلطان
بأجرانه وأحواضه ، ومن جانبي المقعد دخلنا سور القلعة الباقي وهو جدار
ضخم ذو صفحتين يسير الراجل بينهما ، وفيما بين الخطوات والخطوات
ترى برج السور مربع البناء في وسطه طاق يرمى منها المحصور حاصره
بالمقنوف في ذلك الزمان حيث بنى صحن صغير تحت الطاق لمناولة القاذف
ما يرى به ، وتحت القلعة من بابها القبلي مسجد صغير منسوب للسلطان
صلاح الدين الأيوبي كانت تقام فيه الجمعة ويصلى فيه سلطان القلعة ،
وبجوار المئذنة ثكنات القائد ابراهيم باشا المصري الذي اخترق بجند مصر
هذه البلاد وكتب بسيفها سطور عزّها على شواخها وعلايلها ويده راية
النيل يظالم بها أعلى دجلة والفرات ليركزها على ما تستحقه مصر في
ظالم الغمام



وزرنا مسجد حلب الجامع وفيه قبر منسوب لسيدنا زكريا ، ونحيل
إلى أن المسجد قبل الاسلام ، وهو على شكل المسجد الأموي ، وعلى
شكاه أيضاً مسجد حمص القديم ، وبقية ما رأينا من المساجد الضخمة في
الشام على هندسة واحدة ، بناء مستطيل نحو نصفه الطولي مسجد قائم
على اسطوانات تعلوها الحنايا ويكسوها السقف ، والقبلة في مكان المذبح

عند النصارى ، ونحو ثلثه صحن بطول المسجد فى وسطه نافورة تنبثق
فى ميسأة ، وباقيه من الجهة الشمالية « باكية » طولية فوقها غرف
سقفها فى مستوى السقف العام



مقام سيدنا يحيى فى الجامع الاموى بدمشق

فلو نظرت المسجد الأموى لرأيت من وسطه الطولى بنى بارتفاع
عن السقف وقد قبب فيه بابان ، وسار هذا العلو إلى مكان القبلة حيث
يقطعه خط آخر فى السقف عال من الشرق إلى الغرب ، كأن الخطين
يكوّنان صليباً إلا أن الترك أزالوه وجعلوا السقف خطوطاً طولية
عالية هابطة أشبه شئ بسقوف « الشون » عندنا أو بسقف سوق الخضر
الجديد ، ولا يزال فى المسجد الأموى قبر سيدنا يحيى بن زكريا وهو كن فى
الكنيسة قبل أن تصير مسجداً ، وعلى جزء من الجدار القبلى للجامع

الأُموي علامة مكتوب عليها « قبر النبي هود » ويقال إن هذا الجدار وضعه نبي الله هود ودفن فيه ولكن أين الشام من الأحقاف بلاد عاد قوم هود ؟



أما حكاية الكنافة فهي تريك كيف قسم الخالق الرزق بين عباده ، وتصوّر لك مثلنا العامى (تبقى فى يدك وتقسم لغيرك) فحب الشهباء اشتهرت بأكلة « الكفتة » ولا نظير لها فى الشام ، واشتهرت بصنع « الكنافة » المحشوة بالقشدة فعزّ منا أن نأكل الشهيرتين ، وجيء لنا بهما فى الفندق ولكن بطّيح حلب وحلاوته كفتتى عن تناول الكنافة حفظ رفيق الأخ الاستاذ الشيخ محمد رزق صقر نصيبى من الكنافة ثم سافرنا ونسيه وأنسيته حتى جئنا الاسكندرية بعد خمسة أيام ، فلما فتح سَفَطَه رأى نصيبى ملفوفاً محفوظاً فجاءنى به فى الغرفة يقول : « ألا تذكر كنافه حلب وما تأكلها ؟ » فأعطيته بحاله لخدام الغرفة ، سرّ النبوى وقال : « ما هذا ياسيدى ؟ » قلت له « ياسيدى أنت ، هذا كنافه حلب المشهورة حملها من مكانها قاضيان حفظاها وحرّم أحدهما نفسه منها لتأكلها أنت يا صاحب القسمة فيها كما أراد خالقها مقسّم الأرزاق »

بعليك - كرك - الارز - النجعة

لعل أقدم اسم عندى باق فى خزانة الحافظة من أيام الأزهر وحضور دروس النحو هو اسم (بعليك) ساقه النجاة مثالا على التركيب المزجى يمنع من أجله الاسم عن الصرف ، ومرت على ثلاثون سنة للآن لم أحصل فيها أكثر من أربعة أسماء أو خمسة أضمتها الى هذا الاسم الذى تقنن الشراح فى معناه ، وكان الشيوخ يقولون لنا عنه العجب ، وهو اسم فينيقي مركب من « بعل » و « بك » فسرها العرب « الصنم » و « البلد » وترجمته اليوم « بيت الرب » وهو هيكل قديم فى ركن من أركان البلد الذى سمي باسمه ، قائم فى سهل البقاع ، ما إن علمت قربه من « زحلة » وأنا بها حتى امتطيت له « أو تومبيلا » قطع نحو ساعة حتى وصلناه ، فاذا بالهيكل خراب ، قائم ومنقوض ، تدخله فيدلك على عظمة بنائه أولا . وعلى عظمة ما نزلت به الحوادث ثانيا ، وقد استغلتته جمهورية لبنان فأقامت عليه مكسأ يدفعه الداخل « ليرة سورية » غير نصفها أخذه من زعم أنه دليل وهو شر جهول

والهيكل شامخ البناء عظيم الاحجار ضخمة العمدة ترى العمود على بعد فتظنه فى قيامه ممسوقا ، فاذا قربت من عمودنا ثم أعظمت ضخامته . والشرفات للباقية ذوات رواشن ، كل روضن صخر منحوت على شكل حيوان أعد مجرى للسيل وفم الحيوان ميزابه ، وهو فى الاصل ثلاثة أو اوين للكهنة والهيكل وأظن الثالث كنيسة بناها المسيحيون فى فناءه



المؤلف و هيكل بعلبك

تهدمت الآن إلا آثار جدرانها ، والهيكل الباقي بناء به مكان المذبح
والأبواب التي كان الكهّان يدخلون منها في جوف الجدران ليقولوا
وسط الصنم ما شاءوا من غير أن يراهم أحد ، ويُحيط به دائر يقوم على
الأعمدة الضخمة بسقف رفيع مستطيل مثبت على جدار المعبد ورءوس
العمد ، وزينة ما فيه الأعمدة بعمائمها وعليها تلك الحيوانات الحجرية
المنقوشة أو الملونة بهندسة واحدة تُعطيك صورة يزنطية تراها في أبنية
الترك القديمة بقصورهم الموقوفة في القاهرة أو مساجدهم الباقية للآن

حاشا فم الحيوان ، وفي ركن منه بناء أقامه العرب قلعة لجندهم لاتزال
 باقية غير مهذّمة ، ولعلّها هي التي يذكرها التاريخ في كثير من المبالغة
 وهناك بناء منفصل صغير قالوا إنه بقية من دار المحكمة التي
 يجلس فيها قضاة الدين في ذلك الزمان ويسمّيه بعض المؤرخين « هيكل
 باكوس » أي « إله الخمر » أصبح سائر اليوم أرضا تُزرع ، وألطف
 ما حفظته ما نبّئني اليه المصوّر في الهيكل ، قال : إن هذا هو
 (هليوبوليس) بناء أصحابه على الحرف الأول من اسمه (H) باللاتيني
 وقد كشف الآن فنزلته فاذا بأقباء ثلاثة على رسم هذا الحرف ، قبوان
 مستطيلان يصلهما قبو ثالث في جدرانها أبواب ومغاور وغرف كأنها
 « البدروم » للهيكل ، وصحيح ما قال . فإن اليونان يُسمّون هذا المعبد
 « هليوبوليس » أي « مدينة الشمس » ويزعم الزاعمون أنهم نقلوها عن
 مصر ، ويقال اليوم إنهم سيعيدونه على شكله الأول ، وما أدري من أين
 يجيء المال ولا من هو صاحب تلك المهم

ثم ذهبت إلى الجانب الآخر من البلد حيث « رأس العين » التي
 يسقون منها ، فرأيت مسجدا لم يبق إلا حوائطه ، نسبوه إلى السلطان
 بيبرس فترسّمت على السلطان بيبرس ، لم يبق من مسجده بالقاهرة
 وبعلمك وحلب إلا حوائطها على عظم بانيها وسعة مبانيها ، فسبحان
 وارث الامم

واذ كنا بزحلة عرفت أن « الكرك » بجوارها ، وجوارها بلد اسمه
 « المعلقة » كانت مع لزقها بزحلة واتصالها بالجبل تابعة لسوريا أيام الترك

ولم يرضوا أن يدخلوها في حدود لبنان . وهذه « كرك » بسكون الراء غير « الكرك » بفتحها فتلك في البلقاء أو شرقي الأردن . كنت سنة ١٩٢٢ ، أزور بالخليل قبراً منسوباً للنبي نوح فعرفتني المرحوم السيد ابن عقيل ونحن في الحجاز ، أن للنبي نوح قبراً آخر بالكرك فبقى علمه بذهني وظننت ما سمعته بزحلة محلّ فائدة الشيخ ، فإذا به الكرك بالسكون قال سادته : إنه الكرك بن نوح : قبر طويل نحو من ثلاثين متراً ، في ضيعة صغيرة يسكنها المسامون وبجواره مسجد ضائع وعلى القبر أثواب نساء وأطفال يهديها المتبرّكون والناذرون ولا ذكر له فيما قرأت

أما الأرز ، فهو تلك القنّة الشاهقة في ذرى لبنان حيث احتجزوا لها سوراً على نحو أربعائة شجرة بهذا الاسم لانظير لها في الجبل ، والأرز شجر أقرب شجراً إلى شجر الأثل ، يرفعون أمره إلى آلاف السنين ويذكرون عنه حوادث لا يئنا الخليل . ويقولون إن هيكل سليمان أخذ خشبه منه ، وبه شجرة طولها ٤٥ متراً وأخرى محيطها خمسة عشر متراً ، وهو أملس مستقيم الأغصان رفيع الورق متضامّة تسمع منه ذلك الصوت الموسيقى الذي طالما سمعته الفلاحون حفيفاً طالعاً من ورق الأثل إذا صفاه له الهواء خرج بايقاع يُعذّر الناس فيه إن قالوا إنه صوته وهو يذكر الله

وفيه شجرة مكتوب عليها اسم (لامارتين) وهو الشاعر الفرنسي الذي طار بذكر لبنان وتغنى بشجر الأرز ووادي حمانا ، وفي منبسط منه بين دائرة من الشجر قهوة تحس بردها في حمارة القيظ ولا غنى لطالع

الأرز من جلسة بها ، وأهل الجبل يقولون للسائح هناك : إن لم تر الأرز
فكأنك ماجئت ولا سحت : وهى شنشنة يعرّفها الزوّار من أهل الجبل ،
كلما حلت بلداً ذكروا لك محاسن غيره كأن الإحداث طبع فيهم ، وإلا فبلد
تقيم فيه وتنعيم براحتة يغنيك منظره عن سائر



قال لى صاحب الفندق فى بيروت « شتاء مصر ، وريبع دمشق ،
وصيف الجبل ، وخرىف بيروت » أخذ صاحبي لبلده ثلاثة أرباع العام
وترك لمصر ربعة . فأما الصيف فقد صدق ، لا صيف إلا بالجبل ، وساحل
الشام فى الصيف لا مقام به ، أو كن بمصر فى الصيف فإن ريح البحر يهبّ من
الشمال فصاحت ثغورها أن تكون مصطافاً حين لا ريح يهبّ من الجنوب
على ثغورها فهم لهذا يصطافون بالعالية ، فأهل بيروت ومن إليهم يصعدون
الى لبنان الجنوبى ، وصوفر مصيف « البيارثة » ومنهم من رأينا بأهدن ، وأهل
جونية ومن إليهم يطلعون ذرى كسروان وهو وسط لبنان . أما ساكنو
طرابلس فلم يسموا شمال الجبل ، بل لقد رأينا من أهل الجبل من لهم فيه المشتى
والمصيف كأهل « زغر تا » يسكنون « اهدن » فى الصيف فإذا جاء الشتاء
عادوا لها ، وقيل لنا : إن صاحب كل دار فى زغر تاله دار بأهدن ، وأهدن
حتى على المصيف بالولا أنها الآن خلوا من المدنية ودواعى الراحة للمصطاف ،
ومترو دمشق يصطافون بالزبدانى ، وهو بلد استضافنا فيه السيد تاج الدين
الحسنى رئيس الحكومة حين كنا هناك ولعنى به حكومته فبنت فيه فندقاً
يكافئ أربعين ألف جنيهه يعدّونه لمنافسة فنادق الجبل واجتذاب الناس إليه



قال لنا جبلى من أهل بشرى : إذا كان الشتاء حصرنا الثلج فبقينه
 فى الدور أربعة أشهر لا عمل لنا إلا أن نصطلى النار مما نخطبه فى الجبل
 ونعده لها ، وبجوارنا الزيت والبطاطا نأكله - قال سمعته الله على دينهم -
 وشرب العرق وحلو الحديث

القرآن والسياسة

شغلتى رمضان عن متابعة الرسائل ولكن رنين الاستحسان الذى
 شجعتنى به القراء غالب الكسل ، وأريد اليوم أن أكتب فى موضوع
 إن لم يكن من الرحلة ووصفها وذكر ما لقيته بها فإنه فصل جليل القيمة
 عظيم الأثر أضعه أمام المفكرين والمصلحين الذين يأخذون بأيدي أممهم
 الى العلا ويزكّون عن مواهبهم التى رزقهم الله زكاة الجاه والفائدة للبيئات
 التى يعيشون فيها والبلاد التى أخرجتهم وجعلت لهم بين أهلها مكان
 القدوة والتأسية - موضوع السياسة فى القرآن أو القرآن والسياسة -
 فقد تفرّد القرآن إذ يذكر أوصاف المؤمنين والمؤمنات والقائمتين والقائمتات
 والمتصدّقين والمتصدّقات الخ ، فذكر لهم عطفاً على هذه الصفات الفاضلة
 المكملّة للإيمان والراقية بالإنسان فى درج الإحسان ، ووصف السياسة وفضيلة
 السير ، فقال جل شأنه فيهم «السائحون»^(١) الآية ، وقال سائحات^(٢) الآية

(١) فى قوله تعالى بسورة التوبة (التائبون العابدون الحامدون السائحون
 الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود
 الله وبشر المؤمنين) (٢) فى قوله تعالى بسورة التحريم (عسى ربه إن طلقكن

فالسياحة في نظر الخالق وصف للمخلوق مشرف ومكمل ، معطوف على
الأوصاف التي تواضع العلماء على عدّها من كمالات النفوس وفضائل الخلق
ذلك لما في السياحة من فوائد وعوائد يعرفها ويذوقها من يعرفها ممن
ساح وسار ودخل الممالك والأقطار ، يعرفها فضلاً في نفسه وسعة في علمه
وزيادة في يقينه وبرهانا حقاً يزداد به تثبيتاً في اعتقاده بالله وأنه الخالق
الواحد المنفرد بالخلق والايجاد والقائم على كل نفس بما كسبت والظاهر
بآياته في مخلوقاته ظهوراً يجتليه السائح ويامسه في مظاهر أوسع ومشاهد
أمتع وآثار مختلفات ومناظر متعديّات ، مجتمعات ومتفرقات الى آخر
فوائد السياحة التي نبسطها ونشيد فيها ... ولكن بعض المفسرين عفا الله
عنهم ، فسّر قوله تعالى : السّائحين والسّائحات ، فأخرجها عن لفظها ونأى
عن مرادها الى مارآه هو لا ما قاله الله ...؟؟ قال الشيخ : السّائحون والسّائحات
أي الصّائمون والصّائمات؟؟ قال : لأن نفس الصّائم تسيح في الملكوت؟؟
ويخطر ببالي في هذا التفسير حديث صحيح أذكره بمعناه وقريباً من
لفظه أن النبي ﷺ دخل المسجد فرأى أعرابياً يدعو ويقول في دعائه
(اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً) فقال له النبي ﷺ (لقد حجرت
واسعاً يا أعرابي ، إذا دعوتهم فعمّموا) . فشيخنا المفسر إن لم يكن مخطئاً
في تفسيره تماماً فقد حجّر واسعاً بقصره السياحة على نفس الصّائم تسيح
في الملكوت؟؟ وأين إذن نفس المفكّر في الملكوت وهو غير صائم؟
أن يُبدله أزواجاً خيراً منكّن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات
تبيّبات وأبكاراً)

وهو ينظر في الملكوت ويتفكر فيه بأمر القرآن (ربنا ما خلقت هذا
باطلا سبعا نك ففنا عذاب النار) الآية وقد كتبت إلى الأستاذ البركة
الشيخ عبد الحافظ عمار عالم سيناء جمع لي في كتاب أرسله إلى من العريش
أربع عشرة آية نزلت كلها في حث المؤمنين على السير في الأرض والمشى
في مناكبها والتفكير فيما صنع الله بها وما فيها من آية ، وأن ينظروا عاقبة
من كان قبلهم من الأمم عمروها أكثر مما عمروها وجاءهم أمر الله فلم يغن
عنهم ما فرطوا في اتباع سنن الله الذي سنه لعمارة الكون وسن هلاك
مخالفيه ، سنة لا تبدل فيها ولا تغيير ولا محابة لمسلم على كتابي ولا لكتابي
على وثني بل هي سنة طبيعية تتبع نتائجها مقدماتها وتنتج مقدماتها
نتائجها قاضية على كل مخلوق بحكمها ، لافتة كل ساكن في هذه الأرض
إلى قضاء ربها ، وأنه قضاء يصدر عن قانون اجتماعي وضعه الرب في
أزله وكلت عباده اتباعه ، وجعل وراثته الأرض للصالحين منهم وضياعها
للمترفين الخارجين عن أمره الخ وهي آيات ترى الخلف أي شأو كان
لسلف في إكبار فضيلة السياحة والتمسك بها والارتفاع بأثارها ونقل
العالم بالرحلة بعضه إلى بعض حتى يمتزج ويتداخل ويتقارب ويتعارف فإ
جعلكم الله شعوبا وقبائل إلا لتعارفوا

السياحة وأثرها

تنقّلتُ بعملى الحكومىِّ فى مناطق متعدّدة بمصر : كفر الشيخ . ببا . أسيوط . دميّاط . العريش . شربين . زفتى . ديروط . الجزيرة . قليوب . مصر الخ الخ أى غير مناطق أخرى اقتضى العمل نقلة لها وبلاد قصدناها للزيارة والفرجة ، وخرجت من مصر إلى الحجاز وفلسطين ولبنان وسوريا وطوّفتُ بعض مدنها وقرأها وعرفت عدداً من إخوان بهذه وتلك لولا النقلة والسفر ما كنّا نعرفهم ولا تربطنا بهم صحبة ، كما عرفت مما شاهدت من زات اختصّت ببعض البلاد والأفراد ، فهل يدرى القارئ أنى أتتبع أخبار هذه البلاد كما أتتبع أخبار بلدى « كوم النور » وأقرأ ما أراه مكتوباً عنها فى الصحف أو الكتب بشوق واهتمام كأنها كلّها بلدى ، وأنباء أهلها وساكنيها تهمنى ، والسؤال عمّن عرفت فيها أو سمعت بهم يجزى على لسانى ، ولكلّ من هذه النواحي ناحية من ذهنى حتى لا أحس بعطف متبادل بينى وبينها ، بل لقد اشتدّ تعلق بعضها حتى يعدّنى بحق (بلديّه) وأعزّ له أنا هذا الحقّ وأجد فى قضائه لذّة الوفاء ، ولا أزال فى سرور منذ سنة ١٩٢٣ م وستها حبّجت وكنت مندوباً عن الحكومة فى باخرة فأزكى خروجي للحجّ الرغبة فى عدد كثير من أهل العريش وعربان سيناء أن يخرجوا ويكونوا معى حبّاً فى الرفقة بسبب المعرفة وأنى كنت ببلدكم . كذلك من يقابلنى من أهل هذه البلاد يقول لى إنه يتتبع أخبارى ويشغف بقراءة ما أكتبه ويتأثر

لما يُكْتَبَ عَنِّي أَوْ فِي إِذَا رَأَتْهُ عَيْنَاهُ فِي الصَّحْفِ ، بَلْ لَقَدْ يَذْكُرُ لِي أَشْيَاءَ
رَبِّهَا أَوْ رُبَّمَا أُنْسِيَتْهَا فَهُوَ يَعِيدُهَا عَلَيَّ وَيَذْكُرُهَا لِي كَدَلِيلٍ عَلَى بَقَاءِ
الصَّلَاةِ وَاسْتِدَامَتِهَا فِي الْوَفَاءِ . سِرٌّ مِنْ أَسْرَارِ التَّأَلُّفِ الْإِنْسَانِيِّ ، الْإِنْسَانُ
مَدْنِيٌّ بِطَبْعِهِ فَهُوَ يَأْلَفُ وَيَتَأَلَّفُ وَبِالْأُلْفَةِ تَتَسَّعُ الْمَعْرِفَةُ وَيَكْثُرُ الْخَيْرُ ،
وَأَصْلُ الْأُلْفَةِ الْمَعْرِفَةُ ، وَأَكْثَرُ مَا يَتِمَّ وَاجِ أَهْلُ الْأَرْضِ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ مَعْرِفَةً
وَأُلْفَةً إِنَّمَا هُوَ بِالزِّيَارَةِ وَالسَّفَرِ وَالنَّقْلَةِ وَالنَّجَّةِ وَالتَّوَاصُلِ مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَا ،
هَذَا يَنْشُرُ عَنْ هَؤُلَاءِ وَذَاكَ يَنْوُبُ عَنْ أَوْلَئِكَ ، وَفِي النَّفْسِ حَنِينٌ إِلَى سَمَاعِ
الْأَخْبَارِ عَنِ الْآخَرِينَ كَأَنَّ أَفْرَادَ هَذَا الْعَالَمِ يَشْعُرُونَ أَنَّهُمْ مُشْتَقُّونَ جَمِيعًا
مِنْ أَصْلٍ وَاحِدٍ فِي السَّمَاءِ عَنْ بَقِيَّةِ الْفُرُوعِ الَّتِي خَرَجَتْ مِنَ الْوَشِيجَةِ
الْأُولَى تَرْوِحُ بِالرُّوحِ الْجَامِعِ الَّذِي لَا يَتَخَلَّصُ مِنْهُ الْفَرْدُ مِمَّا أَجْهَدَ نَفْسَهُ
طَلِبًا فِي الْإِنْفِرَادِ . لَسْنَا نَنْشِئُ فِي فَوَائِدِ السِّيَاحَةِ وَلَكِنْ نَذْكُرُ بِتِلْكَ
الْخَلِيقَةِ الَّتِي تَرَى ذِكْرَهَا ظَاهِرًا فِي تَرْجُمَةِ السَّلَفِ الصَّالِحِ ، فَأَكْثَرُ مَا تَقْرَأُ
فِي تَارِيخِ الْعَالَمِ أَنَّهُ « طَوَّفَ الْمَمَالِكُ وَدَخَلَ الْأَقْطَارَ وَالْأَمْصَارَ » . وَكِبَارُ
الْمُسْلِمِينَ لِلْحَقِّ يَجْعَلُونَ مِنْ أَمِّ أَسْبَابِ الرِّيَاضَةِ تَكْلِيفُ الْمَرِيدِ أَنْ
يَسِيحَ ، وَفِي مِقَاسِ الزَّكَاةِ الْإِسْلَامِيَّةِ نَصِيبُ لَابْنِ السَّبِيلِ مِمَّا يُعَدُّ بِحَقِّ
تَنْشِيطٍ مِنَ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ لِلْسِّيَاحَةِ ، وَمِنْ أَمْثَالِنَا قَالُوا « مَنْ عَاشَ شَافَ
كَثِيرًا قِيلَ مِنْ سَاحِ شَافَ أَكْثَرَ » وَالَّذِي أُرِيدُ أَنْ أَتَوَسَّلَ بِهِ مِنْ هَذِهِ
الْمَقْدَمَةِ « وَقَدْ اخْتَصَرْتُهَا وَلَمَعْتُهَا جَدًّا » الْقَوْلُ بِأَنَّ السَّائِحَ إِذَا بَرَى فِي
غَيْرِ بِلَادِهِ خَيْرًا يَهُمُّ بِطَبْعِهِ أَنْ يَنْقُلَهُ لِبَلَدِهِ ، وَكَثِيرًا مَا رَأَيْنَا بَعْضَ الدِّينِ
تَقَلَّبُوا فِي الْبِلَادِ يَحْفَظُونَ مِنْهَا ذِكْرِيَّاتٍ عِنْدَهُمْ وَقَدْ يَتَّبِعُونَ فِي مَعَايِشِهِمْ

أو طرق حياتهم بعض ما استحسنوه في الغربية وألفوه ورأوا أنه خير مما كانوا فيه ، فأحب أن أعرف تأثير نفس السائح المصرى الذى رأى بعينه فى غير بلده خيرا كثيرا ثم عاد وهو يستطيع أن ينقل لبلده مثله ويفعله فيه ثم يكسَل ولا يفعل ؟؟ لما عدت العام من سياحتى هذه كان همى « أن أكتب » وهذا ما أقدر أنا عليه فى هذا البلد أن أكتب وأذكر . وهمى الآخر كلما رأيت قومى فى جهلهم ، فى ضعف صحتهم ، فى تباعدهم عن بهجة العيش وسرور الحياة ، فى تعلقهم من الدنيا بنصيبها الأتقنه الأزل ؟ الخ . همى هنا الحسرة ؟ حتى الشام ولبنان رأيت فيهما وجه الدنيا أبيض وأنفع وأرفع من مصر ! هناك صحة الأفراد بادية على الأبدان ، والفرح ظاهر على تقاسيم الوجوه ، وخفة العيش يحسونها فلا يُثقلون تحت كلِّه . ركبنا الاتوموبيل من حلب إلى بيروت نحو ثلاث عشرة ساعة فى طريق معبد ، أكثر من نصفه مكدم مقطرن ولا يجىء الصيف المقبل حتى يكمل باقيه ، وهنا ترى طرق مصر الزراعية كلها مصائب فى السفر ! هذا طريق مصر والاسكندرية بعد أن تخرج من « شبرا » لاتكاد تجد مكداما ، ويسافر المسافرون فى الطرق عندنا وكأنهم فى سرادق من العنبر مضروب عليهم لا يرفعونه حتى يصلوا ، لست أنعى على الغبار والعنبر فقط ولكن الطرق الزراعية التى تعد طرقا يتقابل فيها السابلة وتوصل البلاد بالعجلة والاتوموبيل كما هو عند غيرنا تكاد فى مصر تلحق العدم ، وقد قرأت فى حديث بالاهرام قريب أن طول السكك الزراعية فى القطر المصرى كله تبلغ سبعة آلاف

٧
١٠٠٠٠ كيلاو متر ، وهى للمليون كيلاو متر مربع مساحة مصر ، أى بنسبة
مما لا يأخذ منها الفدان طولاً يذكر

ولقد قلت لوزير من وزرائنا بعيد النظر سليم الفكر : ترى ياباشا
لو أردت أن تبقى فى مصر بقاء أبى الهول ؟ ترفع عن مصر الاسم الملعون
فى التاريخ وتفتح عيون بنى عمك فلا تعود ترى العمى ولا الحول ولا العور
ولا تمرض العيون بالرمد الحبيبي الذى يسميه أطباء العالم « المرض المصرى »
والذى ورثناه من أول جيل سكن هذا الوادى ، فاذا عملت ما اشير عليك
به أتيت بما لم يأت به الأوائل ... ؟ قال : ماذا ؟ قلت : تنزل على جميع
الطرق والجسور فى مصر فتعبدّها وتقتل الغبار منها فلا يثور ولا يهجم
على العيون ولو استنفدت فى هذا السبيل المال الاحتياطى ، فعين كل مصرى
عزيزة تساوى الحياة : وافق الوزير على صواب العمل وضرورته ووجوب
السير فيه قال : ولكن المال ، المال ثم روى لى قصة عن شركة فورد أنها
عرضت على الحكومة فى سنة ١٩٢٩ تعبيد السبيل فى مصر فتأخذ النيل
من أسوان الى رشيد ودمياط على شاطئيه بطريق مكدم مقير فى عرض
سته عشر متراً على حافتيه الأشجار ، فى نظير أن تترك الحكومة
أو تو مبيلاتها تدخل مصر بلا « جمر ك » مدة عشر سنين ، وقال إن حكومة
تلك السنّة رفضت ، ولكنى قلبت المشروع فوجدت العرض فى صالح
مصر جداً فأعدت الكرة على الشركة أسألهما فى أمريكا فكان جوابها
الرفض ، لأنها وجدت نفسها ستتكلف حوالى ثلاثين مليون جنيه فى حين
لا تخسر مصر ما يزيد على أربعة أو خمسة مليونات موزعة على عشر سنوات

أحكام السائحين

وقعت في رسائل أحكام عامة هي بلا شك مأخوذة من جزئيات وقعت عليها عيني ، وفي ظرف يكاد يكون خاصاً هو ظرف السفر ، وفي ظاهر من الأمر تحدّه طبعاً الغربّة ، وأن المسافر سائح لا منقطع للبحث والتحرّى والاستقصاء والمقابلة . ومع أن الشام ومصر قطر واحد متقارب العادات متحد اللسان مختلط بالطبيعة من أزمان ، ومن أبنائه عدد عديد عندنا يصحّ أن يكون عنواناً على أهله وبلده ، ومع أن مثلي يصحّ أن يصل إلى قلب المجتمع هناك ويتّصل بمختلف الطبقات والبيئات الخ . مع هذا كلّه فاني — كقاض — لا يمكنني أن أقول بجزم : إن أحكامي التي تضمّنتها رسائل هي أحكام قضائية ، مبحوثة بالدقّة والضبط والمقابلة والمناقشة : كلّ ما فيها أن الظاهر يجعل لها أرجحية الصواب ، لأن السائح الدقيق النظر والملاحظة النّاوي أن يكتب في رحلته ، يدفعه طبعه الفطري الى تحرّى الحقّ ومجاهدة الوصول الى الحقيقة خصوصاً اذا كانت أحكامه في مسائل عامة شائعة يحويها نظر المسافر والمقيم . أما الدّخول في دقائق العادات وأصول التقاليد وبواطن النفوس ودخائل العقائد ، والكتابة في منازع الالهواء وقوالب البيئات وحقيقة التربية وطبيعة الاقليم وأثره في تكوين ساكنيه ، ووجهة فهمهم ، وطريقة معرفتهم وعقليتهم الخاصة في فهم الأشياء ، فهذه مسائل عويصة لا يليق بسائح يكرّم نفسه أن يكتب فيها إلا بدرس وإمعان وإقامة وتفّيش ، وإن كتب فيها بالنظرة العجلاء

والخطفة الجامعة فهو إما أهوج وإما مغرض ، وإما يريد أمراً مدسوساً
 بنفسه من أجله ، لذلك كنّا إذا قرأنا لبعض السّاحين الذين وفدوا على
 مصر كتابة غير ناضجة ، مجموعة بالعجلة أو من سيّئ النقلة كنّا نضحك
 هنا ويثيرنا منها العجب ، لكن مع الأسف الشديد لا نصادف عند بعض
 الناس معدوم ، فأمثال هذه المقالات النّيئة قد تقابل من كاتبها مقابلة الكتابة
 المستوية ، ويتلقّى شعب الكاتب عنه ما يقوله في شعب غيره بالصدق
 والأمانة وربما تناقل الناس عنه ما كتب وأذاعوه أو أودعوه بطون
 الكتب فيصبح مع مرور الزمن كأنه حقيقة ناضجة عن ذلك الشعب
 المكذوب عليه . فهمة كتّاب الرسائل عن الرحل مهمة دقيقة أظن أنها
 لا تقل دقة وأمانة عن موقف القضاء من حيث علوق واجب الحيطّة
 والتحرّي بعنق الكاتب ، التحرّي عن المعلومات . والدقة في الاستنتاج
 منها حتى تبرأ ذمّته فلا يظلم من يكتب فيهم ولا يغش من يكتب لهم ،
 وكثيراً ما رأينا معلومات مقلوبة أو أسماء خاطئة طاش بها كتّاب العجلة
 فأضلّوا بها الناس وظلموا فيها الحقيقة . وكتّاب الشعب نفسه هم أقدر على
 وصفه والكتابة فيه إذا أرادوا بيانه والابانة عن حقيقته ، منهم من يظهر
 العوار ليصلحه ، ومنهم من يشيد بمواطن الافتخار ليحجّ به ، فن هؤلاء
 تؤخذ الأحكام بحقّ عن الشعوب ، وعلى هؤلاء تبعة السكوت إن لم
 يحلوا شعوبهم على عذبات أقلامهم تجلية يرى القراء فيها عوارها ونفارها ،
 وهذه كانت ميزة كتّاب العربيّة في الصدر الأوّل ورواة الاخبار والآثار
 وكتّاب الوعظ والسير ، ومن يقرأ كتاب « الأغاني » مثلاً يتبين منه

صفحة تعرض عصرها كشاشة الخيالة ، ومثل كتاب « الإحياء » للغزالي أو « قوت القلوب » لأبي طالب المكي مرأتان لكثير من الأخلاق والنفوس ، ورحلة ابن بطوطة إن كان صاحبها كتبها حسبما شرطنا فإنها رحلة جديرة بأن تُكتب بماء الذهب ، وإن كان العلامة المؤرخ ابن خلدون تشكك في بعض رواياتها واستبعد ما ذكره السائح فيها ؛ ولكن المثل الفقهي : « من حفظ حجة على من لم يحفظ » والشاهد يرى مالا يرى الغائب

مقارنات

(١) أظن أهل سوريا والجليل يصدقون إن قالوا « الشام للشاميين » ولا أقارن بمصر إن قلنا هذه الكلمة فحالنا معروف في المادة والأدب ، لكن أبناء العم يقطع السائح بلادهم فلا يرى أجنبياً بينهم ، وكنت كلما وجدت نظافة ووجدت نظاماً ورأيت خدمة جيدة وفكراً منسقة ومقاهي وفنادق ومصارف ومكاتب ومباني وأثاثاً ، كنت أظنه نعيم الغرب ونظام رجاله فتبين لي أن من رأيت وما رأيت « شاما وشاميين » وعلمت أن أهل تلك الديار لا يعرفون الدين (بفتح الدال المشددة) ولم يمدوا أعناقهم لبنوك أوروبا تغلها وتغلهم ، والمدنية بعد لم تترفعهم فاولجوا أبوابها التي ولجها بعض أبنائنا والتي فتحت الصهيونيون مصاريعها لآخوانهم في فلسطين فدخلها الطائشون منهم بالخلف والحافر ، ورأيت الصناعات الشامية هناك مزهرة فصناعة الحرير والنحاس والجلود والأقشة رائعة

مستعملة ، أما صناعة الأدب التي حذقوها في المهاجر وانتفعوا بها فليست هي في الرواج والانقطاع لها والتعيش منها بالكثرة التي كنت أظن ، أي ان هذه الصناعة ليست كصناعة المادة رواجاً واقتياتاً . وليس العمل الاقتصادي مقصوراً على طائفة فلعلّ القراء سمعوا بانتخاب المطران عريضة « بطريركا » للجبيل ، هذا المطران يكاد يكون أكبر اقتصادي هناك ، وهو صاحب القسط الأوفر في مصانع الكهرباء وملحقاتها بشمال الجبل المركبة على تيار مغارة قاديشا ، والدنيا الطيبة لاتنافي الدين الصالح ، والطيلسان الأسود لايعادى عمل الاقتصاد الأبيض ، ورجال الدين كانوا عندنا رجال عمل يكتسبون من قبل أن يصير الدين مستغلاً خاصاً ، وصاحب مذهب الفقه الحنفي وإمامه أبو حنيفة كان بزاًزاً يتجر ويُنْفِق من ربح تجارته على نفسه وتلاميذه إلى زمن الشيخ الإنبائي شيخ الجامع الأزهر فهو رحمه الله كان تاجراً كبيراً ومثرياً من عمله ، فتعجببُ معي إذن لمنع حكومتنا موظفيها أن يكونوا تجاراً مثلاً ؟ ماذا عليهم لو اتجروا في غير ساعات العمل واستعانوا بربحها على توفير مشاغلهم للتفكير في العيش من سَمِّ الوظيفة وهو سَمُّ الخياط

(٢) ويسرُّك هناك أن ترى المتعلمين عاملين . سائق الاتومبيل يتكلم الفرنسية ويُدرك معلومات قيِّمة يقدِّر بها نفسه وتقدره أنت بها ، وتراه أفندياً نظيفاً يصحّ أن يجالسك وهو يجالسك من دون غضاضة عليك أو عليه . وتلاميذ المدارس لا يستحيون أن يقطعوا إجازاتهم في مساعدة ذويهم على أعمالهم « جرسونات » في المقاهي أو كتبة في الفنادق أو

مساعدين للمناولة في الدكاكين . أما الطربوش عندنا فاذا وضعه الأُفندي على رأسه صار كمانعة الصواعق ، يمنع عنه كل فكرة تحوم به إلى العمل المنمر إلا الوظيفة والتبذُّك على كرسيها ، وهامى تى الوظائف قد ضاقت فسيضطرون إلى النزول لميدان إخوانهم ولكن هيهات بين نزول الاختيار ونزول الاضطراب حيث الرغبة وحيث السأم وحيث عشق العمل وحيث سدّ الحاجة على نية التفصّي عنه لأوّل فرصة

(٣) والدين هناك محترم ورجاله معظّمون ، يوم الأحد دكاكين النصرارى مغلقة ويوم الجمعة دكاكين المسامين مغلقة ، بل فى دمشق لا تزال الساعة تدور على عقارب الحساب العربى وأيان رأيت قسيّساً وجدت حوله هالة من عطف واحترام ، وفى دمشق وجدنا الشيخ بدر الدين الحسينى محدّث الشام يقعد له المستمعون يوم الجمعة فى انتظاره الساعة والساعتين والمسجد خاصّ بالناس ، وهنا تأمّح عاطفة لاهى غربية ولاهى شرقية عاطفة التمرّد على رجال الدين واقتحام رجاله وخاصة من المسامين وعلى الأخص من الشباب الناشئين ، وتسمع الرجل الذى تظنه عاقلاً يُلقى كلمته الجوفاء لايبالى أن تُصيب أكبر عمامة فى مصر وكأنه لم يأت أمراً إدّاً ، ونتيجة هذا وبال أخلاقى وانحلال من الروابط التى عصمت سلفنا تلك الأحقاب بعصم الإسلام وإجلال علمائه حتى كانوا يقولون « النظر فى وجه العالم عبادة » ويقولون « من سبّ عالماً فكأنما سبّ نبياً ومن سبّ النبي عدا المذهب » الخ نعم قد يكون هناك أسباب من أنفُس العلماء بعضهم مع بعض أو من حالاتهم الخلقية ولكن هذه الأسباب إن كانت فحها أن تقصر على

دائرتها ، ولكن ما نحن فيه فنريح صرصر عاتية تنزع رجال العلم بلا
جريرة ولا سبب إلا أن يشاء الله ويغير الحال

(٤) والصحة هناك ظاهرة جيدة والعيون لا تكاد تجد فيها القذى
فتتحرر على صحة المصريين وعلى ما تراه فيهم . اصفرار وهزال نشأ من
تراكم السكان وضيق البلد بهم أعنى ضيق بلد الرزق وإلا فصر أرضها
تسع أمثالهم عشرات المرات فهي ١٦٣ مليون فدان لو وجدت من
يستثمرها لا ثمرت كلها جبلا وسهلا بلا تلكؤ ولا ممانعة ، ولكن حب
الطينة جعل السكان يتراصون ويتداسون كأنهم « غلب السردين » ،
ورجال صحتنا معهم أشبه بمن يُحضر « الشوالى » قبل اللبن فهم يحافظون على
النسل ويحمون الطفل ويمانعون الطواعين وأسباب المنون من غير أن
يتصلوا بمن يفكر في عيش هذه الملايين اللاتي تزيد على السنين

(٥) لو أطلقت القلم للمقارنات لطالت وربما أملت وربما أخطأت
ويجوز أن تتأني لها فيما بعد أما اليوم فيجزئ عني في كتابة أهمها
هذه النبذة ، أنقلها من مذكراتي (بنات التجارب والفكر) مقيدة في سنة
١٩١٥ م تحت رقم ٦٢ :

- كنت مسافراً الى بيا ، فقابلني الشيخ مصطفى عبد الرازق (تعلم في
الازهر ثم ذهب الى فرنسا) فتكلمنا عن الحياة في مصر وفرنسا ، فحدثني
بما يحبب فيها عند القوم . قال لي « أنا كنت هنا شاباً وكنت أحس بأني
هرم فلما ذهبت الى فرنسا أحسست بابتداء الشباب وميزته ورأيت
عندهم نشاط الأمل بما لا يقاس » قلت « إن هنا ارتبنا كافي الحياة وقل

أن ترى من يَسْلَم من غمٍّ أو همٍّ أو فكرٍّ أو تبليبل بال « قال « ياليت يوجد عندنا المحزونون ، ان الحزن دليل على رقة الاحساس ، أما ماتراه في مصر فهو ارتباك جاء من تشويش الحياة » - ولقد عجبت هنا في نفسي وفيمن رأيتهم ، أني أرى الألم في معيشتهم أكثر من السرور والراحة ، إننا بعد أن خرجنا من المدرسة كأننا دخلنا معترك الهم وعالم الحزن ، عندنا خلق ضارٌّ هو ما يسمى « سوء التفاهم » أوّل ما يتبادر اليك من قول أخيك أو عمله إنما هو قصد الشرّ فتكيل له هذا الصاع . لأنّ لم أر جليساً ، أو موظفاً مرءوساً أو رئيساً سمعته يتكلّم عن رجل فأوّل أعماله على قصد الخير ، ذلك كله إنما هو من الظلم الذي تأصل في النفوس ولم تصنع التربية فيه شيئاً . أما الدين فلا أتكلّم فيه فإن مصر ، مصر المتعلّمة التي تزعم أنها راقية كادت تخلع بقية الرّبة الباقية منه في أعناقها فلا أثر له عندهم ، لقد كنت أشاهد آبائي وأعمامي رءوس العصر المنصرم يتكلّمون ويتحدّثون وتجيء سير الناس أمامهم فيحملونها على كلّ خير ويدفعون عنهم كلّ سوء وذلك من أثر تديّنهم ، أما الآن فنحن في زمان كجسد الأجرّب . اهـ

والنبذة قد تكون قاسية ، ولعلّ العذر فيها شباب القلم وشدة الحقّ حين يقول الشباب الحقّ فلا يبله ببلال مابعد الشباب ، ولكنّ الواقع أن السائح متى عاد لمصر أحسّ فرقا ، وشعر كأن تقسيم الحياة إلى فصول منتظمة ليقضيها المرء في سعادة ، هو تقسيم بعيد عن الحياة المصرية كثيراً أو قليلاً بحسب الظروف والأحوال

المصري الأُحوى - الخاتمة

أما المصري الأُحوى الذى أكتب فيه فهو « أخى البربرى » ابن النوبة واسوان . لست أنسى يوما فى سنة ١٩٢٢ كنت فيه بالقدس فدخلت متنزه البلدية هناك فلم أشعر إلا بضجة تشرح الصدر ، وكنت وزميلا لى بزى الشيوخ ، وفى المتنزه نوييون أربعة « جرسونات » ما كادوا يروننا حتى تركوا ما أمامهم وهروا لنا ولاقونا أحسن لقاء ، لقاء الأخ لأخيه الغريب ، صفوا الكراسى ونظّموا المائدة ووقفوا على خدمتنا فلفتت حرّكتهم هذه جميع المتنزهين وسرّتهم وسمعناهم يقولون « ايوه إخوتكم بارك الله فيكم » . وهذه الحركة عينها رأيتها العام فى فندق أمية بدمشق حينما لحنا من به من النوبيين هروا للسلام والتحية وهم البرابرة الوحيدون الذين رأيناهم بلبنان وسوريا . أما فى فلسطين فأخر بلادهم حيفا وفيها يبلغ عددهم نحو تسعين ولهم ناد ، ومنهم رأينا الإخاء ورفعوا الرأس المصرى ، وطنية من المصرى الأُحوى نذرت إن كتبت أن أشهد لها وأشيد بها وأُخسّ إزاءها ببعض المصريين البيض الذين صادف أن رأيناهم وكانوا وكأننا ما رأيناهم ، يغفر الله لهم وبارك فى سمر المصريين

وشارفت المركب أرض الوطن فتفزّزت النفس ومشى القلب فى الصدر وكِدنا نرى مانرى كأنه تمام لنا ، وكأنّ ضائعا كان فى نفس كلّ

منّا فلقيه فهو يتشوّف أن يضمّه إليه

كنت ليلتها نمتُ من أول الليل بعد أن غادرنا يافا وعهدى بماء البحر
الأبيض تجري فيه الفُلك كأنه ذائب الفيروز أو على الوصف الأدق
كأنه ماء الزنجار (الجزارة) فأنا أتلوّب على ريح الفجر وأسارق النظر
من الطاق فأرى البحر كدراً واللون مغبراً وكأن تياراً عاماً يغطّي ذلك
اللون الجزارى ! هل للون الماء راحة ؟ لا . ولكنى شمت ريح مصر
فى نومى من هذا اللون الجديد إذ قد حسبت أننا قبالة دمياط أو رشيد
وأن ما أرى إنما هو من النيل فكان ريح النمل روح الغبطة وديب
النشاط وأحسست ثقل النوم وبودّى لو كان كالثوب أخلعه

إن كان للغرباء الأتّبين إلى أوطانهم فرحتنا يوم أبنا إلى مصر
فما أظن أن لهم سرورنا بمنظر الشاطيء المصرى ومرأى مدينة الإسكندرية
وتسامى روح مصر على الوادى يتراءى للقادمين كأنه يقول لهم : هنا
أرض الخلود وأرض الأجيال

غسل السفر أحقاد الفؤاد ، وصفى العقل من وساوس الإقامة والعمل
ورجّ الجسم ومزج خلاياه بما لقيه ولاقاه ، وعاد المسافر كأنه خلق جديد
يرى من يلقاهم كلهم إخوة على أصل الفطرة يودّ أن يرى بشاشتهم
وينسى إساءاتهم ، يريد أن يستقلّ قطار الحياة من محطة غير التى خلفه
فيها إلى وجهة ينشد فيها السعادة عسى أن يجدها فى مصر كرهة أخرى

(كلمة شكر) كتبت بالشكر المقطع الأغر على تفضله بنشر رسائل هذه التي كتبتها عفواً لخطر وأثر ما بقي في الذاكرة، ولو كنت أحسب ما لقيته من اهتمام القراء بها لكنت أخذت مذكريات بما رأيت ودققت أكثر مما رويت، على أن هذا وإن كان من الصعب الحصول عليه هناك لعجلة الظعن ولقلة المواتاة فإن لطف إدراك القراء أغنى الكاتب عن الإطناب وأخص بالشكر « بارومتر » الصحافة العربية صديق الأستاذ خليل ثابت بك الذي ألقبه بحق « الدرّاة » فهو منقطع النظر في فهم حقائق الأشياء وإدراك ما حقه أن يكتب وما لا يكتب. وبفضل منه شجع صاحب القلم على أن أتم رسائله في سهولة جيّشت المعاني أمام قلمه حتى استطاع تسطيرها بهذا البيان

محمد سليمان

الجيزة - تحريراً في عيد الفطر المبارك سنة ١٣٥٠ هـ



كتب الرحلات ورسائل سائر

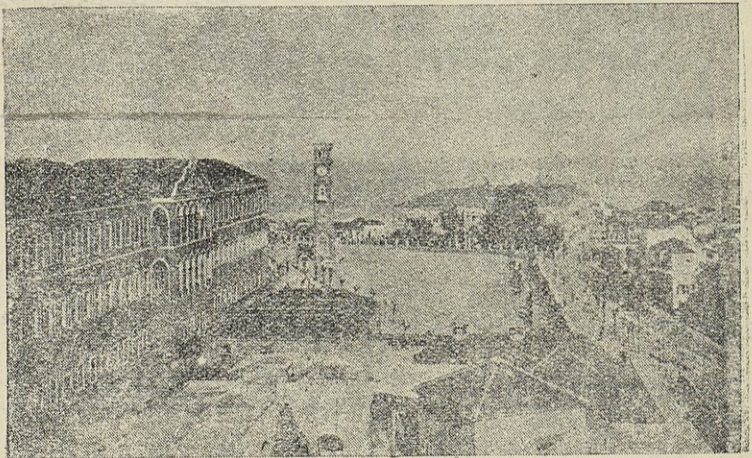
كلية المقطم في افتتاحيته يوم ٤ شوال ١٣٥٠ (١١ - ٢ - ١٩٣٢ م)

ما برحت كتب الرحلات في جميع اللغات في مقدمة الكتب التي يقبل الناس على مطالعتها لأن الناس مولعون بالوقوف على شؤون أشباههم من جيرانهم والبعيدين عنهم ، ولأن هذه الرحلات تدني منهم البعيد وترسم لهم صوراً يعامون أنهم قد لا يرونها بعيونهم ، والبشرية مفطورة على حب الاجتماع

وقد نسي الناس أسماء ألوف من الملوك والامبراطرة والقواد والامراء والاغنياء ولكنهم لم ينسوا أسماء هيرودتس ، وعوليسوس ، وزنفون ، وكولبس ، وابن بطوطة ، ودي غاما ، واستانلي وأمثالهم . ولا تزال رحلة ابن بطوطة من ألد مادون من الكتب بالعربية

ومن الناس من رزق قوة الملاحظة وحسن البيان ولهذا كان إعجاب القراء كثيراً برسائل سائر التي نشرت تباعاً في المقطم وختمت بالرسالة المنشورة أمس ، فان كتبها العالم الفاضل والقاضي البارع والكاتب البليغ الشيخ محمد سليمان العضو في المحكمة الشرعية العليا جمع بين هاتين المزييتين وأضاف إليهما روح عطف كالتى صار الشرق المهذب يشعر بها نحو أخيه الشرق فيسعى للبحث عما يتجمل به من فضل وفضيلة ويعمد الى معرفته ودرس أخلاقه بما تنم عليه فعاله وأقواله وبناء قريته ومسكنه وما يحيط بهما وكيفية مقابلته لزائريه وما يبدو من مظاهر ثقافته فاذا رأى ما هو جدير بالنقد لم يُغمض العين عنه بل نبه عليه بروح الحب الذى ينقد

ليصلح ولا يغمز ليجرّح
وقد كان همّ كتاب الرّحلات من الشرقيّين مُتجهاً في هذه الأعوام
الماضية الى موافاة مواطنهم بوصف رحلاتهم الى بلدان الغرب ولهم في
ذلك كتب ورسائل كثيرة العدد ولكن قلّ من كلف نفسه درس هذا الشرق
الذي نحن منه وهو منّا ، والذي كان بعيداً عنا فيما مضى فقرّب باصلاح
المواصلات حتى صار البعد بين القاهرة وبغداد كالبعد بين القاهرة وأصوان
وعندنا أن الشيخ محمد سليمان وضع رسائله هذه مثالا لغير واحد من
كتاب الشرق نرجو أن يحتذوه وأن يعمل القادرون منهم على زيادة
أسباب تعارف الشرقيّين وتقاهمهم بما يدرسون من حالات أحوال شعوب
الشرق ومزايها كل شعب وفضائله وعيوبه وحاجاته وجهاده وماميزته العناية
به وما أفرغت من عطاياها وهباتها على بلاده ، فهذا الشرق عالم عظيم
وفيه قوى كامنة والمستقبل له إن شاء الله . اهـ



دار الحكومة ببيروت

في فلسطین

سكة فلسطين الحديدية

تمتدُّ سكة حديد فلسطين في أرض مصر نحو مائتي كيلو متر لم تنزع ملكيتها للآن من أربابها، ولا أعطوا عنها تعويضاً بدلاً من رقيبتها أو منفعتها، وهم لا يستطيعون أن يطلبوه، ولو طلبوا ما أجيبوا !
ومعلوم أن لمصر في هذه السكة شركة، فقد قامت بيد العامل المصري وساعدت مصلحة السكة الحديد المصرية فيها بقضبانها ومعاملها ورجالها و«عرباتها» وقواطرها، ولم تصفَّ هذه الشركة للآن بين الحكومتين، وأذكر أنه في العام الماضي قامت عجاجة حول هذه السكة ببرلمان إنجلترا انجلت عن وعد القوم ببقائها على ما هي عليه حتى يفصل في أمرها بين الحكومتين فيما استبقى للمفاوضات

أما حكومة فلسطين فكانها لا تعرف هذا الوعد ولم تعترف به، أو لم تعلم أن لمصر شركة فيها، أو لا تدري أن هذه المائتي الكيلو من رفح الى القنطرة تدخل في حدود دولة مصر المستقلة ذات السيادة، فأدارتها وعمالها ولغاتها وجميع نظمها بحكمها وتحت أمرها من غير عهد منها ولا كتاب اتفاق بينهما، ولم ترضَ لرجال العسكرية المصرية أن يركبوا فيها بنصف أجر ولا لرجال الدين المصريين . وفي العام الماضي طلبت ذلك

الى مديرها فبعد أن ردَّ على بانتظار جوابه أجاب برفض الطلب آسفاً .
ومع ذلك ، ومع أن أرضها مصريَّة تحرسها حكومة مصر وتقوم بحفظها
وكل ما يتعلق بها ، وما من سكة حديد بمصر للحكومة أو للشركة إلا
تخضع لهذه الميزة فاني لم أعاوده ولم أوسط مشيخة الأزهر لعامى
بالنتيجة سلفاً .

هذه السكة مزدوجة الخط ، وللتوسعة فيها ضيق على مصر من
أجل إنشائها ، فكم من جنبيَّة مجنبة بمصر رفعت ، أو خط للسكة
الضيقة بالصعيد أزيل ، أو محطة بعيدة استغنى عنها ، أو مخزن رفع منه
أكثر قضبانه ، ومع الوعد السابق ببقاء الحال على ما هو عليه فإن حكومة
فلسطين ابتدأت تنزع خطاً من هذين الخطين بكل ما فيه ؟ ويقال انها
ستستقيم بها الى الاسماعيلية بدلا من القنطرة فتوفر بذلك خمسين ومائتي
كيلو متر أو ثلثائة كيلو متر من قضيب الحديد تنتفع بها في جهات أخرى
من فلسطين . وقد رأيتها مبتدئة بنزع هذا الخط فعلا من رفح الى
القنطرة ، فأوجه إلى هذه المسألة العظيمة الشأن أنظار من تعينهم المحافظة
على حقوق مصر

بدء الرحلة

اعتزمنا السفر إلى فلسطين فطالعنا أنبأوا بالزعجات ، وصادف
يوم شخوصنا منتصف يوليو الذي ضرب موعداً فيها لمقاومة الانتداب ،
فلم تقلق ولم ندبر إذ كان الاتكال على الله قويا ، وليس يحزننا أن نرى

قوما من اخواننا بنى الشرق يكدّ حون ويجدّون فى سبيل الحياة ، ولا خوف علينا إذ كنّا عن الشغب مبتعدين ، على أنّنا رأينا السكينة والهدوء فيما مرّنا به من المدن والقرى وإن كان الكلام بدءاً وعوداً فى هذه القضية التى تهمّ أبناء تلك البلاد ولا يكادون ينسونها ، كما أنّها تهمّ بنى الشرق قاطبة ، وقد أتيح لنا أن نختلط بطبقات عدّة وكنا نسمع لهم فرأينا أحاديثهم تدور على ثلاث كلمات يكاد الإجماع ينعقد عليها «أولاً» الحسرة والندامة على حكم الترك وتمنى أيامهم أن تعود «ثانياً» الغضب على الشريف ورميه بكل كراهية «ثالثاً» التواصى بمقاطعة اليهود .

بئر سبع

آثار ملك زائل شيدت على أمل الخلود
تلك آثار الدولة التركيّة ببئر سبع وغيرها ممّا رأيناه للآن بفلسطين ،
آثار ملك زائل شيدت على أمل الخلود ، ببئر سبع بلد كأنّه فى مناخه
وأرضه وبنائه عين شمس أو مصر الجديدة ، أقامها الترك من نحو عشرين
عاماً على رسم الهلال ، فى سرّتها مسجد أبيض أفسح بمئذنة من طراز
مآذن القسطنطينية ، وفى وسط الهلال «سراى» الحاكم وداره ومكان
«البوليس» والمدرسة ودار البرق والبريد ، مبنية جميعها من الحجر الصلد على
نظام يسرّ العين بهاؤه ورواؤه ، مبانيها ذوات سقف من القرميد مدحجة
للمطر ، والشوارع واسعة متقاطعة ، وبها الماء والنور ، وفيها من بقايا
الترك أيام الحرب ما يهول منظره ويبقى على وجه الدهر يسجّل أن النصر

بيد الله يؤتیه من یشاء ، فلم یقیموا من استعداداتهم ما تقضى به الحرب ، بل أقاموها مشيئة من الصخر والحديد حتى « فنتاس » الماء موضوع على برج ، ومحطة الحديد مبنية بالحجر ، وهناك آبار حفرؤها على أعماق لا تكاد العين ترى فيها ماءها ، وسكة الحديد التي سافروا بها إلى قلب سيناء من المكدام ، ومفارش الحديد أشبه بقطع الخشب التي توضع عليها قضبان السكة في ديارنا ، وقد نحتوا طريقاً آخر للعجل يمتد ثمانين كيلو متر من بئر سبع إلى القدس يمر في وديان وجبال ، يتهم وينجد وكأنه خد العين من حسن استوائه ، في متانة وظرف تنظيم ، وهناك أسلاك البرق والتليفون وأنابيب الماء وما يسهل الحرب مضوا بها إلى قريب من « نخل »^(١) إذ كانوا ينوون أن يمدوا سكة الحديد إلى السويس نصاً مبتعدين عن الساحل وأساطيله ، ولا يزال المقاتلون ينقلون تلك الآثار للباة الذين استولوا عليها إلا قصوراً شاهقة في قلب جزيرة سيناء لم تدم ولا أظن هدمها بمستطاع .

وبئر سبع مركز كبير للتجار مع الأعراب وفيها الآبار السبع التي سُميت بها ، ويقال لها « بئر شيبة » وهي تحريف شعيب فإنها آباره أو آبار الخليل عليه السلام ، وهي عذبة لا تنضب ، عليها السواقي عالية فوق الدابة التي تدور تحت دائرة تسمى عندنا « الكبير » وفوقه « الصغير » وبه سهم متصل بالساقية يديرها ، ولكل بئر حرم مزروع نأى

(١) بلد بسيناء كان عاصمتها أخيراً قبل مسألة الحدود المصرية التركية

الزرع بهيج

يرفرف العلم الانكليزي على دور الحكومة . وكنت أظنُّ الانتداب لا يطوى في علمه مملكة انتدب لها كما في العراق حيث رفعوا له علما ، وفي سوريا حيث أقاموا دولاً بأعلام ، أما هنا فلا علم ولا دولة لفلسطين ومظاهر الحكم والسيادة والأمر والنهي للأنكليز ، وقد استبدلت لغتهم بلغة الترك ونشر تعليمها في المدارس وحذفت تلك وسبجان من يداول الأيام بين الناس

الخليل

حَبْرُون ، أو الخليل : أو خليل الرحمن ، مدينة حسنة البنيان ، مورقة الأغصان ، ذات كروم وعيون ، واليهما يُنسب العنب الخليلي ، وترى دورها كأنها أشجار ، وفي وسطها المغارة المدفون فيها سيّدنا خليل ابراهيم عليه السّلام ، وهي مغارة في « حَبْرُون » التي استوهبها تميم الداري رسول الله ﷺ ومعها ثلاث ضيعة قبل أن يفتح بها على المسامين فكتب له بها ولا تزال ذريته في قرية منها الى اليوم ، يحيط بها على أبعاد تكاد تكون متساوية كروم العنب وأشجار الزيتون والفاكهة وأرضها صخرية صلبة وطينها جيد تنمو فيه الخضر والزروع نماء كأنه يُسقى بماء النيل ، ويُسَمَّى أريجها والشمس في طفلها تلقى أشعتها على تلك الأغوار المكسوة بالأشجار وهي من أبهج ما تراه العيون وتقرّ به النفوس .

ويوتهم مقببة لاخشب فيها ، وهي أشبه بما تراه في مصر من

الحمامات إلا أن هذه من الحسن وجمال المنظر بحيث يظنّ الغريب أكثر الدور مساجد ، وكذلك يظنّ هذا الظنّ في بيوت « بيت لحم » لضخامتها وبقاء الشرقية عليها . ولها عيون تتفجّر من الجبال ولكل حارة عين فيها ، وفي بعض الدور والمساجد عيون خاصة ، عليها المضخّات ومآؤها تيمر سائغ عذب يروى الغليل ويشقى العليل

ركبنا من بئر سبع إلى الخليل على « كرّوسة » جاءت مصادفة يوم أحدٍ فاتتهزناها فرصة وقضينا عليها ثمانى ساعات في طريق شقّه الأتراك وهو يبتدىء من القدس إلى بئر السبع وقد يعلو النجاد ويتهم في كل واد بهندسة لولبية في منازل ومصاعده ، مرقوم بحجر على كل كيلو متر منقور فيه عدده ، وعلى كلّ خمسة كيلو مترات دار أقاموها لحراس الطريق ومصلحيه ، وقد نزع الانجليز أنصاب الحجارة من القدس الى الخليل فلم نرها ، وأما من الخليل الى بئر سبع فقد بقيت ورأينا على رؤوسها أعدادها بلغتهم مكتوبة بالجبر الأحمر فوق نقر الصخر الذى نقره الترك للأعداد والطريق من الخليل للقدس معنيّ بها ولا تكاد السابلة والحاملة تنقطع منها ، وأما ما بين الخليل وبئر سبع فقد كاد يهمل وتطرق اليه الفساد .

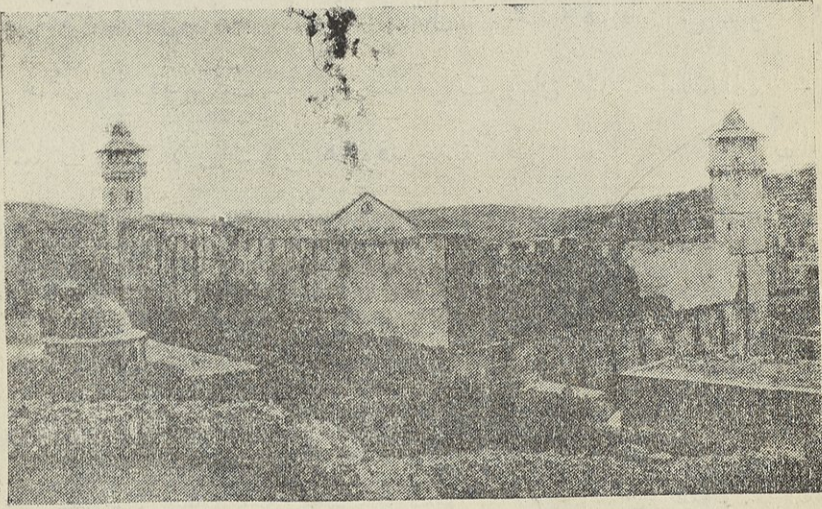
زُرنا خليل الرحمن عليه السلام في مسجده الذى شيّده المسلمون فوق مغارته ويقال ان سوره من بناء سليمان عليه السلام ، ولعل ذلك لعظمه وضخامة أحجاره وسمك جداره ، وذكروا لنا أن بنى أمية هم الذين شادوا بنيانه وفيه أعمدة على طراز مسجدهم بدمشق ، وتولاه سلاطين الاتراك بالاصلاح وآخر ما كان منهم أستار القبور الشريفة من نسج

القسطنطينية بأمر السلطان عبد الحميد رحمه الله ، وله لوح من الرخام في المسجد سنة ١٣١٣ هـ وقد أمر بكتابة سورة يس على جبينه فعمت جهاته الأربع كعصابة الرأس ، وفي مدخل الباب آيات من القرآن الكريم فيها ذكر ابراهيم عليه السلام . ورأينا هناك حجرين في جداره الايسر ، أحدهما قيل انه باللاتيني ، والثاني من المرمر منقوش فيه اسم السلطان الناصر محمد بن قلاوون وأنه أمر أميره تنكيز الناصري كافل الممالك الشريفة الشامية باصلاحه وانشاء هذه الرخامة في سنة ٧٣٢ هـ . ولملك الناصر هذا وأشباهه فضائل على أهل الخليل يذكرونها بكل لسان ممزوجة بشكر المصريين ، فهو الذي أنشأ بركة الحاج وقد رأيناها لسقاية المحملين المصري والشامي ، ووقفوا على المسجد ما يريـع أكثر من ستة عشر ألف جنيه في العام ، وقد حدثنا قاضي البلد أنه يصل الى عشرين ألفاً تفيض عن المسجد فينتفع بها أهل البلد أكثرهم ، وهناك رخامات نقشت عليها أشعار للسلطان عبد العزيز سنة ١٢٩٠ هـ وكتابة كوفية على جبين المنبر وغيره شيء كثير

يحيط المسجد بقبري سيدنا إسحاق وزوجه رفقة عليهما السلام ، ويواجهك من بابه قبر السيّدة سارة وأمهما قبر أينا ابراهيم وبينهما طريق الى صحنه وبعد الصحن الى الشمال قبراً سيدنا يعقوب وزوجه لائقة ، ويحيط بالجميع سور سليمان الضخم الذي ارتفع به سلاطين الاسلام حتى أعلاه وسقفوا عليه المسجد والقبور ، فكأن هذا الغار يحوى أولئك البيداء الثلاثة على أبعاد متساوية توازيها قبور زوجاتهم ، ومن وراء

السور قبر سيدنا يوسف عليه السلام ، وليست الانصاب التي كسيت
بستور الحرير والذهب أبنية القبور ، لا ، وإنما هي علامات فوق تلك
العظام الشريفة ، وهي في غارها على عمق يقال انه ٤١ درجة ، وكان في
المسجد على يمين المنبر طاق يهبط منه على درج يفضى الى ساحة مفروشة
بالرخام فيها صور القبور الثلاثة ، ويقال انها محاذية لها قال ابن بطوطة في
رحلته : (وقد نزلت بهذا الموضع مرات وكان هناك مسلك الى الغار
المبارك وهو الان مسدوداه) وقد حدثنا قاضي البلد أن جده ولى نظارة
الاوقاف فسد هذا الطاق أيضاً ، وقد رأيناه نحن مسدوداً ورأينا أمامه
في شمالي المسجد طاقاً معلقاً فيه قنديل رأينا به تلك الساحة وباب الغار .
حقق ابن بطوطة مدفن الخليل في ذلك الغار ، وذكر مثله السيوطي
في حسن المحاضرة . وقد ذكرنا لهم في الخليل أن الصلاة في هذا المسجد
هي الصلاة على القبر المنهى عنها . فقليل لنا : أن اعيان القبور عرفناها
وعلمناها بتلك الانصاب عليها فلا بأس من الصلاة في غيرها وقد مضى
السلف على هذا . وفي مدخل المسجد ست درجات عليها علامة في
الجدار لليهود لا يتجاوزونها إذا جاءوا لزيارة الخليل ابراهيم وأبيهم يعقوب
الذي هو اسرائيل . وهناك في شرقي المغارة قبر يوسف عليه السلام بعد
سور سليمان ، وقد ذكر السيوطي أن عظامه عليه السلام جعلت في
صندوق من الحديد مكث مقبوراً بمصر نحواً من ثلاثمائة سنة فلما خرج
موسى بن اسرائيل حملوه معهم الى بيت المقدس والله أعلم بالحقيقة .
وذكر مثل هذا عن يعقوب عليه السلام لما مات بمصر فقد أوصى أن

يدفن بمقبرة جبرون مسجد ابراهيم فاطمخوه بمرّ وصبر وجعلوه في تابوت
من ساج وخرج به يوسف من مصر ومعه أشرفها حتى دفنه ثم انصرف
يضاء المسجد اليوم بكهرباء من آلة خاصة به وهو بالليل يديع المنظر
والنهار فيه ضياء من أنوار أولئك الانبياء على نبينا وعليهم السلام



مسجد سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام

منبر المنبر — ومما يحسن ذكره أن منبر هذا المسجد قنية غالية
من تفحات مصر . كتب إلى العالم الباحث احمد زكي باشا « والكتاب
يطبع » أن هذا المنبر أثر من أعظم آثار الفاطميين بقي بكاله وجماله الى اليوم
عمله بدر الجمالي أيام المستنصر لمسجد عسقلان المنسوب لرأس الحسين
« رضى الله عنه » واستظهر مجد الدين صاحب « الأنس الجليل » أن صلاح
الدين هو الذي نقله لمسجد الخليل ورجح الباشا هذا الاستظهار إذ قضت
ضرورة الحرب الصليبية على ذلك السلطان أن يخرب عسقلان ، والمنبر نفسه

يوضح تاريخه في جبهته منقوش بالكوفية بعد البسملة مانصه (نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه معدّ أبي تميم الامام المستنصر بالله صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه البررة الأكرمين صلاة باقية الى يوم الدين ، مما أمر بعمل هذا المنبر فتاه السيد الأجل أمير الجيوش سيف الاسلام ناصر الأنام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين أبو النجم بدر المستنصرى ، عضد الله به الدين وامتع بطول بقاء أمير المؤمنين أدام الله قدرته وأعلى كلمته للمشهد الشريف بثغر عسقلان مسجد مولانا أمير المؤمنين أبي عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه في شهور سنة أربع وثمانين وأربع مائة) اهـ

قال الباشا : وهذا خط واضح ، أمّا ما على جوانب المنبر ففيها قوله (.. وكان من معجزته تعالى إظهاره رأس مولانا الامام الشهيد أبي عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب صلى الله عليه وعلى جده وأبيه وأهل بيتهم بموضع بعسقلان كان الظالمون لعنهم الله ستروه فيه الخ) وفي جانب آخر ان ظهوره وإظهاره كانا في أيام أمير الجيوش « فاستخرجه من مكانه وخصه باجلاله وكريم مقامه وتقدم بأنشاء هذا المنبر برسم المشهد الشريف ... »

مشاهد الخليل

بعد أن قطعنا خمسمائة كيلو متر الى الخليل وجدنا أنفسنا أمام الحرم الشريف عند أذان المغرب أول ماسمعهنا هناك وإذا بنا فجأة وقد نسينا مشاق السفر ، في غار حبرون أمام مقام سيدنا ابراهيم وآله الذين نصلى عليهم ونسلم ونبارك في كل صلاة كما نصلى ونسلم ونبارك على سيدنا محمد وآله في العالمين . أولئك الألى تجرى صلواتهم في مشارق الأرض ومغاربها على لسان كل مسلم في كل تشهد من يوم جاء الاسلام الى أن تقوم الساعة تحية مباركة من الله ومن عباده المؤمنين لمن أنعم عليهم من الأنبياء المطهرين ، ورأينا قبر الخليل أبى الأنبياء و خليل الرحمن فتمثلنا أبانا ابراهيم الأواه الخليم ، أول من سمّانا المسلمين ، وشرع الخنيفة السمحة ، مكرم الضيف بالعجل الحنيد ، ومضرب المثل في الجود والكرم حتى لقد قيل سُميت مدينة حلب لأن مبتغيه كانوا ينتظرون فيها كل غدوة وعشية يقولون حلب دوابه ليشر بوا ، وأول من استدلل على الله بآياته (فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي ، فلما أفل قال لا أحب الآفلين . فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي ، فلما أفل قال لئن لم يهْدني ربي لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر ، فلما أفلت قال يا قوم إني برىء مما تشركون . إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين) وأول من أقام الحجة

على أييه وقومه في عبادة الأصنام إذ كانت مما عملت أيديهم ؟ ثم راع عليهم ضرباً باليمين وقال « بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون » وأول من رفع القواعد لأول بيت وضع للناس بمكة مباركاً وهدى للعالمين ، والذي صدق الرؤيا وقدّم ولده للذبح استسلاماً لأمر ربه الأعلى حتى أكرمه وفداه بذبح عظيم وجعل الفداء سنته على وجه الدهر ماضية ، ومشاهده في مكة لازالت الى يومنا هذا شعائر الحج وعمل الحجاج ، وهؤلاء الذي أمرنا أن نقفدى به ، أبو الانبياء وشيخ أولى العزم وسيد من أجمع على احترامه الديانات كلها ، وعظمه أتباعها أجمعون من يهود ونصارى ومسلمين ، فهو السلام عليهم ومنهم له السلام تمجيذاً لمعجزاته الثابتة التي اختصه الله بها إذ قال للنار التي أعدت لحرقه : « يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم » فضمت معجزته أبد الأبد ، وعقدت عليه أواصر المحبة ، والتقت في رحابه بسلام تلك القلوب التي أحرقتها نيران الاختلاف وحرر التنابذ . تمثلناه هكذا بحاله وجلاله في قبره الذي به ، وفوقه ستور الحرير والقصب كأنها طيالة فوق تلك المناكب المباركة والذات المكرمة ، وفوق حجرته آية القرآن (سلام على إبراهيم) فحيّيناه بها وبالقلب إخبارات ، والجسم هامد ، وقشعريرة الذكرى تسرى في كل خلية فيه فتفيض من العين دمعاً ساخناً وآهة كآهته في حياته عليه السلام ، ودعونا الله في مشهده خلقه أن يهديهم سبيل الرشاد ، ويرفع عنهم إصرهم والأغلال التي عليهم ، وأن يبرد عنا تلك النار التي أججها قوم من الطامعة أوقدوا الدنيا جمر أفعادت

لا تطيقها نفوس ولا تصبر عليها أجساد وذلك عمل القوم المفسدين
وأمام قبره الشريف قبر زوجه سارة العجوز التي أقبلت في صرة
حينما بشره الملك بولده إسحق فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم لا تلد
ولا يولدها زوجها ، قال كذلك قال ربك ، فرزقت بإسحق النبي الكريم
ابن النبي الكريم ، ورأينا قبر سيدنا يعقوب الذي ابيضت عيناه من
الحزن ولم يشك بته وحزنه إلا إلى الله فعوضه الله من عسره يسرا
وألقى البشير على وجهه قميص يوسف فارتد بصيرا ، وجمع الله شمله بعاقبه
صبره على بنيه وقد مكن الله لصديقه منهم في الأرض لأنه اتقى وصبر
كما قال لا إخوته (إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين
وعز على مصر ، وقام على خزائنها ، فوقها الجوع والقحط وما حواليل
سبع سنين دأبا بعد أن هندسها ووزن أرضها وساق الماء إليها راحة بلا
تعب ، وبنى الفيوم وسواها ، وأبقى له في مصر كل صالحة ، أولئك آل
ابراهيم الذين سعيينا إليهم ونلنا من بركات المثل في حضرتهم ، أهل
البيت الذين رحمهم الله وبارك عليهم بلسان ناموسه الاعظم جبريل الأمين
في قوله (رحمة الله وبركاته عليكم آل البيت إنه حميد مجيد)

وصعدنا مئذنة الحرم فإذا بنا نرى البلد كفراسة ذات أجنحة قامت
بطن الوادي وتعلقت بسفوح النجاد فوصلت منها إلى قممها أو أوساطها
أو خلاخلها في درجات تتخللها البساتين مفجرة فيها العيون ، وتمد الطريق
إلى أقصاه على خضرة من أشجار قامت في صخور الجبال ، وزروع تبتدئ
بين مخللات الصخور كاسية أغوارها وسفوحها ثوبا من غطاء أخضر

وقطيفة كماء البحر أو بساط الزبرجد أو زرقة السماء ، والوديان محمّرة
 بطينها الطفلى هابطة إلى القاع صاعدة في السفح بالخضر والأُغْنَابُ أشبه
 ما تكون عندنا بزروع الطماطم ولا موضع للعين في غير اخضرار فسبحان
 مالك الملك الكبير المتعال . ورأينا في سور الغار السليمانى صخراً من حجارة
 جداره الأيسر بظاهره ، طوله خمسة وثلاثون شبراً في عرض متر وبعض
 متر ، وقد شبره ابن بطوطة سبعة وثلاثين ولا يزال في متانته وإن كان
 شق في رأسه الشمالى بدأ يظهر فيه عرضاً ، وبالخليل مزار سيدى « على
 البكاء » وهو مسجد أو زاوية على بابها مئذنة قصيرة قيل لنا إنه
 ليس في الشام لها مثيل إلا مئذنة واحدة ، فذكرنا مئذنة مسجد « المعينى »
 بدمياط وقد ذكره في خططه المقرئى وهى ممشوقة ذاهبة في الجو
 صعوداً على منظر بدیع فوق قنطرة الباب الشرقى العالى العقد والبهى
 الرّواء ، قيل ان بانيتها نخر بهندستها وقيامه بها فوق عقد الباب نسيج
 وحدها في عالم المساجد ، فبنى تلميذه في المسجد عينه مئذنة بمغربه تفنّت
 فيها بأن جعل لها سامين يصعد عليهما الرجلان ويهبطان فلا يرى احدهما
 الآخر ، وقد بقيا حتى هدمت لجنة الآثار احدهما وبابها لا يزال ظاهراً
 من بابها الآن ، وكان ذلك المسجد بجوار دارى أيام كنت بدمياط ، ومما يذكر
 بساط هنا بحسرة عن مسجد المعينى هذا أن مهندس الآثار قدم الى دمياط من
 طرف بضع سنين فرأى حجارة كأنها ناشزة تحت مسند باب المئذنة الأيسر
 عنتهم لم يفهم سرّها ، والمرء عدو ما جهل ، فأمر بإزالتها ، فأرفعها حتى مالت
 أخوات المئذنة نحو اليسار لولا أن تداركوها بأسندة من الخشب الضخمة أقاموها

حواليها في واجهة الباب ، ولا زالت للآن شوهاء تنادى بحمق الخلف ،
وحذق السلف (وبلغنى الآن أنها سقطت)

رجع الى مسجد البكاء - فقد قصوا علينا حكاية عن صاحبه أضر بنا
عن ذكرها إنما الذى وقف النظر حجر نحو ثمن متر مكعب موضوع
فوق سارية رخامية صغيرة بوشن المسجد ، مرسوم على وجهاته الثلاث
أسد متلفع بتعبان ، وكل رسم متصل بجاره كأن الأسد يعاطى التعبان
والتعبان يعاطى الأسد ، وقال قوم إن هذا رصده المسجد ، وآخرون
رووا عن السلطان عبد الحميد أنه سووم عليه بمال كثير فأبى فيه عطاء
رغم ما ألغوا في ثمنه ، ولعل هذا لقرط حسنه وبديع نحته وأنه يكاد ينطق
كل جزء فيه ، وحقاً إن حياة الفن في المشرق غارقة في الأزل

وقبل أن تغادر ذكر الحرم نذكر عادة خدمه الحسنة ، فإنهم
لا يفتحون قبور السيدات أزواج الأنبياء للزائرين من الرجال ويعدونه
تهجماً على الحرم لا يليق فيكتفى بالسلام عليهن من طيقان أبوابهن
الفضية ، أما مفاتيح الأبواب فيحملها أفراد منهم بالمناوبة ، ونذر أن
تدخل تلك القبور الطاهرة في مرة واحدة لتعدد القوام وتفرقهم اللهم
إلا إن كان وقت صلاة

شرقنا ساعتين إلى بنى نعيم (أو بنى كرين) كما كتبت في الخريطة
في طريق صخرية لولبية الى حرم النبي «لوط» وهناك في القمة مسجده
ويحس قلبك من نوره أنه فيه ، فتلونا ما جاء عنه في القرآن بجوار قبره ،
وآوينا عنده الى ركن شديد أوى اليه في وقت الضيق فنصره وعصمه ،

وترى من مئذنته أماكن مدائنه التي قلبها الله تعالى وقد مسخت وساخت في الارض فصارت بحيرة تسمى : (بحر لوط أو البحر الميت أو بحر الشريعة) ومن العجب أنك تقدر بينها وبينه مسيرة قطع من الليل الى الصبح ، إذ امر أن يسرى بأهله بقطع من الليل ، فلما نجا ووصل ، صبّحهم العذاب وأمطر الله عليهم حجارة من سجيل مسومة عند ربك للمجرمين ، ولا يزال يراها عباده العادون إلى يوم الدين ، وهناك في مسجده صهريج مملوء بماء المطر يتمنى المتمنى شربة منه كأنها من السلسيل .

ثم ودعناه إلى المدينة في طريق مغرب في الصخر نحو ساعة إلى مسجد «اليقين» وهو بناء من حجر قائم في أرض من حجر . لا أنيس عنده ولا جليس ، وقال ابن بطوطة من نحو ستمائة سنة وكسور كان بجواره دار قيمة ولم نزله قوما ولا جارا ، وفي وسطه قطعة صخر منخفضة عن أرضه نحو شبر عليها سور حديد ولها قبلة إلى قبلة المسجد لا تسع إلا مصليا واحدا وفيها آثار قدمين قيل إنهما قدما سيدنا الخليل حينما سجد شكر الله تعالى على إهلاك قوم لوط (ابن اخته) والقبلة قبلة المسلمين إلى مكة كأنه عليه السلام لم يكن يتوجه إلى بيت المقدس على ما هو المشهور ، وقسنا موضع قدمه (شبرا وخمسة قراريط) وبجوارها مغارة بها قبر فاطمة بنت الحسين بن علي عليهم السلام ، وهذه السيدة مسجد بالقاهرة مسمى باسمها وقد قرأت سيرتها في الأغاني كله فلم أرها خرجت من المدينة ولا ذكر مدفنها في هذا الصخر النائي ، فلعل أهل العلم يبحثون

عن هذه الحقيقة ، وقد رأينا مصرياً عني بقبرها ونقش عليه لوحين من الصخر بخط كوفي لم نستطع قراءته لولا ابن بطوطة فطبّقنا من رحلته ماقرأناه به ، لوح على يسار الداخل في جانب الجدار مكتوب فيه بالنقش (بسم الله الرحمن الرحيم لله العزة والبقاء وله ما ذرأاً وبرأً وعلى خلقه كتب الفناء وفي رسول الله أسوة . هذا قبر أم سلمة فاطمة بنت الحسين رضي الله عنه) واللوح الثاني على أعلى القبر الى يمين الداخل ، ويقول ابن بطوطة إن أحدهما كان أسفل القبر والآخر أعلاه ، فلعل الذي كان أسفله نقل على يسار الداخل في الجدار ، والله أعلم ، ونقش هذا اللوح (صنعه محمد بن أبي سهل النقاش بمصر) وتحت ذلك هذه الايات :

أُسكنت من كان في الاحشاء مسكنه بالرغم مني بين التراب والحجر
يا قبر فاطمة بنت ابن فاطمة بنت الائمة بنت الانجم الزهر
يا قبر ما فيك من دين ومن ورع ومن عفاف ومن صون ومن خفر
وغربنا ثانی يوم من المدينة نحو ساعتين إلى قرية تدعى «دوره»
كأن بيوتها قبور منقورة في نجدها ، إلى قبر النبي نوح عليه السلام ولما رأيناه لم نشعر في قلوبنا ببشاشة أنوار النبوة ، وحدّثنا بذلك بعض المطلّعين فقالوا إن لنوح عليه السلام حرماً في الكرك كبيراً مقصوداً وكذلك كنّا نقرأ عن الكرك « كرك نوح » في كثير من الكتب ، ولا ننسى أن جلال ذلك القبر هدية من مصري زار قبره فكساه وركبنا الأوتومبيل نحو ربع ساعة في غرب الخليل إلى «المسكوبية» وهناك شجرة البلوط التي ارتكن عليها الخليل من أربعة آلاف عام

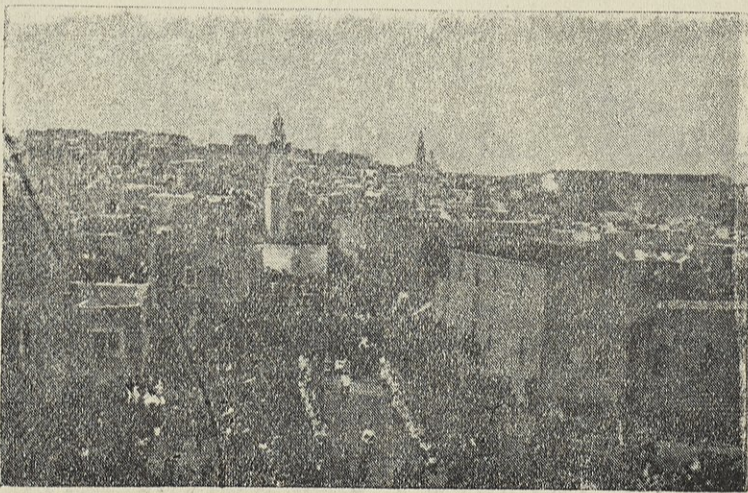
حماطة بسور من حديد ومسندة بسواعد حديد وهي ضخمة تخطأها
الكبر وبجوارها نُزِّلَ للمسكوفيين إذا قدموا الحجَّها ، وهي تحت أيديهم
ولا يستطيع أحد أن يأخذ منها غصناً أو شظيةً وكانت الحروب قد قطعتهم
من سنين ، وهؤلاء لهم ذكر في بلاد فلسطين ، فهم أكرم الحجاج
على الأديرة والكنائس وأكثرهم وأتقاهم في دينهم ، وقيل لنا عنهم أنهم
يقدمون من القدس الى الخليل مشاة ، ورأينا لهم منازل وفنادق في
الطريق معدة لهم ، وبجوارها كنيسة لها منارة رأينا منها البحر الأبيض
المتوسط ولم يبق هناك إلا عجوز وبعض النواطير ، ومكر بنا سائق
الاتومبيل فلم يعرج على « حاحول » بلد النبي « يونس » فودّعناه عليه
السلام ونزلنا في بيت لحم عند مولد المسيح على نبينا وعليه الصلاة والسلام

بيت لحم

« أنت يا بيت لحم لست الصغرى بل منك يخرج مديّر شعب
إسرائيل »

هكذا ورد في نبوءات « أشعيا » وهي المكان القصي الذي انتبذته
مريم البتول الطاهرة لما حملت بالسيّد المسيح روح الله وكلمته
فوضعتة هناك في تلك القرية لست خلون من كانون الثاني سنة ٣٣٣
لإسكندر أو سنة ٣٣ ق م - لا خلاف بين العلماء في أن بيت لحم مولد
سيدنا عيسى عليه السلام وهو المذكور في القرآن بوصف المكان القصي
وحقاً أنه قصي عن « المكان الشرقي » الذي انتبذته مريم من أهلها ،

ولا زال الآن في شرق بيت المقدس عليه قبّة عالية ويعرف بالمهد ، وبين
المكانين نحو ١٢ كيلو متراً ، وإنها لمسافة طويلة على السيدة مريم التي وهبتها
أمها حنة بنت فاقوذ لله وسمتها بهذا الاسم ومعناه في العبرية (العابدة)
وكانت بنت ثلاث عشرة لما حملت بالسيد الأكرم من روح الله وهي في
مكانها الشرق محتجبة عن أهلها ، فلما أحست الحمل خرجت كأنها تستر
نفسها فباعدت إلى بيت لحم وهناك رأت آية الله الكبرى إذ جاءها المخاض
إلى جذع النخلة والوقت شتاء والشجر يابس فاخضرت الشجرة وأثمرت
في غير أوانها وناداهما من تحتها أن هزّي إليك بجذع النخلة تساقط
عليك رطباً جنياً . هناك في مكان الوضع أقامت القديسة « هيلانة » في
القرن الرابع كنيسة ضخمة تعرف بذات العمد أو كنيسة الميلاد يقصدها
الناس من جنبات الأرض وبها أو بمكان الوضع منها ذكرت بيت لحم
وطار صيتها في الآفاق



بيت لحم أيام عيد الميلاد

وصاننا لها من رحلتنا في المساء فتذكرنا توّاً ما جاء عنها في بعض
أحاديث الإسراء قال صلى الله عليه وسلم : لما أسرى بي إلى بيت المقدس
مرّ بي جبريل على قبر إبراهيم فقال : انزل فصلّ ركعتين فإن هنا قبر أبيك
إبراهيم ، ثم مرّ بي على بيت لحم وقال : انزل وصل ركعتين فإن هنا ولد
أخوك عيسى عليه السلام ، وتذكرنا ما جاء به الانبياء من الإيحاء وأنهم
في الدعوة أخوان حكماء يتمّ الثاني للأول ما ناسب زمانه وينسخ من
شريعته بأمر الله ما فات أوانه ، مصدرهم شرعة واحدة ، من ربّ واحد ،
وغايتهم إتمام مهمّة واحدة هي صلاح العالم

وسمعنا أول ما قدمنا أذان المغرب وما كنا نتصوّر أن نسمع
الأذان من « بيت لحم » مولد النصرانية ! فإذا بمسجد هناك ومساكين
يساكنون المسيحيين في بيت مسيحيّتهم وقد ألفت بينهم طوارق الحدّثان
ورأينا البلد أنيق البناء ، شاهق العمران ، ظريفاً لطيفاً ، وجئنا مكان
سقايته والماء يسيل لها من عين في أنبوب على أمد غير بعيد وقد
ضبطوها بالصنابير فرأينا بنات (بيت لحم) يستقين بالقرب والصفائح
على ظهورهن

وأصبحنا على زورة الكنيسة فاذا بصفّين من عمد ممدّدة كأنها أعمدة
الهيكل المصرية ، أربعة صفوف في أحد عشر عموداً ، وكان الأرم
يصلّون ومنبجهم موضع الميلاد فأبى الشمس أن ندخل عليهم فانتظرناهم
ثم هبطنا إليه فاذا مكان مظلم يوقد بالشموع في رسم الصليب ، باباه من
الشمال والجنوب في خط مستقيم ثم نقر من المغرب إلى المشرق ينتهي

بباب مغلق على مغارة الملك هيرودس الذى ينسب اليه قتل أربعة عشر ألف طفل أو يزيدون ، وفى ذلك النقر الى يسار المغرب النقب الذى ألفت فيه مريم بابنها بعد أن وضعت كانه جيب الزاوية . فى مكان المولد دقوا قطعة فضية كرسى النجم علامة على مكان الملامسة ، وقيل انها كانت ذهباً وسرقت من ذات الشحنة بين فرق النصارى ، وفوقها صفان من القناديل ستة عشر ، لكل فرقة منهم عدد معلوم ، ومن فوقها علقوا أمثالها لأمنالهم من قديم لا يزيدون ولا ينقصون ، وفى هذا المكان المطهر يجلس عسكري من قبل الحكومة مناوبة بالليل والنهار يحرس لا يغفل ، وقد أقامته الدولة العلية إذ تعبت من تلك الشحنة وما تجر به فى تلك الأماكن المقدسة من سرقة أو زيادة ونقصان فأراحت بالها بتولى حراستها بنفسها وورثتها فيها حكومة الانتداب ، ورأينا مذهب اللاتين على عظم متفرّد به بين مذاهب غيرهم . وهنا يجب أن نذكر عن اللاتين وهم الكاثوليك الذين يتبعون البابا ويقطنون جنوب أوروبا ، وعن الروم الأرثوذكس وهم المسكوف وأهل البلقان أنهم هم المتفرّدون بالعزة فى الأرض المقدسة ، فالعزة فى كنيسة الميلاد للاتين ، وفى كنيسة القيامة اختص الروم الأرثوذكس بحراسة القبر المقدس وصورة السيدة مريم المجوهرة الغالية الأثمان ، وأكثرت الكنائس والمشاهد وأكبرها وأقدمها بأيدى هؤلاء وهؤلاء ، ولا ننسى عزة اخواننا الاقباط فى كنيسة القيامة فقد اختصوا من بين فرق النصرانية بإقامة مذهبهم على جدار القبر المقدس مكان الرأس مما يحسدهم عليه كثير

خرجنا من كنيسة المولد إلى غار الحليب وهو الغار الذي يقال ان السيدة مريم خرجت اليه بعد الوضع وأرضعت فيه روح الله ، ولا تسلم عما فيه من زخرف وتزيين ، وليس بيت لحم من المشاهد غير هذين المشهدين فيمّنا منه القدس الشريف وهو شماليه مشرقاً

وفي بيت لحم جرى لنا حادثان فكيهان ، فقد كان في النزول الذي نزلناه ضابط « الضابطة » فإما زآنا شيخين رغب إلى أحدنا أن يعطيه ثيابه يتخفى بها على العسس ويسمون الواحد منهم (حرسى) وزعم أن حفظ الأمن العام يهمننا نحن السفار ومما يقوّيه تخفيه بثيابنا ، فأذعن له رفيقى وأعطاه ما اشتهى من عمامة وجبة وقفطان طلع فيها كأنه مجاور صميم ، ولكنه سار وقبله عسكري فلم يخف على الحرس ، وقد سألتى أحدهم وكنت أسير في البلد ليرى إن كان من الحكومة فيهتم به أو منّا فلا يسأل فقلت له تحرّ أنت بنفسك واتخذ الاحتياط

والثانى أن شماس كنيسة اللاتين أمرنا أن ننزع عمامتنا وندخلها حاسرين ، فسألناه السبب وقد عرفنا دليلنا « أنطون » أن الأمر جديد ، فاحتج علينا : (لماذا تكلفوننا أن نخلع نعالنا لدى المساجد ؟ فكذلك أنتم تفعلون) فأبيننا عليه وقلنا له : متى كانت العمامة والنعل في مكان واحد يا هذا ؟ فتمتم ورجع على أنطون ماشاء أن يرجع . وقد شاهدنا نساء بيت لحم يتزينن بقميص فضفاض يغلب أن يكون سواداً مع نطاق أحمر فوق صدر مشغول بالحرير وعلى الرأس طُرْطُور مرتفع ثم يلقين على رؤوسهن ملفعة بيضاء تسترهن الى الصدور ، وأما البنات فعلاماتهن ألا يضعن

هذا الطرطور وبقى الزبي بحاله ، وتراهن في المصلّى بأوقات كل قبيل
وفي الطرقات وأثر التمدين على الوجوه ، وأغلب من ترى في الصلاة العجائز

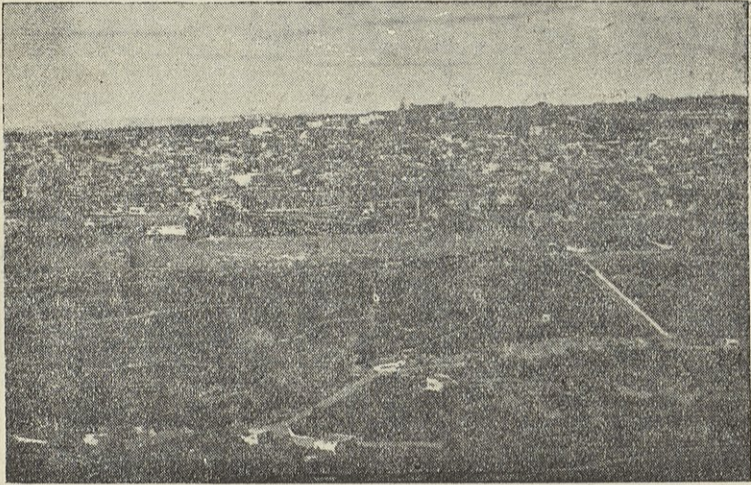
القدس الشريف

أورشليم أو ييروشالاييم أو أوساليم أو شاليم أو إيلياء أو القدس أو
بيت المقدس هي تلك المدينة العظيمة الكريمة القائمة من بطن وادي
ساوة بين جبلي طور الزيتون وعلية صهيون متعلقة بالسفحيتين ذات اليمين
وذات الشمال كأنها تسيل في الوادي من الجنوب الى الشمال .

بيت المقدس أنت (يقاتلة الأنبياء) مقدس اليهود ومحج النصارى
وحرّم المسامين .

فيك هيكل سليمان الذي يبكى على جداره الآن عجزه بني اسرائيل
يتلون المزامير ويدعون الله بكرة وعشيا أن يردّه عليهم ليعيدوا مجد
الرب فيه وتصحّ عبادتهم إذا صار إليهم وحازته أيديهم ، وبه كان التابوت
(فيه سكينه من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون) يحجّه
أحد عشر مليوناً من اليهود منتشرين في جنبات الأرض من يوم قصد
(طيطوس) أو (تيطس) الروماني بيت المقدس فأوقع بهم وقتل وأسر
منهم ١٤٦٢٠٠٠ ونهب المدينة وخرّبها وخرّب المقدس وأحرق الهيكل
وكتب اليهود وأخلى القدس منهم كأن لم تغن بالأمس ، فمن تلك السنة
سنة سبعين للميلاد وأفئدة بني اسرائيل تهوى إلى البلد المخرب تنشد
يوم مرجعها إليه وعودة الحكم فيه لها وتسلم الهيكل يعيدونه كما بناه

سليمان ويقدمون فيه آله إسرائيل على حكم التوراة ، وفي هذا السبيل
كم قامت حروب ودست دسائس وفعلت أعاجيب أعان عليها الذهب
- واليهود ملوك الذهب - حتى يرى كثيرون أن الماسونية لم تنشأ إلا لرد
الدولة لليهود ، لقيامها على آثارها ورسومها ورموزها وتقاليدها لأن .



صورة القدس من جبل الزيتون

فيك كنيسة القيامة أو القمامة التي شيّدها القديسة هيلانة على القبر
المقدس عند النصارى ، وهم الآن أكثر شيع الأرض عدداً وأعظم أصحاب
الأديان دولا وأعزّ أهل الكتاب قبيلة . ذلك القبر الذي اشتعلت
للغلبة عليه إحدى عشرة حرباً « وإن شئت فقل العدد لا مفهوم له » من
يوم حمل بطرس صليبه وطاف أوروبا على حماره ، ولا تزال بقاياها إلى يومنا
هذا ، وأكبر ظني أنها لا تنفد مادامت القلوب في الصدور .
فيك المسجد الأقصى الذي أسرى الله بعبده محمد إليه ليلا وأصعده

من فنائه إلى سمائه ، ثالث المساجد التي تشدُّ لها الرحال في الإسلام ويقول المسلمون في الشد إليه (ماحجة إلا بعد تقديسة) . المسجد الأقصى الذي أدارت جنباته بأسماء الخلفاء الأجلاء والملوك العظام في الإسلام والذي يقبل عند المسلمين كنيسة القيامة عند النصارى في المعزة والمذلة أيام تلك الحروب الطاغية حتى إذا استقرت القدس للمسلمين أعزّوها حقاً وتركوا كلاً منهما معبداً لتابعيه على هواهم وقرّة عين لهم ، المسجد الأقصى الذي تهوى إليه أفئدة المسلمين واليهود الآن ، ويتسابق لاستقرار اليد عليه خالصة له كل من أهل الدينين بينما أتباع عيسى قد آمنوا على كنيستهم وقبر حامل خطاياهم وتركوا هؤلاء وأولئك كل يتبع هواه ويستن في مضماره إلى الغاية التي يقدرها الله رب الأديان وخالق بني الإنسان .

من فوق عليه صهيون صعدنا على مجرسة الألمان في كنيستهم التي أقطع الساطان عبد الحميد أرضها لهم من وقف النبي داود أو (داهود) كما ينطقونه هناك فأزالوا منها زرع الكرنب وبنوها كما بنى الألمان وكما يليق بعظمة ألمانيا التي كانت تنشد يومها نشيدها (أنت يا ألمانيا فوق الجميع) . نظرنا القدس من تلك المجرسة التي تعلو كل علاء هناك خلا مجرستهم الأخرى التي تناظرها وتوازيها على طور الزيتون ، فرأينا تلك المدينة التي لا يعلم لها تاريخ ، قاتلة الأنبياء ومهبط الأديان ومعجزة الزمان ، فإذا بسورها القديم يخطها ويحوطها فتأبى أن يحدقها وتضيق فيه فانبسطت في الوادي شمالاً ثم غرباً ثم شرقاً حتى زادت عما كانت ، وبقيت المدينة القديمة ترى في جنوبها الشرق تماماً حرم المسجد الأقصى وتشهد أبوابها

الثمانية المذكورة في التاريخ يقوم كل منها بعمارتها وإن كان السور عند بعضها ينقطع أو لا يكون . دورنا مناظرنا أي هذه الأبواب كان الذي ابتلى به بنو إسرائيل أن يدخلوه ويقولوا حطة في قوله تعالى (وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين . فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم فأزّلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون) فإذا به هناك في الشمال الشرقي وله حي يعرف باسمه الآن . وتذكرنا قصة عبد الملك والحجاج ، وقد روى التيمي أن عبد الملك بن مروان أمر أن يعمل باب بيت المقدس ويكتب عليه اسمه ، فسأله الحجاج أن يعمل له باباً فأذن له ، فاتفق أن صاعقة وقعت فاحترق منها باب عبد الملك وبقي باب الحجاج ، فعظم ذلك على عبد الملك ، فكتب الحجاج إليه : بلغني أن ناراً نزلت من السماء فأحرقت باب أمير المؤمنين ولم تحرق باب الحجاج ، وما مثلنا في ذلك إلا كمثل ابني آدم اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر : فسرى عنه لما وقف عليه وضر بناه مثلاً في حسن التعليل .

دخلنا القدس من باب الخليل ومنه إلى الحرم شارع مستقيم ، فكان أول ما وصلنا إليه في أذان الظهر فبدأنا المسجد بصلاة التحية وأداء الفرض .

القدس أو القدس هو اسم تلك المدينة الذي غلب العرب استعماله

وإطلاقه عليها ، وبيت المقدس هو المسجد الأقصى ويسمى البلد به أيضاً تسمية له بأشرف ما فيه من باب إطلاق الجزء على الكل ، أما الأسماء الأخرى فهي عبرية معناها السلام أو موطن السلام ، وإيلياء اسمها الذي أطلقه عليها أدرينوس الروماني لما أعاد بناءها بعد خرابها الثاني وهو اسم لبيت المقدس ومعنى الكامة (بيت الرب) وهو الاسم الذي يذكر لها في كتب الفتوح الإسلامية . ويتشبه اليهود الآن باسم (ييروشاليم) ويكاد ماعداه وعدا (القدس) ينسى ولا يذكر .

الحق أن تاريخ بناء تلك المدينة مجهول ولكن كثيراً من المؤرخين يزعمون أنها بنيت في القرن الحادي والعشرين قبل المسيح ولقد كانت مدينة عامرة قبل مجيء بني إسرائيل إليها وهجرتهم من مصر إلى الأرض المقدسة ، ويقول بعض كتّاب النصارى إنها كانت ملك ملكى صادق أو (كاهن الله العلى) الذى قابله ابراهيم وتبارك منه ، وينقل غيره عن التوراة اسمه (على الكاهن) ويقول : فى زمنه كان النبي (شمويل) الذى انتهت بتدبيره سنو حكم بني إسرائيل وقضاتهم ثم أنبأهم أن الله بعث لهم طالوت (شاول) ملكاً ، وشتان بين زمنى هذين النبیین .

كان داود النبيّ أو الملك كما يقولون يقوم بحجرون (مدينة الخليل) وقيل بشكيم (نابلس) فلما استوثق له الملك وأطاعته الأسباط كلها اتخذ القدس عاصمة وبنى فيها بيتاً له وأدخل فيها تابوت العهد ومات ، وقد أوصى بالملك لابنه سليمان النبيّ أو سليمان الحكيم كما يقولون بعد أن ملأ له الخزان لتنفيد وصيته بعمارة (بيت المقدس) ، فأقام سيدنا سليمان

الذى أوتى الملك والنبوة وهو ابن اثنتى عشرة سنة ذلك البيت فى سبع سنين وجعل له سوراً طوله خمسمائة ذراع فى مثلها ، وهو الآن (٦٦٠ ذراع فى ٤٠٦) ، ووضع التابوت فى الهيكل السلامى ومن ذلك الوقت وقت داود تقدست تلك البقعة وبارك الله فى الأرض التى حولها بل جعل فلسطين كلها أرضاً مقدسة مركزها ذلك البيت المطهر الذى طلت فيه دماء الأنبياء وأهدرت من أجله نفوس الملايين على ممر السنين

وبقيت القدس تزهو ببنى إسرائيل والسيادة لهم فيها ، وقد تنقلص عنها إذا عصوا وتعود إذا عادوا ، حتى أفسدوا فى الأرض مرتين وجاء وعد أولاهما بقتلهم النبي أشعيا فغزاهما بختنصر ملك بابل (العراق) وأحرقها وهدم بيت سليمان وأباد بنى إسرائيل وأزال دولتهم وأخذ (صديقا) آخر ملوكهم أسيراً فيمن أخذ من أسراهم إلى العراق وذلك لتما ألف سنة إلا سنة واحدة لوفاة موسى عليه السلام . ومكث بيت المقدس سبعين سنة خراباً إلى أن أعاد عمارته بهمن بن اسفنديار لما ورث الملك عن جده كشتاسف بن لهر أسف « ولهر أسف هذا الذى يقال أن بختنصر كان عامله لما خرب المقدس » فتراجعت اليهود إلى البلد ورجع النبي « عزير » المذكور فى القرآن والذى يسميه اليهود « عزرا » مع مهاجرى العراق فدر بنى إسرائيل وجدّد حفظ التوراة بعد أن مثلها الله فى صدره وكانوا أنسوها وعادوا كما قال الله فيهم ﴿ ثم ردّنا لهم الكرة عليهم وأمددناهم بأموال وبنين وجعلناهم أكثر نفيراً ﴾ أى مما كنتم ، وردّ الكرة لهم على الفرس أن بهمن الفارسى نفسه هو الذى أعاد بناء بيت المقدس وأرجع

مهاجرى اليهود إليه ومملك منهم ملكا كان لقبه بعد هذا (هيردوس أو هرذوس) أيام الروم لما أزالوا دولة الفرس حتى جاء وعد الآخرة بقتلهم يحيى وأبيه زكريا فقصد طيطوس القدس سنة ٧٠ م أو سنة ٧٣ م وأوقع باليهود وقتلهم وأسره عن آخرهم ونهب مدينتهم وأحرق هيكلهم وكتبهم ويقول المفسرون إن صاحب الجيش دخل مذبح قرايينهم فوجد فيه دمًا يغلي فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقوني فقتل عليه ألوفًا منهم فلم يهدأ الدم ، ثم قال : إن لم تصدقوني ما تركت منكم أحدا فقالوا إنه دم يحيى فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ، ثم قال يا يحيى قد علم ربى وربك ما أصاب قومك بعدك فاهدا بأذن الله تعالى قبل ألا أبقى منهم أحدا فهدا ، وهذا النبي يحيى الحضور كانوا قد ذبحوه قبل رفع سيدنا عيسى لما حرم نكاح بنت الأخ مع سيدنا عيسى ابن بنت خالته كما قطعوا الشجرة بأبيه زكريا لما اختفى فيها حينما اتهموه بمريم البتول الطاهرة ، ومن ذلك الوقت زال ملك اليهود ولم يعد للوجود

وقد حكى القرآن هذه القصة بأبلغ عبارة في أول سورة الإسراء أو سورة (بنى إسرائيل) كما تسمى بذلك في التفاسير ، كما حكى قصة عزير أو أرميا النبي في خرابها الأول وتقديره تعالى أن تعمّر بقوله ﴿ أو كالذى مرّ على قرية وهى خاوية على عروشها ، قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها ؟ فأما الله مائة عام ثم بعثه ، قال كم لبثت ؟ قال لبثت يوما أو بعض يوم ، قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى همارك ولنجعلك آية للناس ، وانظر إلى العظام كيف ننشزها

ثم نكسوها لحما ، فلما تبين له ، قال أعلم أن الله على كل شيء قدير ﴿
 وجدّد أدريّاؤوس بيت المقدس وسماها (إيلياء) ثم خرّ بها ثانية
 سنة ١٣٢ وقتل من اليهود ستمائة ألف ، وباع من بقي ، وأعيدت بعد ذلك
 إلى أن جاءت هيلانة أم قسطنطين سنة ٣٢٦ ، فبنت كنيسة القيامة ،
 وخرّبت هيكل سليمان ، وعاد أبرويز بن كسرى على بيت المقدس فقتل
 كثيراً من النصارى ونهب الكنائس وقطعة عود الصليب ، فغلبه هرقل
 بعد سنين ، كما جاء في القرآن الشريف : « ألم غلبت الروم في أدنى
 الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين » وكان ذلك يوم بدر
 الذي فرح فيه المسلمون بنصر الله لهم على المشركين ونصر الروم على
 الفرس ، ولقد كان هرقل عاهد اليهود ألا يؤذيهم فتكفل له البطارقة
 بالبرّ ليحنت في يمينه هذه ، وشرعوا لذلك كفّارته على النصارى صوم
 أسبوع هو مقدمة الصوم الكبير (أسبوع هرقل) . وظلت القدس
 تابعة للروم والحكام من أهلها ، إلى أن فتحها العرب صلحاً سنة ١٥ هـ
 بكتاب من عمر بن الخطاب بعد مقدمه إليها بطلب أهلها ، وبقيت
 بأيديهم وأخذها الصليبيون منهم أزماناً إلى أن استردها بطل الاسلام
 صلاح الدين نهائياً سنة ٥٨٣ هـ وضمت أصر ثم تولّاها الترك إلى سنة
 ١٢٣٦ هـ فدخلها الانجليز

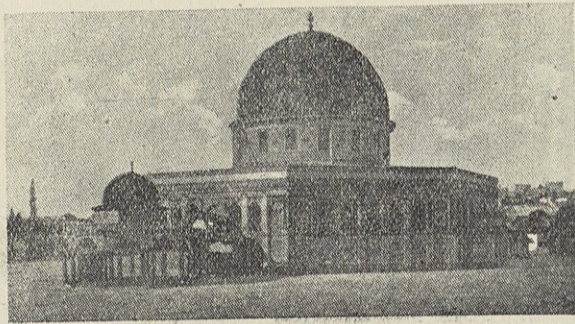


أمّا بيت المقدس نفسه فهو كما علمت بناء بناء داود وعمر سليمان عمارته
 التي تعتبر بداءته في سبع سنين ، وفرغ منها في أواخر سنة ٥٤٦ لوفاة موسى .

ورثه بعده يوشع (يؤاش) وجدّد عمارته (لُوشيا) وظل عامراً من حين
 سليمان ٥٤٣ سنة حتى خرّبه بختنصر فكث سبعين سنة خراباً إلى أن
 جدّده بهمن الفارسي الذي يسميه اليهود (كيرش) ولبث على عمارته ٧٢١
 سنة حتى خرّبه طيطوس الخراب الثاني ثم عمرّه أدريانوس وجاءت بعده
 هيلانة فخرّبت العمارة العظيمة التي كانت على الصخرة، وأمرت أن ترمي
 فيها كناسة البلد بدلاً مما كان اليهود يرمون القمامة في مكان كنيستها إلى أن
 جاء عمر فطهره وبني فيه المسجد باسمه . فلما كانت أيام الوليد بن عبد الملك
 ابن مروان وفيها كان سعد المساجد وسعادة الدور الإسلامية ، جدّده أتم
 تجديد وبني قبّة الخالدة على الصخرة المقدّسة ورفع فيه قباباً أخرى
 لا تزال إلى يومنا هذا

والمسجد القائم بالصلاة اليوم فوق مسجد آخر يظهر أنه الذي كان
 أيام دخول الاسلام، تنزل إليه بدرج وفيه ترى قبلتين متقابلتين على ما كان
 المسلمون في صلاتهم يتوجهون أولاً إلى المسجد الأقصى ثم حولت
 قبلاتهم إلى المسجد الحرام وتنزل من هذا إلى مسجد تحته قيل لنا إن
 السلطان عبد الحميد أباح للألمان الكشف عنه فأخرجوا ترابه وظهر مسجد
 بعمد ينسبونه لسيدنا سليمان، ويروى أنه أول مسجد أقيم في هذا الحرم
 وفي الركن الشرقي «المكان الشرقي» الذي انتبذته مريم البتول من أهلها
 وفيه جاءها الملك . وبين قباب الحرم قبة يسمونها «محكمة داود» يقولون
 إنها مجلسه عليه السلام للحكم . أما اللطيف فيما يروى فهو في محيط قبة
 الصخرة، ترى اسم الوليد بن عبد الملك مطموساً باسم المأمون، كأن هذا أمر

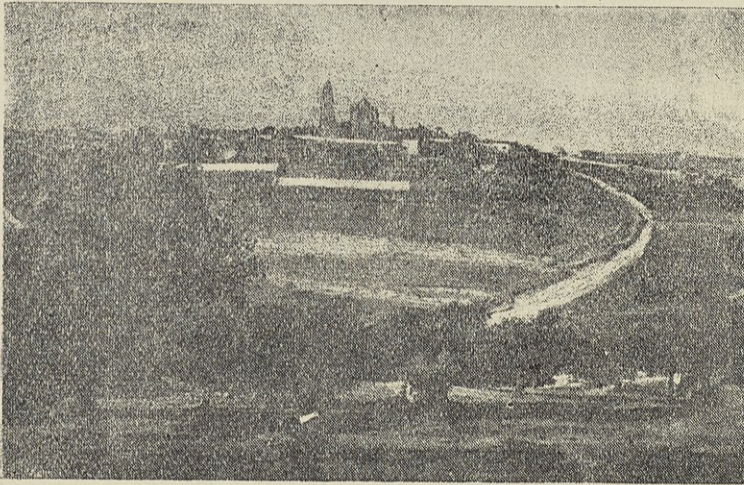
به وهوى المنفذ كان أموياً فلم يهن عليه أن يضيع اسماً رفع الله صاحبه إذ رفع القواعد من هذا البيت فنفذ الأمر على ظاهره وأبقى الحق على ظاهره عبدة لقوم يؤمنون



قبة الصخرة بالقدس

ولما استنقذه صلاح الدين من الحروب الصليبية بنى المسجد وطرز على جبين قبلته اسمه الخالد ، وحقق أمنية أستاذه الملك الشهيد نور الدين فوضع بعد وفاته المنبر الذى أعده له بحلب فى حياته ، وترى جوف القبلة مشيداً بحجارة طولية من المرمر المجزّع ذوات ألوان تريك عدد الركعات لكل مكتوبة من الصلوات ، وتولاه ملوك بنى عثمان بالاصلاح والتجديد والتعمير مدة دولتهم ، وأظهر أسمائهم فيه وأبقاها للآن السلطان عبد العزيز خان ، وأمه هناك مازالت المقصودة بقولهم : (أهل الخيرات) ولهما فاتحة من الفواتح الثلاث فى بدء صلاة الجمعة ، وفرش السلطان عبد الحميد خان مسجد الصلاة بثمانية آلاف متر من البساط

الهركى يصلى عليها المسامون الى يومنا هذا وقد تولى الاشراف عليه المجلس
الاسلامى الاعلى فى عهد الاتتداب أو الحكم الانجليزى
ويطول بنا المقام لو زدنا بسطاً فى ذلك التاريخ العالق فى النفوس
بأنواط التقديس ولا يكاد القلم يتخلص منه إذا تعرض له وهو مشتبك
لثلاثة أديان يملأ أتباعها جنبات الأرض الآن فعليهم (شالوم) أو (السلام)



جبل صهيون

تنبيه : شككت الاسماء التاريخية التى ورد ذكرها فى هذا القسم بالرجوع الى
بعض أهل الذكر وكتب اسم زوجة سيدنا يعقوب (لائقة) كالسموع وهو الوارد
عندهم فى التوراة (ليئة)

يافا - حيفا - تل أبيب - غرفة الساعة

لم نكمل رحلة فلسطين كسلا ، وتركنا الكتابة عن حيفا برحلة سوريا إهلالاً أو قياماً مع الحدود التي فصلت بها السياسة بين البلدين ، فإذ جمعنا هذه الرسائل ناسب أن نكملها بما بقى في الذهن

أمّا يافا - فبلد بفلسطين أشبه بدمياط في مصر بفارق أن الأولى على سيف البحر والثانية تبعد عنه بضعة عشر كيلو متر ، ولكن المناخ يكاد يكون واحداً والبناء والسكان ، ولعل هذا للصلة المتماوجة بين البلدين بواسطة المراكب الشراعية التي لا تقتأ تغدو وتروح بينهما وإن كانت حواجز هذه الأيام ومعاملات الزمان وتقلبات العمران تقطع هذه الصلات الآن .

والطف مافي يافا « البيارات » ، وهي حدائق وزروع تقوم في ضواحي البلد وينفرد في البيارة منها صاحبها ببناء قائم يسكنه ، وقد نزلنا في بيارة منها كان بناؤها فندقا جديداً أصيت فيه بلسعة دويبة يسمونها هناك (الدلة) تهاونت فيها فإذا بها سامّة ورمت منها ساق ونغصت خاتمة الرحلة وخاصة لم يكن الأطباء إذ ذاك متوفرين وسافرت لغزة فلم أجد بها طبيباً ثم نزلنا إلى بريّة غزة ضيوفاً على عربي شريف قريب لنا هناك أصفناه مراراً بالعريش وهو لا يفتأ ينزلها ، فطلب إلى أن أردّ له بعض قرصه فزرتّه وبقيت في أرضه بين الخباء والأرض والسماء يومين نعمنا فيهما بميشة الأعراب وبساطة البادية ، وكان دواءه للساق أناء ماء بارد ألقيتها فيه ماقعدت عنده - وعلى مقربة من يافا تقوم مدينة « تل أبيب »

خرجت وصاحبي لنراها فعزم علينا أهل يافا ألاّ ننقذ العزم لما كان بينهم
من الشحنة زمن السياحة فلم نبال ، وسرنا شيخين بالزى المصرى تنفخنا
عزة العمامة فى بنى إسرائيل ، فإذا ببلد نظيف ظريف من الظلم أن نعده
من بلاد المشرق ، وعلى شاطئ البحر منه أقاموا « الكازينو » وبنات
اليهود وأولادهم هناك مختلطين فى العراء ما بين سباح فى الماء ومفترش
الزمل وقاعد بالمقهى ، نظرونا جميعاً شذراً كأنهم غضاب أن يروا فى
بلاد الإسلام شيخين مسامين ؟ فتلقينا نظراتهم بما يشبه الازدراء ومضينا
قدماً لا نبالى حتى أخذنا مجلسنا من أعلى الكازينو فتكوف من فيه
علينا ، وأخذوا قفاطينا وملابسنا يمسحونها ويفتشونها كأن
حريرها وتزويقه بهرم ، وكأن إقدامنا آنسهم فما هى إلا هنيهة حتى
ائتلفوا ، ثم تفرجنا فى البلد وعدنا وأهل الفندق يافا لا يأملون أن نعود
حتى إذا رأونا عدونا فى الأحياء مولودين ، وهكذا قطعت السياسة
بين القوم أسباب الحياة ولا تزال أنباؤها ترد بما يزيد الهوة عمقاً والحياة
بغضاً وسحقاً

وركبنا الوابور من يافا إلى غزة وكنت أرسلت لصاحبي بهاتلغرافاً
قبل السفر بيوم فسبقنا التلغراف !! وجاءنا بعد أن حملنا الشريف عتابه
على القدوم بلا استئناس فلم ينقذنا منه إلاّ مجيء ساعى التلغراف وهو
يحاورنا بالعتاب . ورأينا فى الوابور شيئاً من جشع اليهود وطمعهم ،
يجلس الرجل منهم على كرسى ويضع برنيطته على كرسى ومعطفه على
كرسى وعيسته على كرسى ، فإذا جاء عربى من محطة ليجلس بجواره

أشار له أنَّ الأُمَكُنَّة مشغولة بأصحابها فيصدق المسكين ويتضامَّ مع إخوانه ، حتى إذا جاء يهودىٌّ من محطة أخرى أخلى له اليهودى الأول مكانا ، وإن رأى غيره فارغاً شغله بأمّعة الجديد انتظاراً لجديد منهم آخر ! وكذلك ترى الرجل منهم يعرف العربية فإذا كلمه العربى بها تظاهر بجهلها ولا يبالى أن يخرج خبؤه إذا تكلم مع يهودى بها ؛ والعيش فى فلسطين ضئلك ، كنا ونحن فيها نحس سأم أهليها ، وحدثونا عن ثقل الضرائب عليهم وتعدّد دها فيهم بما يفزع ، حتى قيل لنا إن الحكومة لا تكتفى فى أخذ ضريبة الثمار إلا بعد أن تعدها لمونة لمونة وبرتقالة برتقالة الخ . بعد أن كانوا فى زمن الترك يَجِيئُهُم (الْمُخَمَّن) فيخمن الحاصلات بما ترى ويرضيههم . ورأينا نحن أثر هذا إذ كنا فى ميناء يافا فأردنا أن نركب مركبا نلجّ به أخذوا ضريبة على كل راكب للحكومة قرش صاغ مصرى ، وكان النقد إذ ذاك نقد مصر ومعاملتها أما اليوم فلهم نقد خاص ومعاملة مستقلة تسير على حساب النقد الإنجليزى وفى هذا العام كان البنزين فى فلسطين يزيد ثمن الصفيحة فيها على ثمنه فى سوريا لا مصر يا ضريبة تأخذه الحكومة فلذا كنا نرى سائقى التومبيلات المسافرين إلى الشام لا يأخذون معهم من البنزين أكثر مما يخرجهم من الناقورة وهى حد ما بين البلدين .



ورأيت حيفا فى هذا العام بلداً ثقیلاً المناخ وبه حى قائم لليهود متميز عن حى العرب بجميع أنواع المميزات ، وجبل الكرمل يطل على البلد

والبلد قائم في سفحه بينه وبين البحر ، ترى من الجبل بالعين المجردة شوارع
البلد وبيوته كأنك تنظر شاشة خيالة ، وجبل الكرمل يعد مصطفى
حيفا والماء فيه أعذب منه فيها وشاهدت النصب الذي أقامه أمبراطور
ألمانيا لما زارها واتخذ الكرمل مستعمرة لقومه فيها على حساب أن
يكون بدء مستعمراته فإذا بالنصب مكسّر مطروح من قذيفة مدفع ؟ -
وتقوم إنجلترا اليوم بإنشاء ميناء فيها يقال إنها تشل بها الإسكندرية
وتجعل حيفا ثغر البحر الأبيض المتوسط وهي تمد أنابيب « الجاز » إليها
خارجة من أرض الموصل يسيل فيها على الأرض حتى يملأ المراكب
وسبحان علام الغيوب ملاك الملك يعطى الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء



أما غرفة الساعة فيظهر أنها فكرة تركية رأيتها في يافا وحيفا
والخليل والقدس ويروت وحاب الخ بنظام واحد ، بناء شاهق في الهواء
من حجر صلد أعلاه غرفة مربعة تظهر من جنباتها الأربع ساعة كبيرة
كانت توقفت بالحساب العربي . والآن يدور بها الإنجليز والفرنسيون
في مناطق انتدابهم على ميقاتهم ، وبقيت في سوريا بميقات العرب والله
وحده يعلم متى تعود الساعة إلى دورتها العربية وكل شيء عنده بمقدار عالم
الغيب والشهادة الكبير المتعال

استدراك - كتب تحت الرسم في ص ١٤٣ أنه
صخرة بالقدس - وهو
الحرم القدسي والصورة الظاهرة قبة مسجده

رسـ _____ ائـل سائر ^{كتبت} س ١٩٣٣ م

في بلاد الميـنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« يا بحر — ر — »

لججت بنا الباخرة « إيجيه » في البحر الأبيض المتوسط فكل ما حولها كان ماء تملأ العين زرقته والنفس بهجته والنظر يمتد على مداراته ، فلا يرى إلا سماء مطبقة الآفاق على دوائر الماء ، وكأنما هذه القبة الزرقاء قنتقل والباخرة والنظر إيلاف سفر ، حيث لا تميل الباخرة عن مركز الدائرة ولا يرتج البصر في منكسر المحيط

وسرحت في هذا الكون المائي ، فنسيت به الأرض وأكوانها ، وخلت أني خلعت على الساحل قبل الإقلاع ما كان يعرفني من غم أو يلبسني من هم ، وكأنني أغسل نفسي في هذا المنفسح الطهور من أدراـ العيش في اليابسة الضيقة ، وأخطاء الحس في البيئة النائية . فأخذت أهتف للبحر وأنشده : أن يا بحر لقد خلفت وراءك آلامي وأوجاعي ، وتركت في ساحلك شواغلي ومشاغلي خلفه ضائعة ، لأسأل عنها بل أسأل الضياع فيها والبداد لها ، وقد تقصّي على عام شغلتي أزمانه بأزماتها ، ولقنتني لياليه بسوادها ، وقطعتني أيامه بقطيعتها ، فأنا أحوج ما أحـ حاجه ، سكون في راحة وراحة في سكون ، وأن أتقصّي عن ذلك الوسط تقصّي

العرق ينفض عن الحمى ، منشؤه مَرَضٌ ومسقطه مَرَضٌ وفي العاقبة رجاء
 سفرة سعيدة موفقة ، فالرفاق كرام ، والبحر رهو ، والريح رخاء ،
 والظعن الذى شكاه الشعراء ، وجزع منه الخلطاء كان أحبَّ إلىَّ وأشوق ،
 وكان الدواء على ما تخيلته لما بي كان من داء ، داء ما ألمَّ بي فى مضرب
 الأعصاب متى حتى اشتدت وتوترت وكادت لولا الرحلة تنقطع ، فما
 كدت أخرج من أميال الحدود حتى خرجت من ميل النفس إلى
 الكنود ، وأرخيت العنان إلى الإخوان وقد رفع السفر حواجز الحضر ،
 فامتزج الرفاق وتخلق السفار على ظهر الباخرة حلقاً كأنما هم أهل بيت
 واحد يحتجز الألاف منهم مقاعد السمر ومرابد الضحى وكل ما أعمله
 لنفسي أن أنسيها سنتها ، وأستقبل بها عاماً جديداً ، بطالع جديد أدوره
 فى منى على فلك السعود فى مجرى الهناء



مذ أزمعت الرحلة إلى بلاد الله قدّرت مناقبها ، ورسمت خريطتها .
 فمن عشر سنين خرجت من مصر حاجاً إلى حرم الله ثم زرت المقدس
 والشام ولبنان ، وكان العزم فى العام الماضى أن ارحل إلى بلاد الترك .
 وأزور هذه السنة بلاد اليونان ، إلى ان أدخل ارض الدنيا وقارة الحضارة
 إقليما إقليما ، فخال فى العام الماضى حائل ما بينى وبين القسطنطينية
 والأناضول ، ولم أشأ العام ان أنكص ، وتركت ما خصّ الترك إلى ان
 استوفى المنازل ، حتى اذا طال الأجل عدت الى مارمت ، ووصلت الخط
 كله بحلقاته كلها



من بلاد العرب الى بلاد اليونان يتكوّن الحوض العظيم الذى تنقلت الحضارة على قوسه قديماً تنقل المصباح فى مشاكيه ، أو تقدير القمر فى منازل جبهة وذهاباً ، وذهاباً وجبهة ، حتى ليخيل إلى الراحل الناظر أن حوض البحر الأبيض المتوسط فى حياته ، وطرائق عيشه ؛ وخلق أهله وطبائع بنيه ، إنما هو دار واحدة ذات غرف وحجرات ينزلها قوم من الأهل فرق ما بينهم قليل ، وتميّز بعضهم عن بعض يكاد يزول

مشاهد البلاد ووقعها فى نفسى

لا تبلغ دمشق من أثينا نصفها ولا نصيفه ؟ وحلب الشّباء كذلك ليست فى صفّ سلانيك ، وجدة وبيت لحم وبيروت من بلاد الشرق العربى تزيد عنها بلاداً رأيتها فى بلاد الإغريق زيادة حضارة وزيادة عمران - ولكن الأثر البليغ ، والمشهد الحديث ، والالفة على الرؤية ، وسريان الإحساس بالارتياح إلى ما رأيت ، وتروّد النفس بزاد ما شاهدت والإقرار فى عميق الروح بأنها رأت ما كانت تودّ أن ترى وبلغت ما ظلمت تصبو إليه حتى فازت به ، والتبسّط بين هذه الأحاسيس بفرح النفس وفرح الحسّ على زهو ببلوغ المنى وإعجاب بوصول القصد إلى ما قعد عنه الخلفون - كل أولئك معان أحسستها ببلاد الرحلة الأولى وتغيرت منى فى بلاد الرحلة الثانية ، ليس تقصاً هذا فى رحلة العام ، ولكن أريد أن أقول للقرّاء إن رحلاتى إلى بلاد العرب أقرّت عيني أكثر ممّا نعمت به

في بلاد اليونان ولا تزال بلاد العرب من جدّة إلى حلب عاقلة بذهني
مائلة أمام عيني لو كلفت أن أكتب فيها لما شقّ عليّ التكليف ، فهي
حاضرة بخاطري ، ونُقِلَ فيها وغدواتي بها ، ولقياي أهلها ، وفسحي في
منازلها ، وأسمائها وأسماء الأشياء بها ، في الحافظة طائعة للذكر ، ولا
كذلك لو بقيت قليلاً ثم أردت أن أكتب في رحلة العام فإنه يشقّ
عليّ بلا شك الكلام

ما أنا ناس الآن أثينا وهي في مدينتها وحضارتها ولطف أهلها
وخفّة هوائها بحيث يرتاح المسافر لها ، وكذلك بلاد طوّفتها في هذه
الرحلة لها أنسها وموقعها من نفس السائح ولكن هذه المجالي كلها
والمشاهد التي حبّبت إلى من رآوها ، كلها لا تساوي عندي شيئاً يوم
دخلت دمشق ورأيتها ، ونظرت فيها مجرى « بردى » والربوة على بابها
وصعدت فندق « أمية » فألقيت عيني عليها بين الغوطة وجبل قاسيون
أو يوم دخلت حمص وشاهدت قبر خالد ونهر العاصي ، أو حين زرت
حلب وقعدت فيها على روضة السبيل بل لقد زرت معرّة النعمان لأشهد
فيها قبر أبي العلاء المعري ورأيت في منحشره إذا قسسته بإحساس مرأيتيه
العام في أثينا من الغار الذي قيل إنه سجن سقراط بجانبه نفق حارسه
وغرفة المؤتمرين له ، إذ لا يزال خيال الزورة الأولى وهو يمثل لي أبا العلاء
وحياته وكلامه ، تمثيل الخيالة الناطقة ، ويطفر مني بسروز النفس كأنه
يخرجه من حناياها المتخفي فيها - ذلك كله يخيل إليّ أن سببه واضح جليّ
فقد قرأت كثيراً عن بلاد العرب وتاريخها وحياة عظمائها ونشأة رجال

التاريخ فيها، ولعل اسم دمشق طنّ في أذني أكثر من مائة ألف مرّة
طنين الصماخ الخارجى أو الصماخ الداخلى مما أقرؤه في الكتب أو أسمعه
من الناس، وكذلك قل عن بقيّة المشاهد في تلك الرقعة الأسبوعية فلكلّ
منها في مخيّ ذكر ومقام مجلبه كلّ إلى العقل من نافذة السمع، ويظهر
أن الحواسّ الموصلة إلى الفهم يغار بعضها من بعض، فما تسمع عنه كثيراً
تحسّ في نفسك الحاجة إلى رؤيته والشوق إلى طلعه، كأنما تريد حاسة
العين أن تتمتع هي أيضاً بهذا الذى أجلبت له حاسة السمع وأكثر، فإن
نلت هذا قرّرت العين وسرّت النفس وكأنما ناحية من نواحيها اطمانت
عليها في نيل طلبتها. كذلك ما تراه العين كثيراً، تحبّ النفس أن تسمع
عنه أيضاً، تسمع تاريخه وأصله وحكايته ليقرّ فيها موصلاً للمعلومات لها
ومن هنا كان سرور النفس الداخلى في رحلاتي الأولى أكثر وأقرّ في معنى
نيل الرغب مما شاهدت العام في بلاد اليونان - بل هذه النظرية تأيّدت
لى في سياحتى الأخيرة، فلقد وقعت سلانيك في نفسى موقعاً أخف من
وقع أثينا، ثم وقعت (قواله) أحلى من موقع سلانيك، بل وأنا مسافر
في الأتومبيل من «سرس» إلى قواله حينما أشار لى أحد الأخوان على
«دمير حصار» كنت كهن لقي لقطاً، وذلك أيضاً منشؤه تكرار وقوع
هذه الأسماء على أنماخنا في حياتنا. ولعل آباءنا الذين سمعوا عن حروب
«المورة» وكثرة تردّد اسم أثينا فيها كان هذا الإحساس ينعكس فيهم،
أمّا نحن فما نسينا اسم سلانيك ومنستر وبلاد مقدونيا، وذكرها لم يمرّ
عليه عقدان، وكذلك اسم قواله وطشيوز واسم دمير حصار الذى أعجز

التلغرافات بتكراره ، وددته أغاج وأمنال هذه الأسماء ، فهي لقرب
طينينها في الآذان أشوق إلى النفس وأحلى في مرأى العين تحقيقا
للمساواة في الأفهام

الرفقة

كان عَرِيفَ السَّفَرِ صديقنا الكامل الاستاذ سامى الجريدنى ، وروحه
وريحانه كان الأخ الفاضل ادوار بك قصيرى ، ولقينا على ظهر الباخرة
القاضى النابه مصطفى مرعى ، ثم نزلنا فى لوتراكى على فندق فيه الأخوة
الاكارم روح الفن والنظام صبرى بك ، والمهندس الحساس رمزى
استينو بك ، والمستشار الكبير أمين زكى بك ، ثم لحقنا هناك روح
اللطف والايناس مرسى محمود بك ، والرجل الأصيل حامد يوسف
منصور ، والكريمان علام محمد بك المالى القدير ، وعبد المجيد الرمالى
أفندى التاجر الشهير ، وعرفنا فى نواحي الرحلة اخوان كرام حلّو
المعشر جورج عطا الله بك ، ورئيس إدارة الاسكندرية ، والمهندس
حبيب بسطه افندى ، والمفتش نجيب فهمى أفندى ، والرجل الطيب
من بورسعيد ، وأخ آخر من القاهرة ، وعمدة من أجا وإخوان وخلان
من هنا وهناك آخت بينهم الغربية ، وتلاقينا على سقيا الماء من نبع العين
التي قيل انها تشفى الامراض والأغراض ، من كل جنس وصنف وملة .
شاكلتهم التي جمعهم واحدة ، ومقامهم فى ذاك المكان قليل ، فهم لهذا
يتزودون الإخاء من نفوس نائية عن بيئاتها ، ولعلها تتعزى بهذا النأى

عن ظعنها من أوساطها - ثم سافرت وحدي في خطّ سلا نيك وقواله
وهناك لقيت مأمور أوقاف الخاصة الملكية هو وحده المسلم المصري
هناك ، فلم أر من ينطبق عليه المثل العربي في الوحدة والانفراد إذ
يقولون : (كمصحف بين رهبان) مثل ما انطبق هذا المثل على مأمور
أوقاف قواله ، وهو وحده في تلك النواحي يمثل معنىً وحيداً فريداً بعد
ما جلا المسلمون من بلاد اليونان أو أجلوا عنها وبودلوا بعددهم من
يوناني آسيا ، فلا تسلم عن لقيائهم إياه أو لقياءه إياي وفرحه وأهل بيته
بشيخ مسلم مصري ، بل أكثر من هذا في اليونان الأسويين النازلين
حديثاً حين رأوني وحسبوني (خوجه افندى) فقد ثارت بهم شجونهم
وفار حنينهم إلى أوطانهم ، وهم والحق يقال وأمثالهم لما يدغموا في وطنيّة
اليونان إلى الآن . ثم ختم المطاف بقاء صديق الروح وعزيز الإيحاء
القاضي الفاضل محمد عزمي ، ولما عدت من الباخرة كان مسك اختتام في
تعرف الإخوان كبير أطباء المعارف الكبير في فضله وفي نفسه حسين
بك زهدى والأخ المؤاخى إبراهيم الحكيم

أما من أشيد به وقد شاد هو بمصر وطبع وجهه على خير عنوان
لها ، وبرز به للملاء في أسمي وأسنى وجوها ، فهو من غنمت صحبته في
رحلتي وكانت معرفته خير كسب لي ، السكرتير الأول لمفوضيتنا في
أثينا حسين راضي ، وكذلك قل عن قنصلنا في بيره حسين رمزي بك ،
وكذلك قل عن أبنائنا وإخواننا ببقية الموظفين في تلك الديار ، وحسب
أي مصري أن يراهم هناك ليخرج عن أي عرض من أعراض دنياه في

زيادة سفاراتنا وتكثير مفوضياتنا ، ونشر أمثال هؤلاء السادة بين
الأقوام الأجنبية ليعلموا أن في السويداء رجالا ، وأن مصر سامية
راقية عالية

مع مثل هؤلاء الرفاق الذين سميتهم ، وأمثالهم ممن لم أحفظ أسماءهم
وبذلوا صفحة انسانيتهم في صحتي وخدمتي ، قضيت رحلة أعد أيامها من
أيام الهناء ، وساعاتها في ساعات السرور والسلام

هوس القومية وجنون الاهمال

ندر أن طرّفت عيوننا في بلاد اليونان بغير لغة اليونان ، فالإعلانات
والعناوين والأسماء والأعلام كلها بالحرف الإغريقي ، لا تقرأ اسم شارع ،
ولا عنوان دكان ، ولا اسم أثر ، ولا علم محفل ، ولا شيئاً مما يماثل هذا إلا
بلغته القوم وهجأهم . ومن يرد من اليونان أن يكتب عنواناً على دكانه أو
إعلاناً لبضاعته بغير اللغة اليونانية فإنه يدفع للحكومة هناك عشرة
جنيهات ضريبة في السنة على هذا الشذوذ . وكنا ندخل دور الآثار ونمرّ
في الشوارع ونزور المحافل فلا نرى مكتوباً فيها للدلالة على ما بها إلا الخطّ
اليوناني ، والترجمة هناك لا يكادون يبينون أو يبينون ، بل من العجب
أنني ذهبت مرّة لرؤية « معرض الاستقلال » فتقدم إلى مترجم لا يعرف
غير اليونانية وكذلك ذهبت مع صحتي إلى « دار الآثار » فيها فلم يتقدم
لنا من يعرف لغة أخرى مما يدرّيه أصحابي كالألمانية أو الإنكليزية ،
والمترجم المتقدم يظن أنه للشرح والتفصيل وقصّ الحكاية والتاريخ على

ما تراه في تلك الدور من الأُنصاب والأحجار بلغت التي حسب الناس جميعاً يعرفونها ودليل حسبانها أنهم جاءوا بلاده فهم لا شك قرأوا لسانها وعرفوا فيها الخطاب . . . لاحظت هذا لصحافي كبير تطبع جريدته في أثينا ثمانين ألف نسخة في اليوم وقد تلاقينا في فندق بضاحية (كفسيا) ورغب إلى أن أحدثه عن رحلتي ، فقلت له : يا أخى تدعون الناس الى زيارتك (وهو من جمعية ترغيب السياحة) في بلادكم ثم تدعونهم حيارى فيها ، حتى أسماء الشوارع وأعلام الآثار تحبسونها على اليونانية ! فهلا وضعتم بجانب لغتكم لغة أخرى من اللغات المعروفة في العالم بالتداول والانتشار كالفرنسية مثلا حتى يتسنى بها الزائر كم أن يعرفكم ولا يبقى في جهله حتى يلتقى بدليل هو عندكم قليل ! وما ضرَّكم أن تشرِّكوها في هذه الدلالات لغة أخرى هي للغريب أنفع وأشفع ، ولغتكم فيها الكفاية لأبناء البلاد ، خصوصاً أسماء الشوارع وأعلام الآثار فإن الآثار إنما هي للنّاظر ، والشوارع جعلت للسائر ، والنّاظر والسائر منهما الضيف والحلي والضيف عندكم جاء بدعوة منكم وترغيب له في زيارتكم فمن تمام الدعوة حسن الإرشاد . قال الصحافي الكبير : إن ملاحظتك صواب ولكنها القومية ، القومية اليونانية لا تريد أن تُشرك غيرها في عزّها ولا أن يبين في جانبها قسم يشار إليها في وطنها وهذه روح يجب احترامها وتقويتها في نفوس النشء والأبناء : هذه حجة الصحافي ، وهي حجة شائعة على السنة أمثاله ممن يقودون أزمة كثير من الأمم في هذا العصر ، وبلغني أنها روح سائدة في أكثر بلدان أوربا الوسطى ، وأن مظهر القومية هذا

غالب على نواح عدة ، مجموعها يقطع روابط الشعوب ويمنع داعي الامتزاج والخلطة ويجعل كل أمة وحدة مستقلة منفردة تجهل غيرها من أمم الأرض وتنسى حقوق الشركة الإنسانية فيها وأن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، وأنه تعالى خلقنا شعوباً وقبائل لتتعارف لا لتتناكر وتتحد . ولهذا الروح آثار أخرى لست أَرْضَى عنها كلها وإن كان فيها بعض المحاسن فهي في نظري كالخمر (إثمها أكبر من نفعها) ولا محل لبسط الكلام هنا في هذا الباب لأنه بحث اجتماعي لا دخل له في كتابة رحلتى ولكن لفت نظري أثران ظاهران عاينتهما في بلاد اليونان :

١ — هناك معرض الاستقلال في أثينا دخلته فوجدته جمع ماغنيه اليونانيون في حروبهم من الترك حتى استقلوا وفازوا ، وهذا لا اعتراض عليه ولكن بجانبه أو قل أكثره مناظر مرسومة بالزيت تمثل فظائع مُنْكَرَة يريدون أن يقولوا إن الترك ارتكبوها فيهم ، منظر يمثل قائداً تركياً يشنق البطريق ورقبته مدلاة من الحبل ، أو آخر عن رجل قلس يقتل امرأة « حبل » والدم يتفجر من أحشائها ، أو أخرى مرضعاً يلحق ابنها دمها وهي مضرجة أمام عينه ولا يعرف أنها قتيل الى آخر أمثال هذه المناظر مما لا أظن يونانياً يراه ثم يصفو بعده لتركى ومما لا يتفق وروح العصر الداعي للسلام والوئام وتناسى الشحنة والخصام

٢ — كذلك قل عن « قبر الجندي المجهول » فهناك في أثينا في ميدان يطل عليه قصر الملك المخلوع قبر منقور في الصخر على مربع كضريح جندي دفن فيه ، وبجانبه مدرجان سميت فيهما شارات الفيالق التي

اشتركت في الحرب الأخيرة، وقبالة سرّة المدفون مصباح يضيء بالليل
وبالنهار، وأربعة من الجند بألبستهم الوطنية يتناوبون حراسته فلا يُترك
لحظة واحدة من دونها، ولا تحبوا النار من فوقه صباح مساء. هذا القبر
هو بدعة جديدة من بدع الحرب الأخيرة ظهرت في ثورة النصر عند
الحلفاء فعُمت « بلدان القومية » عموم هوس ينظرها الأبناء فيتزوّدون
منها حقد الماضي خبء المستقبل، وهي إن صحّت في مثل فرنسا « على
تجوّز » وهي دولة تخشى الهجوم، أو مثل بلجيكا وقد هوجمت فعلا
واستبيح حماها، فما أدري معناها في مثل « اليونان » ولا مثل « انكلترا »
اللهم إلا إشعال النار في القلوب استعداداً لليوم المرهوب في علم علام
الغيوب ممّا يقوم بالردّ التام على دعاة السلام من هؤلاء الأقوام



يقابل هذا الهوس هناك جنون الإهمال هنا، فهنا تراخت مصر في
لغتها ونسيت أن اللغة من مقومات الأمة وعلامة وجودها، فأنت
تسير في مدينة القاهرة في شوارع، وفي مدينة الاسكندرية في أحياء،
فلا تطرف عينك بإعلان أو عنوان مكتوب بلغة البلاد، وتسير في بلاد
وقرى ومدائن تعاملها البنوك والشركات فلا ترى من هذه إحساساً بأنها
في مصر العربية وأنها تعامل المصريين الأعراب، بل اللغة فيها أجنبية
والمعاملة باللغة الأجنبية والمكاتبة والمعاقدة باللغة الأجنبية حتى ليوقع
« الفلاح الوارد من « أئي الشقوق » و « دار البقر » أو « كفر الجاموس »
على أوراق مختلفات كلها رصّ بحروف اللاتين وهو لا يعرفها ولا يديرها

والختم العربي الشريف هو وحده قيّده الجامع إلى عنقه أغلال ما في الكتاب ... ؟؟؟ بل الأدهى والأمر إعلانات المحاكم المختلطة المصرية التي تعلن للفلاحين على أيدي محضريها المصريين ، كلها باللغة الفرنسية ، سواء منها صحيفة الدعوى وصورة الحكم ومحضر الجرز وإنذار « البروتستو » لا يمتشي أحد من عباد الله في تلك المحاكم يعرف أن اللغة العربية لغة رسمية فيها ، وأن هؤلاء المعلنين لا يعرفون إلا العربية فقط فيكون في أعينهم قليل من الملح يحملهم على مراعاة الذوق في مخاطبة هؤلاء المساكين وقد أمر سيد الخلق أن يخاطب الناس على قدر عقولهم ، فما لحكومتنا السنية لاتراعى في رعيّتها هذا الفهم من حسن الخطاب ؟؟ أما ما نختم به الكلام في جنون الإهمال فهو ما يُطير عقول الزائرين من المصريين إذا دخلوا يوما « دار الآثار المصرية » فطافوها كلها في دورها الأسفل ودورها الأعلى ثم لا تكحل أعينهم بحرف واحد من حروف يعرب بن قحطان غلط فيه أبناء الدار فوضعوه على أثر من الآثار ، كأن دار الآثار المصرية ليست في مصر ، وكأنها معروضة لغير المصريين ، هذا والمصريّون هم بناء الدار والمنفقون على من في الدار وأصحاب ما فيها من أبدان وأعلاق وأحجار ... !! وحسبنا الله ونعم الوكيل

في آثينا

الطّف ما قرأته للصحافيّ العجوز إطلاقه اسم « آثينا هانم » على تلك العاصمة الإغريقيّة القديمة ، وهو إطلاق يدلّ على المعنى الذي يحسّه

السائر في تلك المدينة ، بل فيما رأيناه في غيرها من البلدان . « أثينا هانم » لفظ يؤدى في إطلاقه معنى التركية ، فاذا لمسنا الحقيقة فانه يؤدى معنى الشرقية الخاصة بحوض البحر الأبيض المتوسط ، فأثينا بلد تراه كأنك رأيته من قبل ، ولكن الصحافي العجوز لقّب تلك العاصمة بالهانم للدلالة على ما نفهمه من إطلاق الهانم بيننا وأنها امرأة فوق النساء ، ونعم ذلك ، فأثينا بلد يكاد يكون منقطع النظير في محيطنا ، ولو أننا أخذنا أرقى جزء من الاسكندرية في أحيائها الآهلة ثم وسّعنا شوارعه كثيراً وجدعنا من أدوار دورته قليلاً لا يمكن أن نصوّر أثينا بعد هذا الإصلاح والتزييق . بلد جاف الهواء خفيف الظل ، انبطح على تلك البقعة من قسم « الأثينكى » بمبانيه وشوارعه وميادينه ، انبطاحاً لم يستوفى سهل ولا حجزه ظهر ، فهو ينساب بين سهولها ، ثم يتسلّق ببساطه سفوحها ، فترى أضراس الجبال من هذه البقعة نواتى وسط المدينة المفرطة والدور تلف بها كدرجات الهرم إلى أن يكسو قبابها أثر من أعلامهم يشاهد لأهلها ويشاهد من يشهد من مغانيه قطائرها ، ويخيل اليك وأنت تتشوّف البلد فرق سطح عال ، أن ما يحجب نظرك من تلك الأضراس هي حدودها ، وهي ليست حدودها ، وإنما نواتى فيها تبين لمن يحلق في سماءها كقصعة حجرية منقوشة أو منقورة ذات تهامة وحجاز . ثم تمتاز هذه المدينة بميزة سرّتى ، شوارع واسعة ومستقيمة ، والسعة والاستقامة في الشارع هما شرطاً الحياة الصحيحة والذوق السليم للباني والساكن ، والشوارع في أغلبها متقاطعة وهي على

صعودها وانحدارها يكاد يكون سطحها مستويا ، لا يشعر المار بضغط
الرئة ولا بخفقان القلب من هندسة هذا الاستواء . ثم تنتثر بها الميادين
والمتنزهات كنشر النثار ، وبينما تنتفع البلدية بصحة أبنائها بهذا التفسيح
تنتفع خزائنها أيضاً بتأجير هذه المنفسحات لأرباب القهوة ، فهي مليئة
بالجالسين ينعمون فيها متنزهاً ، وينتفعون بها راحة ومشرباً
وأثينا هي المعبودة التي نازعت « يوزيدون » شرف الرياسة على
تلك المنازل الأولى وقد قامت حول القلعة التي بناها « ككربس » المصري
القديم ، فتم لأثينا هذا الشرف ، وصارت الإله الحارس لتلك المدينة
العتيقة ، فملت اسمها من قديم

مصر وحدها ... ??

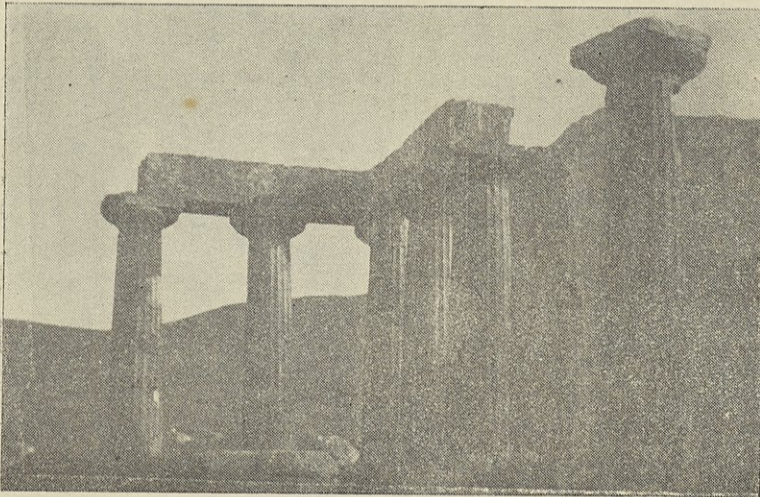
وقف الدليل بنا على ربوة حجرية لا تطل فيها ولا أثر غير ماتكشف
به عن آثار جدران لانظام فيها ، وقال لنا ويده في خاصرته في لهجة
خطابية (هنا أيها السادة وقف « بيركليس » يقدم لاهل أثينا حساب
ماصرفه على بناء الاكروبول وأشار إلى الاكروبول بيده ، وهو قائم
قريباً من مكانه ، وهنا كان مجلس الأشراف والقادة فوق هذه المصطبة ،
ودونهم هنا في هذا المنخفض مجلس الدهماء والعامة ، والمكان كله كان
مؤتمراً لاهل أثينا في القديم . ثم أخذنا قليلا الى جبل من تلك الاضراس
فيه نقر بقدر القاعة ، وبجوارها قاعة أخرى وبينهما ممر ، وقص في تأوه
وتحسّر قصة سقراط لما شرب السم حين كفر بالآلهة ، وفي الممر موقف

الجندي الحارس عليه ، وفي القاعة الأخرى قال إن أصدقاء سقراط ائتمروا فيها على خطفه ، وأرادوا أن ينقروا في الجبل نقراً أرانا أثره كي يطلعوه منه في غفلة الحراس ، فأبى أن يخون القانون ، ومات منتحراً بعد أن أسمع تلميذه « وكان مجلسهم أمام غرفته من وراء الحديد » مادونه التاريخ لسقراط في باب الحكمة والاعتبار . قول الدليل هنا وهنا ، قول تسمعه كثيراً في بلاد اليونان فأكثرهم « كنتى » من الذين يقولون « كنت وكان » ولكن لا أثر يشهد ولا قديم باق وإنما آثارهم خرائب وأطلال ، والدور التي بنوها وجمعوا فيها آثارهم تدخلها فلا تملك خلجة هزؤها ، فهي أنصاب ما بين مكسر ومهشم ، وأحجار بين الكبير والصغير إن دلت على شيء فكما تدل الصفحة الواحدة بقيت من الكتاب الكبير ، أو الغرفة المهدمة لم تضع مع القصر المشيد . وفي أثينا دار الآثار والمتحف الرومانى وفي « كورنثوس » كذلك دار للآثار بنتها كما يقولون أمريكية مفتونة ، جمعت فيها تماثيل أكثرها روماني ، بل لقدغنى الغلو على يوناني العصر فأقاموا دوراً لما زعموه آثاراً بنوها في البنادر والقرى ، رأيت منها قاعة في جزيرة طشيوز إثر ما أبان لهم النقر فيها ، وهم يقولون إن إله البحر كان بها ، تدخلها جميعاً فترى فيها ما كان أولى به البقاء تحت أطباق الثرى ، إنما لها الفضل على المصري بحق إذا زارها أن يحك يافوخه بصفحة السماء نغراً وعلاء بمصره الخالدة ، مصر الآثار الظاهرة التي لم يصرع الدهر منها شرفة ولا طنفاً ، والآثار الخفية التي تتجلى بين حقبة وأخرى تجلياً يهر الدنيا الجديدة حتى تجنو على جبينها وقد خرت للأذقان ساجدة لعظمتنا

القديمة التي نفخ « مصر ايم » الأول روحه في واديه بها ، ثم لم يهدأ فهو
من آن لآن ينفث من تحت أطباق الثرى نفثاً يكاد يوقظ النائمين الغافلين

لوتراكى

لوتراكى . لوتراكى . هذا هو الاسم الذى كان الصيحة فى هذا العام
تأخذ أسماع المصريين ، أشاعها ورددها إخواننا يونانيو مصر ، وقد
طبعوها على منشورات وزعها كل ذى عمل منهم على عملائه ، فذهب
المستجيبون إليها ، وهم يحامون أن سيجدون فيها إكسير الحياة وزيت
الحكمة ، وذهبنا إليها من « بيريه » مصعدن شمالاً بغرب ، حتى حاذينا
مضيق كورنثوس وتجاوزناه قليلاً ، فإذا بها قبالة كورنثوس البلد القديم
معبد الاله أبولون ، وبينهما رأس الخليج ومن رأس الخليج يبدأ المضيق



« معبد أبولون فى كورنثوس »

الذي أشرفت على تحسين شقّه شركة إفريقية ، فالسفن تجتازه اليوم ذاهبة آتية ، من بحر الادرياتيک إلى بحر بيريه أو خليجها

ولوتراکی قرية في لطف الجبل ، قديمها في أصل سفحه ، وحديثها يمرّ مع عنق ضيق يمتدّ من الأرض كالعرق بين الجبل والخليج ، وفي هذا العرق تنبجس العين التي يزيد فيها الوهم ما شاء من شفاؤها لـسـكـلّ داء واستغلت اليونان هذه العين استغلالاً حديثاً ، فهي تصفّق لها في أنحاء الشرق ، كما تصفّق لعيون أخرى تروى عنها الاعاجيب في «اديبسوس»



وغيرها . والبلد قرية حللناها ، فرأيتها كما أرى القرى الجبلية من بلادنا أهلها أهلها وحالها حالها ، فالمرأة بالقميص الأسود والقناع اللامع ، والحمير بالأف كف البلدية ، وجحرة الصوف الحمراء ، والزكائب والزناييل ، والشوارع لمّا يتمّ نظامها ، ولكن الحركة والحق يقال قائمة قاعدة فيها . وقسمها الغربي على اتجاه العين شارع مملوء بالفنادق ومنازل الأجرة إلى نهاية .

المؤلف ورفيقه دلاور بك في أحد شوارع لوتراكي
(تصوير جريدة الاكروبول)

حدثني سريّ من يونان مصر ، أنهم سيجعلونها يوماً فندقاً يبيع الذهب أو يبلّعه . وقد بنت الحكومة حماماً على العين بثلاث درجات لكل مستحمّ فيها من أهلها غرفة بها «إزن» أوحوض سلّطت عليه صنوبرتان (حنفيتان) تجريان بماء العين سخناً وبارداً يملأ للمستحم على وزن الحرارة التي يشربها طبيب المصحّة ، وهو طبيب الحكومة كل من يرد لوتراكي يرد عليه فيبحثه ويقرّر له ماءه . ومدة المقام بالبلدة «رسمياً» واحد وعشرون يوماً ، وتتقاضى الحكومة عن الحمام الواحد في الدرجة الأولى واحداً وثلاثين درخمه غير البقشيش للخوادم . وتشرب الماء ثلاث مرّات في اليوم بالقدر الذي يقرّه الطبيب من منهل وقد بنى عليه صاحب العين سقاء أبدع فيه بدعا ، وهو من فضل الله يبيع ماء الله كل كوب بدرخمه فيجمع في اليوم ربح بنك من كثرة الواردين والمستقين وهم كانوا خليطاً أكثرهم مصريّون حتى خلت أتنا في سوق بمصر اجتمع لها أبناؤها . ولا شيء بلوتراكي غير الماء والطعام والنوم والقعود في المقهى والفسحة عصرّاً على سفح الربوة . أما غيرنا ، وأكثره من اليونانيين المقيمين ، فسبيلهم هناك «الكزينو» وهي دار بجوار الفندق تطلّ على البحر يبتدىء عملها ليلاً وينتهي صباحاً ، قال لي من رآها إنه لا موضع فيها لقدم ، وأقدام من فيها تحمّلهم صباح مساء من أرجاء اليونان ومن شذاذ المصطافين إلى بئر هذه الدار أو بالوعتها ، وهي بئر القمار ، فتحتها حكومة اليونان لمن يتردّى فيها ، وكسبها من هذا الرديّ كثير . ومن لطيف ما يروى عنا بلوتراكي أن جريدة الاكروبول

أخذت صورة لى وصاحبي دلاور بك ونحن نمشي ولم نشعر وفى ثانى يوم
جاءنا بنسختها يونانى مصرى وقرأ المکتوب تحت الصورة أنها لادوار
بك قصيرى القاضى المصرى بلباسه الوطنى

موسلنجى

على بعد ١٢ ساعة فى البحر والبر غربى مقامنا هناك تقع بلدة
«موسلنجى» وهي البلدة التى بدأت ثورة اليونان منها على الترك وقدحت
شرارة النار التى حرقت بساط حكمهم فى البلاد ومنها اهتزّ الشاعر
الانكليزى اللورد «بيرون» هزة الحماسة لأبناء الاغريق وهزة الغضب
على خلائف عثمان فسيرها قصائد خلّبت بها ألباب قومه ومن لفّ لفهم
فى تلك العصبية الغربية ثم حمل بندقيته وانخرط فى جيش العصاة يحارب
معهم أولياء أمورهم حتى خرّ صريعاً فى ميدان القتال ، وحفظ اليونان له
هذا الجليل فأقاموا لجسمه تمثالاً فى شوارع أثينا وحفظوا فى معرض
الاستقلال بها سريره الذى كان ينام عليه فى صف القتال وما أمكن حفظه
من آثاره هناك

والذى عنانى بذكر هذه البلدة ماعلمته قبل رحيلى الى اليونان من
أن لمصر فيها ذكراً ونحراً وصفحة علوية تكتب بماء الذهب فى سجلّ
الرحمة أولاً ، وسجل الشجاعة ثانياً ، ثم ذكر المروءة على أبهى وأتمّ مثال .
تلك الصحائف خلّدها لمصر فى بلاد اليونان بطل الشرق «ابراهيم باشا»
فاتح المورة ، ونحمد الثورة ونخلّي البلاد العاصية لوجه السلطان فى ذلك

الزمان . وكنت أعلم أن في «موسلنجي» أثر أخطيأ إبراهيم باشا معروضا
في متحفها هو عهد أمانه لأهل تلك البلاد ولكن سبيل السفر إليها على
مشيته جعلني أتثبت من بقاء هذا الأثر هناك قبل الاقدام على الذهاب
حتى إذا رأيته ورسمته نسيت نصيب الطريق ، فكلفت من يعرفني هذا ،
ثم بان أن الأثر ليس هناك ، ولا يزال البحث عنه من أثر تكليفي جاريا
ولما يجئني خبر غايته الى الآن

كان معنا في لوتراكي الاستاذ دلاور بك وظهر قبلنا إلى أثينا فحملته
البحث لي عن هذه المأثرة وفيها جاءني جوابه الذي أشرته ، وصورتان
يونانيتان لعهد إبراهيم باشا وجواب محافظ «موسلنجي» عليه ، وهذا
كتاب الاستاذ ، أما عهد الأمان وجواب المؤمنين فقد ترجما لي في سفارتنا
هناك الى الفرنسية وهما ذان أرجو المقطم أن يترجمهما الى قرائه بالعربية
وله شكر التاريخ والوطنية

سيدي الاستاذ الجليل

سلاماً واحتراماً وبعد فاني أمس بينما كنت مسرعا في الطريق واذا
برجل هرم استوقفني وظهر أنه مدير الدفترخانة الذي كنت في مكتبه
للبحث عن جواب إبراهيم باشا . وقال لي إنه وجد المستند المطلوب والرد
عليه فدعوته الى قهوة لا أسمع منه التفصيل فقال: إن إبراهيم باشا لما وصل
أمام «موسلنجي» كتب جواباً لعمدة المدينة يقول فيه إنه علم أنه
مستعد لتسليم المدينة بدون حرب فهو يعطيه الأمان فجاء الرد من العمدة
ينكر ذلك وأن المدينة لا تسلم مادام فيها رجل يحمل السلاح وعلى ذلك

بدأ الحصار وفي أثناؤه أُطْلِقَت المدافع على المدينة فدمرت معظم مبانيها
وفي النهاية قرّر الرجال الخروج لملاقاة جيش إبراهيم ووقعت الواقعة ولم
يبق أحد من اليونان فدخّل جيش إبراهيم المدينة ولما دخل إبراهيم ووجد
جثة القائد اليوناني ترجّل وأمر بغسل وجهه من الدماء وقبله وأطّيب في
مدح بسالته . هذه هي الوقائع مختصرة كما هي ثابتة في كتب اليونان
ويؤيدها ثلاثة كتب انكليز أخذت أسماءهم ، وفي المساء أرسل إلى هذا
الأستاذ صورة الخطابين وهي مع هذا ، أما الأصل فيقول هذا الأستاذ
« وهو من المشهود لهم بالعلم والمعرفة » إن الأصل لا وجود له في أي
جهة كانت ولا يمكن أن يكون في متحف المدينة لأن أمتال هذه
المستندات كلها تُحفظ في الدفترخانة وهو أمينها . وقد اطلعني على نسخ
الجريدة التي كانت تطبع في ذلك الوقت وفيها هذه التفاصيل

أرجو أن أكون قد وفّقت لأداء المهمة ، سلامي وسلام صبري
للجميع وقد عزّ منا بمشيئة الله على السفر يوم الثلاثاء بعد الظهر إلى مصر
في الوابور الروماني « داشيا » وإلى اللقاء في مصر ، ودمت في حراسة الله
وعنايته المخلص اه - وهذان هما الكتاب والجواب المشار إليهما :

من إبراهيم باشا

والى وسر عسكر جدّة والمورة ومحمد رشيد باشا والى وسر عسكر الروملى
إليكم يامن أنتم محصورون في موسولنجي صغاراً وكباراً نقول لكم
إننا أرسلنا لكم الرجل الذى طلبتموه وبهذه الكيفية تحدثنا عن عدة
أشياء من بضعة أيام . ولكن الأمان الذى تطلبونه يقتضى أمراً آخر

وهو ما نقوله لكم فيما يلي :

أولاً : أن تسلموا سلاحكم تسليماً تاماً فلا يبق مع أحد منكم ولو
مبرة صغيرة

ثانياً : أن تقيموا في أية بقعة أردتم من تركيا وإذا رغب أهل
موسولنجي في الإقامة بمكان آخر فأننا نمنحهم الإذن في ذلك وإذا شاءوا
المكث في مكانهم أمكنهم ذلك مع بقاء بيوتهم وممتلكاتهم لهم ونؤكد لكم
أننا لن نمسّ أرزاقهم وأرواحهم بأذى
فاذا قبلتم ما تقدّم أعطيناكم الأمان
وهذا آخر جواب لنا

حرر في ٢١ مارس سنة ١٨٢٦ م من معسكر الجيش

الى وزيرى إيالة المورة وإيالة الروملّى الساميين

إنكما تخطئان فلسنا نحن الذين طلبوا المفاوضة أولاً بل أنتم الطالبان
ولقد اطلعنا على وثيقة جوابكم ونشكر لكم لأنكم كتبتم لنا
الحقيقة المجردة إذ قد تعذّر علينا حتى الآن أن نعرفها من رجالكم وقد
قصّوها علينا بشكل قسوة . وما كنا نعتقد قط أنكم ستفكرون في
طلب استلام ثمانية آلاف سلاح دام لأن حياتنا تتوقف على هذه الأسلحة
وعليه بعد ما اتّضح لنا غرضكم بعد القرار الذى اتّخذناه ليحدث
ما تقضى به إرادة الله التى تجهلونها بقدر ما نجعلها نحن ولتكن مشيئته
موسولنجي في ٢١ مارس سنة ١٨٢٦ م انتهى

فى أثينا أيضا

الجامع - الاكربول - بنا كسى - استديوم
معروض الاستقلال

أما الجامع الباقي بأثينا اليوم (وكثر مدارس فيها من الجوامع) فهو
القائم بميدان مونوستراكى ماأدرى إن كان أصله كنيسة وحول جامعاً
أو أنه أسس فى الأصل مسجداً فإن رسمه رسم الأولى ، وبجواره صف
من الاعمدة لايزال قائماً بقبة تدل على أصل ضخيم لكنيسة عظيمة وهو
منها فى موضع المذبح وإن كان استقلاله عنها وتفرده برسم الجامع يفيد
استقلال بنائه ولاسيما أن على بابه رخامة تشوف منها الناظر اسم مصطفى
وسنة ١٢٨٠ هـ وهو مغلق الباب يشبه من وجهه بعيد قبة الغورى بالقاهرة
ولم أدخله على رغم ترددادى ، فبابه مغلق وبوابه غائب ، وقيل انه جمع اليوم
لآثار شرقية لأعرفها وليس فى أثينا كلها على طول بقائها تحت حكم
المسلمين مسجد أو أثر مسجد غير هذا . ومما تحسن الإشارة اليه ماعلمته
بمصر من صديق النبيل على سرى عمر بك وزيرنا المفوض بأثينا ، أن
حكومة اليونان تنازلات لجلالة مولانا ملك مصر عن ستة آلاف قدم وسط
مدينة أثينا لبناء مسجد عليها يناسب عظمة مصر ويهوى اليه المسلمون
وحضرة الوزير لم يك بأثينا حين زرتها بل كان مصطافاً خارج
ليونان فخرمنا من أنس ولطف كريمين

أما الاكربول فهو بقية مما ترك الأولون ، بناء كان رواقاً بأجنحة

وأعمدة بالطابع اليوناني الذي سبق الطابع البيزنطي ، وعلاماته منتشرة هنا في أبنيتنا التي أخذت تزول وأظهرها مثلث منفرج الزاوية بارز على عقد الشباك والباب ، وقد خرب وينسبون خرابه للترك حين دخلوا أو حينما اعتصموا به وأريد إخراجهم منه ، ولا يزال بابه سليما وفيه الجامع الذي احتجزه الترك في رواقه الأكبر وعلاماته الباقية الى اليوم بناء المئذنة الذي وضعوه في أحد أركانه واكلوا به مربع المئذنة ، فلما زال حكمهم أزيلت ساريتها وجدع منها ما زاد على بنائه ، ولم يبق فيه من أثر للترك إلا حجر ملقى قرأت فيه اسم (مصطفى أفندي همت حصن قلعة بندو سنة ٢٠ مكرر) ورقم المئات مظموس وقيل لى ان صاحب هذا الحجر هو صاحب الجامع في ميدان مونستراكي ، والاكروبول في منظره أقرب الاشياء شبهاً بهيكل بعليك إلا أن هذا أرقى منه طابعاً ورونقاً

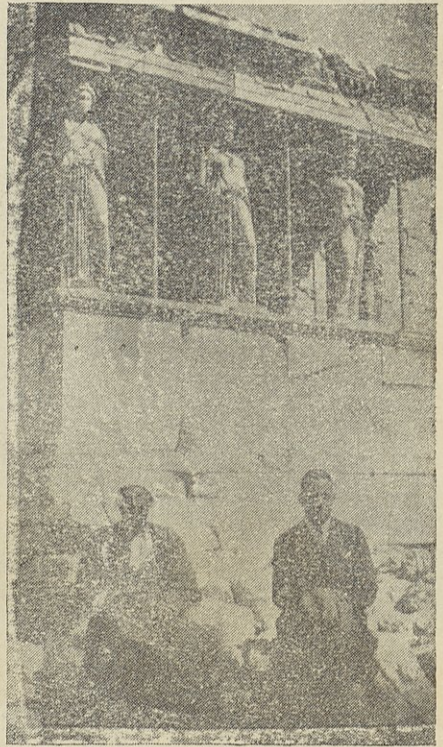


« الاكروبول في أثينا »

وإن اختلف رسم كل منهما وتباينا سعة ونظاماً . ويظهر أن الهيكل بنى
بعد تدرج الزمن وتطوره غير أنه بمقابلةتهما يرى أن أصله فيهما واحد
ومن الاكروبول تتبين لك أثينا كلها ويبين لك معبد « ايديموس »
قاتل الوحش الهائل (اسفنكس) ذى الاجنحة السبعة وبجواره المرصد
وهنا ولاشك قد صدق المحمى اليونانى فى تشبيهه بهواء الاكروبول
وترى باب الاكروبول فتاهج منه باب معبد الافصر ، كلا المنظرين
واحد ، ولكن شتان بين المنظرين

مصر الى لامصر يبلغ شأوها ولها من الآثار أصدق شاهد

أما بناكى فهو اسم تاجر
القطن الشهير بمصر بنى لقومه
بمالنا فى عاصمته متحفاً لا يقل
ثمنه وثمان ما فيه عن ١ مليون
إن كان ذلك المنحف يقوم ، وهو
بناء حديث يدخله الزائرون
مجاناً فيرون فيه نفائس جمعتها
يد الميسو بناكى من مصرية
وعربية وفارسية ويونانية ،
أهم ما لفت نظرى فيه مجلس
شرقى بناه بالرخام المون وقد
جمعه من هنا ، وفيه « فسقية »

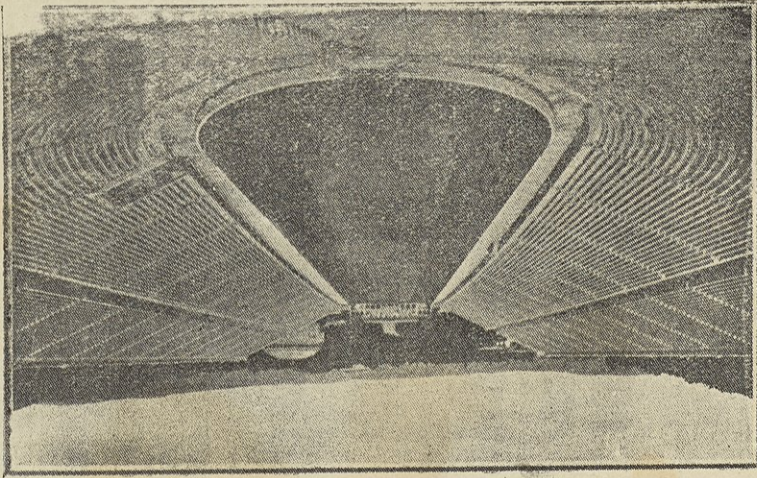


المؤلف والقاضى محمد عزى فى الاكروبول

ومشارب ومحراب إسلامي يخيّل إليك أنك في مسجد من مساجد
المماليك اللأى يفخر بها التاريخ ، أو كأنه نقل من باب الجوهريّة
بالأزهر ، وفي غرفة السلاح زرد لفارس نحاسي محوّط بتعويذة عربيّة
تحفظه لابس من شبّاة الطيّ وبه « شمعدانان » نحاسيّان عجيبان صنع
أحدهما باسم قايتباي وصنع ثانيهما باسم الملك المؤيّد . وفيه الى آخر
ما فيه مما أدعو كلّ مصريّ أن يرى ما فيه ليعلم كيف تكون الوطنيّة
وكيف تحمل أبنائها الحقيقيّين على خدمة إخوانهم الحقيقيّين ؟



أما الاستديوم فهو الملعب الفخم الذي شيّده في أثينا مكان ملعبها
القديم الخواجة أفيروف المصري أيضاً وبمال مصريّ أيضاً . بناء بيضاويّ



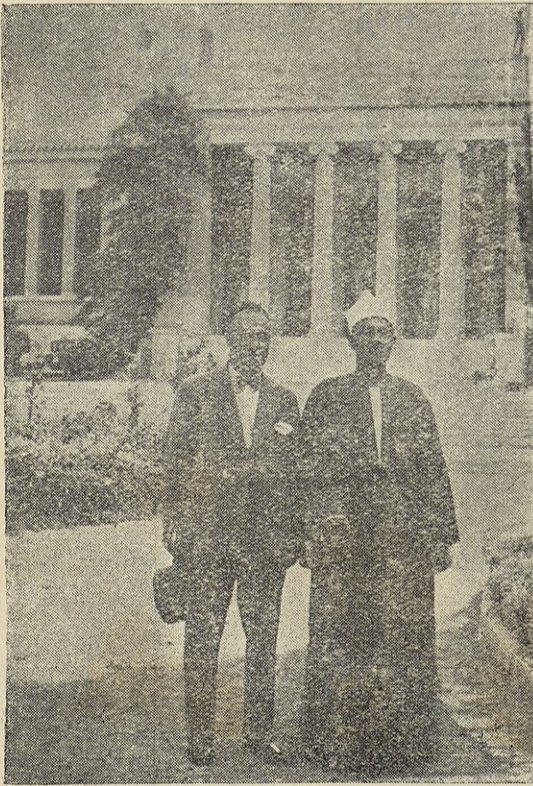
الاستديوم في اليونان

سماويّ حلّيته مستطيّلة يلفّ بها مستون ألف مقعد رخاميّ رصّت مدرّجة
مقسّمة للجالسين يعلو بعضهم بعضاً فلا يحجب جسمٌ عيناً وأنظارهم

تَصُبَّ جميعاً على حوض الاستديوم ، وفي قاعه متسع للاعبين من كلِّ نوع وفي كلِّ مضرب ، وفي اتجاه الداخل كرسيان خاصان نصب أحدهما للملك قسطنطين والثاني للملكة زوجته . بقي الكرسيان وذهب الملكان ، وقد ابتدئ في بنائه من سنة ١٨٩٦ ميلادية واحتفل بفتحه قريباً للاعبين



ومعرض الاستقلال هو كما قلنا بناء يجمع حسب هذه الأمة الحديثة ممّا غنموه في حروبهم مع الاتراك وأتباعهم ، لفت نظري فيه لوحة



المؤلف ورفيقه ادوار بك قصيري امام متحف اثينا

عربية هذا نصّ ما هو مكتوب فيها (قال النبي عليه السلام عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة) وتحتها « مقررصة » ملكية هي شعار الدولة العلية هذا نص المكتوب عليها (المستند بتوفيقات الربانية ملك الدولة العثمانية سنة ١٣١٠) وهذه السنة هي سنة الحرب

العثمانية اليونانية التي خاضها المرحوم أدهم باشا ، وبجوار اللوحين لوح ثالث فيه شجرة آل عثمان برسم ملوكهم المعروفة ولم أدر سرّ الجمع بين هذه الثلاث ، أفیقصد المنظم أن الحديث الأول لم يطبقه أهل الشجرة الثانية الذين ضاع منهم هذا الشعار الموضوع بين الحديث والشجرة بما صنعوا في عدل المسنين والأيام أو ماجرى عليهم من عدل السنين والأيام ... »

سان جورج

سان جورج الفارس القديس الذي طعن التنين بمزراقه ، والذي تراه ركباً صفحة الجنيه الإنگليزي يدلّل بذهبه لبريطانيا مالا يذله حسامها



صورة المؤلف ورفيقه حبيب بسطة على الطريق الصاعد للكنيسة

والذى يقول السكسونيون إنه حاميمهم وحافظ سلطانهم ، هو كذلك في بلاد الإغريق يرفعون اسمه على أعلى كنيسة في مدنها وقراهم ، وأينما سرت فرأيت كنيسة في الذروة من مباني البلد فاعلم أنها كنيسة سان جورج

وكنيسة سان جورج في أثينا هي على قمة من قممها أعلى ما في قممها ، بل أعلى من الاكروبول وما بنى على سواء الاكروبول ، وضعت قواعدها على شوى الرتبة العالى الى ٢٧٧ متراً ، ثم استوت بعد قامة الرتبة بقامتها هي ، فتراها تبين للناظرين متراية لهم من أقطارها ، وقد أطرت بحبال من كهرباء ووضع في صحنها برج بلورى على مصباح قوى كنور المنارات الذى يضىء في البحار يقَد في مواسمهم — سعدنا اليها بطريق لولبي تعهد بصنعه خواجه من خواجهتهم ، في نظير أن تركته الحكومة له عشر سنين بلا إتاوة تأخذها منه على ما صنعه فيه ، وقد صنع فيه حدائق غلبا زرعها على جانبيه ، وهو طريق ممهد بالأسمنت ، كل درجة منه تستوى على طول ٥٠ أو ٦٠ متراً وفي منحنياته اللائى ظنّ الخواجة أن الصاعد قد وصل تعبته إلى الراحة فيها ، وضع هناك قهوة بكراسى وموائد ، ثم في وسط المصعد الحديقة الكبيرة ، مملوءة بالمقاعد الكثيرة . وانتهى بنا الصعود إلى الكنيسة ، وهي غرفتان إحداها للقبور والثانية مقهى في شرفيها وغربيها مقاعد للجالسين ، ومن شاء منهم طلب الحلال وجد القهوة وشراب الليمون وفاكهة مسكرة وانواعا من الحلوى على مجلس تتناوَحُه الرياح الجافة من مهاها بقوة من نشاط الصفاء

الطبيعي في تلك المنطقة ، وإذ رآني قسيس الكنيسة وتلاميذه بملابس
الفقية حنا إلى ، والرب على كل حال واحد لا إله إلا هو سبحانه وتعالى
عما يصفون . وفي سلانيك كنيسة سان جورج ، وفي قواله كنيسة سان
جورج ، وفي كثير من البلاد تجد هذا الاسم ظاهراً عالياً . وبلاد اليونان
بلاد دين ويقين ، وهم أهل حشمة وصلاح ، والقسيس عندهم في غاية
الاحترام والاكرام ، وأقول إنهم أيضاً في ذوق وأدب ، والكنائس
الصغيرة وهي تشبه الزوايا عندنا منتشرة في كل جهة ، وهي في بنائها
أشبه شيء بمشاهد الأولياء عندنا ، غرفة عالية مستطيلة ، تعلوها قبة
يتناسب ارتفاعها مع سعة بنائها ، ومكان المذبح فيها مكان القبلة في زوايانا
كأن هذا الرسم المتوحد في أمكنة العبادة الشرقية هندسه ذوق متحد ،
بل كنت أرى تلك المعابد الصغيرة في القرى كأنها مبنية بالطوب النيء
مما يشبه زوايا العزب والكفور في بلادنا

وأغلب ما غلب على أذهان اليونان إذ يروني بالجبة والقفطان إلهام
فطري أنني ديني مسلم ، حتى لقد دهشت من خادم الفندق بلوتراكي ،
وهو غلام كنت أحسبه غيباً إذ نزل فيه بعد مجيئنا إخوان لنا من قبط
مصر معهم قسيس قبطي ، فجاء غلام الفندق يكلمني بالإشارة يريد أن
يقول لي ، إن قسيساً مثلك مصري قد نزل ضيفاً بالفندق ولكن عمامته
سوداء غير عمامتي البيضاء . وقال لي يوناني مصري إنه لا عجب ألا يدعش
اليونانيون من العمامة البيضاء فقسس القرى في داخل البلاد يلبسونها .
أما أنا فتعليلي أن المشايخ الترك لم يتركوا البلاد من زمن ينسى ، وأن

كثيراً من اليونان يعرفون مصر وينقلون عنها فليست هي بغريبة عنهم،
ولعل وجه الأُنس بها أكثر ، ان لبس الجبّة والقفطان ، في وسطهما
الحزام ، وعلى الهامة العمامة ، وهو منظر وحيد فريد في تلك البقاع ،
يلفت النظر ، فهو في ائتلافه ودلالته على معنى تمسك صاحبه بمذهبه ،
أجلب للأُنس ، وأدعى للإلف ، وهنا معنى أحسسته في هذه الرحلة
كثيراً وكثيراً مانفعى ورفع الحرج عني حتى لقد كنت مدعوّاً مع وزيرنا
النائب في مصيفه ودعا عائلة بجمعها فقالت فتاة الحى منهم لمضيفنا وترجم
لى عبارتها التي لا أنساها بل أسوقها للزائعين عن عمامتهم . قالت مدموازيل
أرور : إن العمامة شارة الرجولة . صدقت الفتاة وكذب الزائفون

« بوسه لينى »

بوسه لينى كلمة إغريقية ، معناها « ما اسمك » أجعلها اليوم عنوان
مقالى ، لأن وقعها في أذنى من فم الطفل خرامبى لا يزال رنينه متواصلاً
يحرك في نفسى أوتار الأمل أن أعيش وأحيا حتى أرى أطفالنا في مصر
مثل الطفل خرامبى ، الذى هو عنوان متكرر في نشء اليونان

نزلت « كيفسيا » وهى ضاحية من ضواحي أثينا ، قائمة على جبل
هو سهل أو سهل في شكل جبل ، فارتفاعها عن سطح البحر ارتفاع جبل
ولكن انبساطها في أحضانها ، ونبت النجم والشجر في أحواضه ، وتقلب
الدوح والريحان على أتباجه ، وتفرع الأشجار الباسقة بين كسبانها ،
وتخلل النسيم الجاف لجوّه النقي ، وقيام الدور والقصور على جوانب

الطرق المعبدة المقطرة ، وانتثارها بين الغيصات والجئات ، ومناوحها
للسفوح والغابات ، كل أولئك جعل ضاحية كيفسياهى جنة اليونان ، أو
روضة جناتها وحبّة العقد فى مصايفها ومرابعها ، وكنت أنزل منها
فى فندق « بنتلكون » ، وهو أعلى فندق يراه الزائر فى رحلته لبلاد
اليونان . فندق ظريف لطيف مع غلاله وارتفاع أجوره بالنسبة لأشكاله
وأمثاله ، وكان من بقى من الاخوان فيه ، الصديق القاضى محمد عزمى ، وقضينا
أياماً كنا نختلس ضحاها وأصيلها للترىض فى غابة الصنوبر القائمة إزاءه ،
وهى غابة متباعدة الأشجار تتخللها الشمس كما يتخللها الظل ، على بسائط
منفسحة ، كأنما قاسها القائس ، وفى جنباتها مقاه ومقاعد ، لا يلبث الجائس
خلالها إن غادر مقهى أن يلتقى مقعداً ، أو يرى جدولاً اتخذت حافته
للسائحين ، وفى تلك الغابة خرج كثير من أهل أثينا ، فاصطافوا بها فى
عشش وخيام ، كما يصطاف أهل الشمال فى مديرية الغربية ، أو كما يخرج
سكان العريش إلى بطائح الرمل ، وفسائل النخل على سيف البحر . وجبّتى
وعمامتى كرمهما الله ، كانتا أظهر إعلال للابسهما ، وبه التفّ حولى
صبية الأهلين ، فما إن جلست فى مجلس حتى رأيت الأطفال يحومون
حولى ، وإن هى إلا دريخمات طلبت بها حلوى أو كازوزة لهؤلاء الأطفال
الأطهار ، حتى كان مجلسى الثانى كأننى عريف وسط كتاب لفت نظرى
منهم طفل لم يصل الرابعة ، حين يرانى كأنما كن فى ميعادى ، فهو يقفز
للقائى ببشر وترحاب . وهو يهيب بلداته أن أقبلوا ، وهو يخاطبهم بلغته
كأنما يقودهم أو يقول لهم خيراً عن هذا الشيخ الغريب وكنت تلقيت

ترجمة « ما اسمك » بكلمة « بوسه لينيك » وهي غلط صححه لي هذا الطفل
« خرملي » فاني لما أردت أن أسأله عن اسمه بكلمة « بوسه لينيك » كان
جوابه أسرع من البرق « أوش . بوسه لينى . خرملي » وأوش معناها لا
فتراه رد غلطى ، وصححه ، وأجاب سؤالى فى جملة ذات ثلاث ، ماونى فيها ولا
أخطأ ، والطف ما كان فيها أن لم يحملى مرارة التخطىء ، بل مر على
خطئى وفسر لى صوابه فى قسامة وطلاقة أود والله أن أعيش حتى أرى
أمثاله فى أبنائنا وأطفالنا ليفرح بهم الوطن العزيز . وليست هذه واحدة
من خرملي بل يكاد أولئك النشء يكونونه ، وأذكر وأنا فى لوتراكى
أنى دخلت مجلساً على البحر يغص بنحو ألف ، فما أن رأتنى طفلة فى سن
خرملي حتى تركت أبويها جارية فى لهف وشوق إلى الشيخ الشرقى ،
كأنى أبوها أو جدّها ، وأجلستها بجوارى ودعوت لها بالحلوى وظلّت
تتاغينى بجرس لفظها الرّبّانى ولا تلتفت إلى إشارات أبويها ، وكثيراً
وأنا أمرّ ، أن يقابلنى الأطفال ، وأكثرهم من يونانيّ مصر بكلمة سعيدة
أو صباح الخير ، وبحث قليلا فى هذه التريّة النجيبة وتنشئ أبناء الغد على
اليقظة للمستقبل ، فهدانى البحث إلى أن الأمّ اليونانيّة أمّ تلتفت لعقل
طفلها أكثر مما تلتفت لبطنه ، بل لعلّ الجوع وترك الأكل هما النظام
المتّبع عند أولئك الأقوام ، ولست ألوم الأمّ المصرية على همّها فما تدسه
فى بطن ابنها ، فإن الحياة عندنا أشبه شئ بالغربال ، هيهات أن تغنى
بسّد خرق فيه وكله خروق

الضرائب في اليونان

يكاد لا يبقى في بلاد اليونان شيء يخلو من الضريبة إلا الهواء ، فالمنام والطعام والشراب وجميع المطلوبات عليها ضريبة تتقاضاها الحكومة ، وغلبة السجائر تباع بـ ١٦ درخمة في داخل البلاد تأخذ الحكومة منها ١٢ درخمة والباقي ثمنها وأجر عملها وربح تجارتها ، وأجرة النوم في السرير تأخذ عليه ١٥ في المائة وكذلك ثمن الطعام في المطعم وأجر الركوب في السيارة وأكثر من هذا من يركب من بلادها بحراً أو برّاً أو جواً فإنها تأخذ منه «باصاً» بنسبة تزيد عن سابقه ، بل إن من يخرج من حدود اليونان لا ينبغي أن يحمل درخمة معه ، والذاهبون إليها لكي يعودوا غير خالين ، يجب أن يعلموا «الجمرك» حين وصولهم بما معهم من المال كيلا يرجعوا بأكثر منه . واضطردت الحكومة على هذه الوتيرة فخرمت على رعيّتها أن تسيح في خارج البلاد ، واليوم لا يخرج يونان من وطنه إلا إذا كان مريضاً أو خارجاً لا إلى عودة ، واتفق أن كنفى كيفسيا فدفعنا (باص) الحكومة وتعريفة البلدية ورسماً لجمعية هناك قيل إنها من جمعيات البر ، وكل هذه الرسوم الاضافية تتقاضاها الفنادق والمشارب فوق أجرها الأصلي ، أما البقشيش وقدره ١٠ في المائة فرسم واجب الدفع لا شكر عليه ولا «مبسى» فمن يرد أن يزداد إكراماً فنقل البقشيش أضعافاً ، ولذلك يحسن بالزائر أن يقول على مطلوبه بما يدخله الباص والبقشيش ، فانهم يذكرون الأصل مع أن الفرع ليس بقليل . ورسوم المتاحف تقدّر لأبناء

البلد غير ما تقدّر للسائحين ، فاليوناني يدفع عشرة دراهم حين يدفع السائح ٥٠ درخمة اذا دخل المتحف مثلاً أو الاكروبول ، ولقد قطعنا تذاكرنا من الاسكندرية ذهاباً وإياباً فلما أردنا الرجوع أبوا أن يؤثروا إلا إن دفعنا باص الرجوع . وبعد إقامة ثلاثين يوماً يجب الاستئذان عما يزيد عنها برسم يناسبه ، وكذلك يستأذن البوليس للسفر برسم يناسبه أيضاً ، ولولا إحساننا بضعف الدرخمة لضيقنا من ثقل هذه الرسوم ، وهي رسوم تجبي كلها للخزينة وتحصل بمنتهى السهولة ، وألطف ما رأيت فيها أن علبة الكبريت بدرخمة ونصف درخمة تأخذ الحكومة منها كما تأخذ من الدخان ولكن على كل علبة ورقة دمغة إذا رفعها الشاري وفتح العلبة وجدها ملاءى ، وهي طريقة أضمن مما عندنا ، فعلب الكبريت هنا أكثرها حبالي بالورق المهمل ، ولو جبي الرسم على العلبة المتموغة لكان أضمن للشاري وأقطع لغشّ البائع . أما الدخان الذي يصدر للخارج فحكمه غير هذا الحكم لتسهيل الإصدار ، ولكن هيهات أن يحصل عليه ابن البلد هناك ، ولقد أردت أن أشتري دخاناً فرطاً من معامل قواله فقامت لى عقبات لم أستطع تذليلها ، إذ يحتاج لذلك استئذان الداخلية والخارجية والمالية إلى آخر هذا السلك الطويل ، وبعد هذا قيل إن الدخان الذي آخذه من معامله ورق غير مفروم ، والمعامل شغلها الوحيد في الدخان إنما هو فرز أوراقه وتنويع جنسه وترزيم كل نوع

يا أخت أندلس عليك سلام

لما أعلنت الحرب البلقانية ذهب ناظم باشا وزير الحرية العثمانية إلى محطة الاستانة يودّع الضباط المسافرين إلى ميدان القتال فكان مما قاله لهم كلمته هذه الغرور : (يا حضرات الضباط لاتنسوا أن تأخذوا معكم كسبى التشريفة لتلبسوها وأنتم داخلون صوفيا) فما كان جواب الضباط الآخرين إلا أن وصلوا بجيوشهم إلى شطلجة ، وهناك قعد ناظم باشا ينظم صكّ التنازل عن ذلك الملك العريض ويحيد للظافرين أنواع الطعام التركي حتى استخلص من قائد الأعداء كلمة الإعجاب والإقرار بتفوق الطهى العثمانى على الطهى البلقانى ١

كذلك صنع من قبل على بن عيسى بن ماهان قائد جيوش الأمين لما ذهب لمحاربة المأمون ، فقد كان فى متاعه قيد من الفضة أعدّه للمأمون حين يأخذه أسيراً ، فكان جواب طاهر بن الحسين قائد جيوش المأمون على هذا القيد الفضى أن أخذ رأس الأمين لسيّده بدلا من قيد ماهان ومثل هذه العبرة جرت فى الحرب الأخيرة لما صرخ الأمبراطور غليوم فى وجه جيوشه : (أن دوسوا بأرجلكم جنود الكابتن فرنش الحقيرة) فأجابه القدر المقدّر بطرده من رقعة بلاده ، واحتوته الآن دار بعيدة عن الأوطان . وقد يما نظم العرب الحكماء هذه العبرة فى مثلهم السائر على وجه الدهر « من خاف سليم ، ومن اغترّ ندِم »

إن الناظر إلى خريطة تركية أوربا قبل الحرب البلقانية ، يشبّها

بطائر عبل الجنة غليظ العنق ، متقاربه وعرفه يشرفان على بحر مرمره ،
والناظر إليها اليوم يجد الطائر بجسمه وعنقه ونصف رأسه قد أخذه أهل
الجزيرة ، لم يبقوا منه للترك إلا نصف الرأس والمنقار ، وكانت معاهدة
« سيقر » قد اقتطعت من هذا الباقي بقيته مع ولاية « أمونيا » المرحومة فقصتها
إلى اليونان ، ثم عادت معاهدة لوزان فأبقت الجسم الاناضولى على حاله
وتركت للترك حرما حول القسطنطينية لا يرد عنها فذائف المدفع يوم يركز
خارج الحرم ، والأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، فلا نعود إلى الذكرى
الأولى يوم وقف الأتراك الأولون على أسوار قينا ، أو صعدوا شمالا إلى
نهر الدنيبر ، أو نزلوا جنوباً إلى آخر حدود اليونان ، فقد ذهبت تلك
الأحقاب بأهلها ، ولكننا نذكر قليلا تلك البقاع التي اخترمت من جسم
الدولة سنة ١٩١٢ م بعد ما ظلت تحت راية الهلال خمسة قرون طبع فيها
الهلال من مزاياه كثيراً ، ولذلك حين نزلنا من الطائرة « يونينا » في مدينة
سلانيك وهي عاصمة مقدونيا القديمة التي حكمت الدنيا قديماً ، لم نشعر في
هذه المدينة بأحاسيس يغير منظرها في عيني ، فهي هي مدينة شرقية
تركية كدت أنسى وأنا فيها حديث الحرب البلقانية لولا أن أثراً من
آثار الاسلام لم تره العين باقياً للإسلام ، وما أبى عليهم من آثاره أن
يمحوه فقد غيروه ، وبقى الأثر شاهداً على المؤثر - سلانيك هذه مقر
الفيلق المقدوني التركي بقيت ثكناتها وميادين جيوشها وهيبة الفيلق التركي
بها ظاهرة لليوم ، فالثكنات والبيمارستانات ومحالّ العرض تركية الظاهر
يونانية الباطن ، وسرت منها في الوابور ثمانى ساعات مشرقاً إلى بلدة

« سرس » ومنها ركبت الأتوميل ساعتين جنوباً بشرق الى قواله في بلاد وسهول ومحطّات على منظر يكاد يكون واحداً ، هو منظر ما عندنا في الوجه البحرى ، والزمن كان صيفاً بعد الحصاد فجدور القمح وأشجار الصفصاف والجوز والزيتون ، ثم انحدار الماء في الأخوار ، ونبت الدخان كأنه نبات الفول في صباه ، وقيام الغزب والكفور ، وانسراب القطعان من الأنعام في مسارب التبت ومسارح الخضرة ، كل أولئك غلب على ذكر التاريخ وكاد ينسينى الحقيقة وأني أسير في بلاد سبق أن رثاها المرحوم شوقي بمرثيته الخالدة التي مطلعها هذا العنوان :

يا أخت أندلس عليك سلام

المقامة البشرية والطائرة يونينا

لما قتل بشر بن عوانة الأسد « داداً » في طريق خزاعة ، أخذ يهتف بفخره في قصيدته الرّثانة يخاطب بها حبيبته فاطمة :

أفأظم لو شهدت بطن خبت وقد لاقى الهزبر أخاك بشرا

فما إن كاد بشر يفرغ من شعره حتى طلع له أمرد كشق القمر على فرسه مدججاً يقول : يا بشر ، أن قتلت بهيمة تملأ ماضغيك خراً ؟ الى آخر ما في المقامة البشرية من براعة كاتب الزمان الهمداني

وفي رحلتى هذا العام تمثّلت هذه المقامة مرّة أخرى مع كاتب الزمان الأستاذ الشيخ البشرى ، فقد قرأت له وأنا هناك مقالين أبداع فيهما وأعجب ، يقصّ حديثه وقد ركب الطائرة لأول ما ركبها في حياته .

فقلت يا سبحان الله ، رجل في وطنه بين أهله ، يدعى ليركب الطائرة ساعة واحدة ينتقل بها في جو مصر من سماء المعز إلى سماء الاسكندر ، وما ركبها حتى سال لعاب دعاة على إجابته ، وملؤا أذنيه سحراً بتهوينهم شأن رحلته وبأمان ركوبته ، ثم لم يمتطئها إلا بعد أن قتله صغيره بكلمته ، وبعد هذا وهذا يملأ أنهار الأهرام في يومين متتالين بقلمه ومداده ؟

وكننت اعترمت السفر إلى شرق اليونان ، والوصول إلى قواله في قطار البر وسيارته يقتضى اثنتين وعشرين ساعة وكذلك إن سافرت لها بحراً ، فعلمت أن هذا الطريق يختصر من أثينا إلى سلانيك في ساعتين ولم أتردد وأنا في بلاد الغربية ، وبين من لا أعرفهم ، ولا أكلهم ، ولا رفيق ولا أنيس ، ولا داعي ، ولا مدلل ، ولا تجربة ، ولا ثقة بمن جرب ، وما هي إلا عزمة فإذا بي في الطائرة بمطار أثينا ، ثم إذا بي في الطائرة بمطار سلانيك ، وعدت كذلك في لمح الساعتين ذاهباً في الطائرة « يؤنينا » وعائداً في الطائرة « سلانيك » ذهاب وعودة لست أدري كيف استنبط الكاتب الفحل مقالتيه البليغتين من ساعة واحدة ركبها ذاهباً بين عاصمتي بلاده ؟

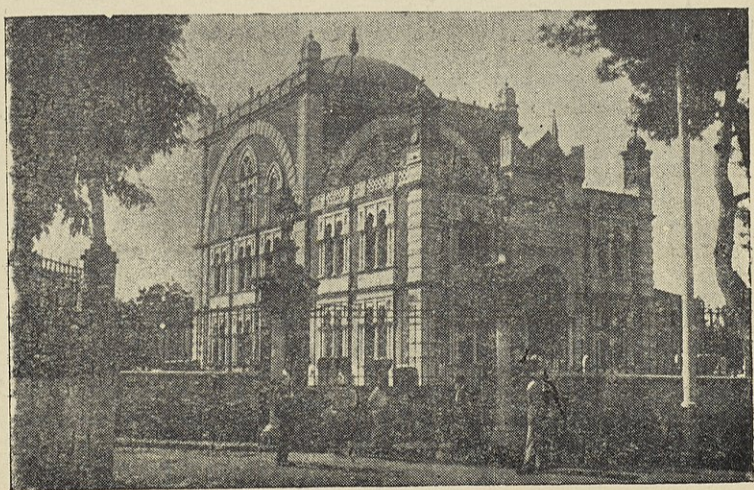
وأعجب من هذا أن كان ركوبي هذا حديثاً أسأل عنه ، بل حديثاً قال لي قنصلنا هناك : لم يبق إنسان في أثينا إلا عرفه وأكبر صاحبه ؟ فعجبت ، لم كل هذا وركوب الطائرة لاشيء فيه ، فما هي إلا جلسة بها قوم قعود ، على كراسي وثيرة في غرفة نضرة ، ما إن تكون بأرض حتى تحل بأخرى ، لم نحس لها صعوداً ولا هبوطاً ولا استواء ، بل إنما هي

عرفتنا التي نحن فيها ومجلسنا الذي كنا به ، فننا القارىء ، ومنا المتكلم ،
 ومنا المتفرج ، ولطف قائد الطائرة ففرق علينا الحلوى و « البسكوت »
 تقف الطائرة في عريشها وقفة الطير على فئنه ، أو كأنها هي الزرافة
 خلق الله يديها أطول من رجلها ، فالراكب فيها حينذاك كالراكب على عنق
 فرس ، فإذا ما استقلت بأحذيتها أخذت تصعد في الجو كأنها تمشي مستقيمة
 على طريق مستقيم لسعة الجو ومواتاة لطفه لها حيث لا مانع من تطويل
 الخط لها طولاً مرتفعاً على درج « السناتيم » لا تحس له صعوداً ، وهي
 إذ ذاك ترفع زمكها وتعلو به علو ألا يلبث الركاب أن يشعروا فيه باستوائهم ،
 وأنها كلما ارتفعت أعلت الزمك بنسبة الارتفاع محافظة على الاستواء فلا
 يحسّون أنهم صاعدون وكذلك لا يحسّون وهم هابطون ، فقد حفظ العلم
 استقامتهم ووضع سرّه في الطائرة فأدت أماته للراكبين آمنين مطمئنين
 كان صبحاً سعيداً حين جاءت سيارة الطائرة إلى فندق الأكروبول
 في الرابعة صباحاً ، وكنت قد صحت لها في الثالثة ، وكان أهل الفندق
 جميعاً يتظنّون عني ، ويتساءلون ماذا يفعل ، ورزمت جراميزي في رزمة
 خفيفة طلع بها الخادم ، فما كدت أجلس على كرسى السيارة والدجلة قائمة
 حتى سمعت لساناً عربياً يستفتح على سمعي بهذه الكلمة السعيدة (صباح
 الخير يا أستاذ) فامتلاً قلبي فألا وفرحاً ، وعامت والسيارة تدرج بركب
 الطائرة أن ستحتل مصر من طيارة اليونان نصف كراسيها ، فقد حملت
 اثني عشر راكباً ، غير أربعة من عمالها ، الكمساري والقائد والسائقين
 وكان نصف الركوب عرساً أي كان معنا ثلاث عرائس وثلاثة عرس

أربعة من مصر ، وآخران من غير مصر ، والشهر للأزواج شهر العسل .
وكنّا أربعة من الدقهلية ، أنا وعروسان وأخوها ، والعروسان الآخران
من الاسكندرية ، فارتفع بذلك « بنط » مصر والعريّة في اليونان ،
والشيخ المسلم المعتمّ وحده كان صاحب هذا القلم ، وهو وحده كان محط
أنظار الجميع ومحلّ إكبارهم ، وقائد الطيارة « يؤنينا » زاد به الفرح فأخذ
يتفنّن في إدخال السرور على فيريني المدائن والشعور ، ويرتفع إلى ١٥٠٠
متر ثم يهبط إلى سطوح الدور ، وكانت الشمس تشرق حينذاك في منتصف
السابعة فركبنا عقب الفجر بعد أن صليت الصبح في محطة المطار ، وأخذت
السّماء تسفر لنا رويداً رويداً عن وجه ذكاء ، والدنيا تمر تحتنا مر السحاب
فوقنا ، فنز سهل إلى جبل إلى زرع وشجر ، وأرض وبحر ، ومدن وبوادي
وبالاختصار ضع خريطة منمقة على ظهر مكتبك ، ومن فوقها لوح من
البلّور بمساحته ، وانظرها من فوقه وقد هلهل البلّور منظرها ، تتمثل
ما كنا نرى به دنيا اليونان من شبّاك الطيارة ، أما أزيها فكان كأرّ البكر
حجبه عنا قطعة من قطن مندوف وضعناها في الصماخين ، ثم ألفت
الأذن الأزيز فعريت له طبلتها ، وكنت أتمشّي في الطائفة إلى مخزنها
ومرجلها كأني أتفرّج على غرفة عروس ، وتكشّفت لنا السّماء عن صباح
أغرّ ، وشمس طالعتنا بنورها كما يطلع نور المسرح ، أقل ، فقليل ، فأكثر ،
فكثيراً ، وما إن ذاب طلّ الشجر ورفعت عن وجهها برفع الخفر حتى
قيل لنا: سلاميك ، ونصبت السّلم على أرض المطار فاستوت عليه ، وقيل
الحمد لله رب العالمين

سلانيك

أربعمائة مسجد قيل لى انها كانت بهذه المدينة لم يبق منها اليوم مسجد . أما ما كان أصله كنيسة فقد عاد الى أصله ، وأما ما أنشئ مسجداً فقد ذهب الأصل وما أنشئ له ، ونخص بالذكر ثلاثة أمكنة من هذه المعابد رأيتها : كنيسة سان جورج وكانت مسجداً ، لم أزرها ولكن دلت عليها بمذنتها التى جدعوها فبقيت ظاهرة بها . ومسجد « جاى إكرام » أى جامع إكرام وهو مسجد اسلامى إصالة ، باق بشكله وبنائه إلا مئذنته فقد هدموا ظاهرها ، وإلا قبلة فقد بنوا جوفها وسووها بالجدار ، وهو اليوم مخصص لقبور وآثار من الأحجار جمعوها فيه ، فهو فرجة ومشهد ودار آثار



دار الآثار الاآن فى سلانيك

أما جامع البلد الأعظم فقد كان كنيستها العظمى ، وعاد اليوم كنيسة

كما بدأ ، أعني به مسجد « أيا صوفيا » . ذهبت اليه فوجدت على بابه رخامة منقوشاً عليها بالذهب هذان الرقآن (١٤٤٣ - ١٩١٢) إشارة الى السنة التي دخل فيها الترك سلافيك ، والسنة التي خرجوا منها وتركوا الكنيسة — ومسجد أيا صوفيا هذا أنشئ قبل جامع أيا صوفيا في استامبول بخمسين سنة ، وأخذ الترك قبل أخيه بعشر سنين ، ونظامهما على ما يقال واحد لم يزد الترك فيه شيئاً الا سجعاً وضعوه على بابه بطول الواجهة فوق أعمدة رخامية تشرف على فناء مسور في وسطه ميسنة بنوها ، وعلى ركنه مئذنة جدعت الى مستوى السقف ، على مربعا اليوم ناقوس يدق مكان دائرة المؤذن في زمن الترك ، وأنشأوا في محرابه قبة لم يرفعها اليونان ولكن سدلوها عليها ستاراً يحجبها ، كما جمعوا ألواح الرخام التي كتبها الترك بالقرآن كومة واحدة بجوار بئر محفورة في ركن مزوى أرائنها الشماس تزهري يريقها ، ما كسرت ولا ذهب منها حرف ، والصور التي بداخل الكنيسة يبين عليها القدم فما أدري إن كانت هي الصور الاولى أم صوراً أنشئت

وقطعت سلافيك من جنباتها الأربع ، فأما حيها الذي يطل على البحر فحديث منشأ ، وأما باقي البلد فكأنه جهة باب الخلق ، ولقت نظري فيها حمام تركي لا يزال مستعملاً الى يومنا هذا ، دخلته أتفرج عليه فقرأت على بابه لوح رخام باسم منشئه « السلطان محمد بن بايزيد » وهو بناء شرقي يدعى بثلاث قباب متتالية في الحجم تبدو للناس شاهقة

وعلى منحى الميناء بناء آخر كأنه « ناظورة » بشكل اسطوانة طويلة

قامت على محيطها وارتفعت إلى علو واضح ، دخلناها فإذا بسامها عريض
 حلزوني يدور صعوداً مع البناء كأنما أعدّ لمطلع الدواب وهي تشدّ المدافع
 لترکز على قمته ، وفي جوف السلم غرف ذات طبقات اتخذها القوم اليوم
 لمنافعهم ، وأعلى غرفة فيها وجدناها مكتباً لكشافة سلانيك ، وينسبون
 بناء هذه الناطورة هناك للسلطان عبد العزيز خان ويجعلها أهل سلانيك
 رمزاً لبلدتهم ، فهم يمتثلونها كالدمى في أمثال لطيفة بالخشب المخفف ويبيعونها
 تحفاً توضع في الأواوين زينة لها وعليها علم اليونان الآن يخفق



المؤلف ورفيقه رئيس إدارة الاسكندرية
 تحت ناظورة سلانيك

وأكثر أهل سلانيك من اليهود
 ويقال إن بهاستين الفا منهم
 هم أصحاب التجارة والمال فيها ،
 والزائر الغريب يتحسّس روح
 البغضاء بين اليهود واليونان
 وهي بغضاء لا يسترها فريق
 دون فريق . وكنا هناك أيام
 أن ترامت للعالم أخبار الألمان
 في اليهود فكدت أخشى أن
 تحقّق هذه الوقائع في اليونان
 ورأيت في سلانيك قوس
 النصر التي بنيت للامبراطور
 «جورليس» أشبه شيء بباب

النصر القائم في القاهرة ، لولا أن قوس الامبراطور مستقلة البناء يمرّ
الناس من تحتها وعلى جانبيها ، وباب النصر هنا عريض متصل بالسور
لا يتميز عن سائرهِ

في سهل مقدونيا

مقدونيا تلك المملكة القديمة التي أخرجت « فيلبس » الأول وابنه
« اسكندر الأكبر » والتي نازعت اليونان سيادتها ويروي التاريخ عن
« فيلبس » ما عرضه على أثينا في معاهدة من يقرأها ير « اللورد ملتر »
كأنه نسخها لمصر في معاهدته المشهورة ، فالرجلان فيها ينسجان في العرض
على منوال واحد ، قول حرّ ومعنى مرّ ، أو كلام على رأى المثل العاظم « اقرأ
تفرح جرب تحزن » . وضرب الدهر ضرباته وطويت اليوم دولة مقدونيا في
علم أثينا وأصبح سكان تلك المنطقة يونانيين أكثر من اليونانيين - ولقد
ركبت من « سرس » الى « قواله » ومعى رجال من أهل تلك الناحية فسمعتهم
يتحدثون بحماسة يونانية تقطر سماً على البلغار ، والبلغار اليوم الشريك المشاكس
في البلقان ، والخلاف بينها وبين اليونان هو على هذه الرقعة من مقدونيا . كانت
عقب الحرب البلقانية غنيمة للبلغار أشرفوا منها على البحر الأبيض المتوسط
وتوطنوا قواله فأطلوا على ذلك الزاخر الزمردى ، ثم جاءت الحرب
العظمى فعاقبهم الحلفاء بنزع هذا الملك من أيديهم وضمّوه الى دولة سلافيك
التي أقاموها أثناء الحرب على تمنيات فنزيلوس : لم تقطع المعاهدات تلك
الوشائج والأمانى بسهولة : فإننا مررنا بين سرس وقواله على بلدة تدعى
« دكساتو » رأينا بها نصباً أقامه اليونان ذكرى لموقعهم مع البلغار وقد

تدلّوا عليهم من جبل « أوراس » وهنا أخذ جارى المتحمّس يصف لمن معه كيف كانت شدّة هذه المذبحة وما فعله هو فيها ، واليوم قبع البلغار وراء ذلك الجبل محصورين به دون البحر ، لكنّهم لم يسكر عليهم أبواب الأمل ، وهذا نفث مما فى عقد البلقان

ولم يبق من آثار « فيلبس » مقدونيا إلا رسوم قصره على أبواب قواله ، تقرّجت عليها ، وقد كشف عن تعاريجها وكومت فوقها أنقاضه وسط غرفاته ، فلا يبين ولا تبين ولا تسرّ الناظرين ، ومررنا على « درامة » بلد « الدرمل باشا » وعلى قرى أخرى سمّيت لى ، نسب إليها كثير من العظماء الذين تخطر أسماؤهم بأذهان القراء . ثم مضينا مقبلين فى ذلك السهل وجبل أجيون يشارفه من اليمين ، فإذا تقدّمنا إلى القبلة تقدّم منعطفنا علينا ، كأنه يحيد عن البحر ، إلى أن وطئنا عنقه وهو يتلوّى به إلى جبل أوراس الذى يحدّ الحدود بين المملكتين ، ومن هذا العنق تتدلّى إلى قواله ، وهى فى لطفه على ساحل البحر فى منظر جميل

قواله

إذا علوت عنق الجبل كما قلنا ، بدت لك قواله من قسمها الجديد يمثل فى بنائه حرف (S) اللاتينى مبنياً على نخذى الخور فى مسيل الوادى ، فالتفاف الدور على حافتيه يكوّر زاوية الحرف ، والمنحنى الثالث يصل بك إلى قواله القديمة وهى شرقى هذا القسم ، وأصلها فى ربوة جبلية تتأت فى البحر مستديرة ، ثم صعدت فى الجوّ هرميّة ، وتعلّقت بها الدور على محيطاتها متتالية فى الضيق إلى القمة أشبه بعمامة التركى الأصيلّة ، وامتدّ من خلف هذا النأتى جديد البلد مشرقاً فى سفح الجبل ، فإذا قدمت إلى

قواله من البحر وكان الوقت ليلاً والبلد منير ، بدت لك من بعيد سلاسل أنوارها كعقد الريفيّة الذهبيّ عندنا ، طوق يحيط بالعنق ، تتدلى منه أسلاك في شكل إهليلجيّ ، كالتى يسمونها عند الصاغة باللبّة . والبلد القديم مسور بسور لا يزال قائماً ، وأعلاها قلعة بقيت في ملك الخاصة الملكية إلى اليوم . ومحمد على ابنها البكر ظلّ يسقيها من مائه وقد ساقه إليها من عيون بالجليل في قناة بنى لها قناطر تشبه قناطر خليج عندنا ، إلى أن جاء بعض بنيه فخر لهم آباراً ارتوازيّة في منبع العيون ، وأعدّ لها وابوراً يسحب الماء منها لمجّة في أنابيب الحديد واصله إلى الدور والميادين على ضبط الصنابير ، وشبّت الحرب وهذه العدّات عندهم فلما هدأت استغلّوها ، فالقوم في قواله يسقون الماء من نبع أصابع العزّة المصريّة وفى قواله معامل الدخان ، وعملها كما قلنا لا يتجاوز تنظيف شجيراته ، وتنويع ورقاتها ، وترزيم كل نوع . وهى صنعة كانت تدرّ الخير على أولئك الأهالى فزاحمتهم فيها بلغاريا وتركيا ، فلا شغل اليوم لعمال الدخان بقواله إلا الهم والغم وتملئ نفوسهم بسأم العيش ، نازعين إلى وهم البلشفية ، وقيل لى وأنا هناك لما اعتصب عمال الدخان وهم ألوف وهدّوا الأمن ، قيل لى إن حاكم البلد ويسمونه «نومرخى» كان يريد حصرهم في معاملهم وتسليط الغاز الخائق عليهم

وبيوت قواله القديمة هى البيوت التركيّة النظيفة ، وأقدمها مبنى بالخشب ، أما المدينة الجديدة أو المباني الجديدة فهى حجريّة مسقوفة بالقرميد ، وفى بلد ميادين ومنتزّهات ، ولكن روح المدينة الحديثة البالغة لم تصابها ، فهم يكادون يكونون من أبناء البنادر المتحضرة النظيفة ليس غ

(١٩٦)

محمد علي الكبير
وضوح نسبه .. واصل نشاته

بحث تاريخي طريف

هو الخلاق الباقي
مرحوم ومغفور
يول أغاسي على أغانك
أوغلو إبراهيم أغا
قوله له لي مرحومون روحنه
بجرمة الفاتحة

سنة ١٢٠٥

ن

صورة المکتوب علی شاهد القبر الرسمي للمرحوم والد « جنتمکن »
محمد علی باشا الجد الأكبر للعائلة الملكية المصرية بمدينة قواله



تفسير مرفوع

لحضرة صاحب المعالي وزير المعارف العمومية المصرية

من محمد سليمان

السلام علیکم ورحمة الله وبرکاته

سافرت هذا العام إلى مدينة قواله وزرت الضريح المقام على قبر

المرحوم والد جنتم كان محمد على باشا الجد الأكبر للعائلة الملكية السعيدة وهو مزار تحت إشراف الخاصة الملكية وله خدم بمرتبات تصلهم من الخاصة تحت إمرة مأمور أوقاف الخاصة الملكية المقيم هناك ، وفوق الضريح قبة كتب على بابها تاريخ إنشائها (سنة ١٢٩١ هـ) وحوله حديقة غناء على ميناء قواله ، وهذا القبر شيد خاصة دون باقي قبور المقبرة التي اندرست ولم يبق منها إلا أثران لقبرين لزوج حائط القبة عليهما أسماء أصحابهما ، والمسطر أعلاه هو صورة ما كتبت على شاهد القبر ، نقلته حرفياً بترتيب السطور وفهمته صحيحاً وفق ما عرفني به الثقة في اللغة التركية . فبدت لي من هذا أمور جدية بالنظر والاعتبار ، لأن منها ما يغير قوله شائعة في التاريخ ، ومنها ما يوضح حقيقة مدغمة عن أصل نسبة الجد الأعلى للعائلة الملكية ويبيان اسم جده وأصل نشأة هذا العظيم . ولما كان هذا البحث من الخطورة بمكان فقد رأيت أن أرفعه لمعاليكم لعل أكون قد قمت بخدمة تاريخية صحيحة لهذا الوطن العزيز في كتاب (تاريخ مصر الابتدائي ج ٣) وهو الذي تدرسه وزارة المعارف للسنة الرابعة الابتدائية (ص ٣٨ - ٣٩) ذكر تاريخ محمد على وأن أباه توفي وسنه أربع سنين فكفله عمه طوسون ثم حاكم قواله الخ . وهذه القصة ينقضها التاريخ المنقوش على شاهد القبر ، كما أن توضيح هذه الأسماء عليه ينير لنا بقية المتروك من هذا النسب العظيم

بيان ذلك

إن تاريخ ميلاد محمد على المذكور في كتب التاريخ أنه سنة ١٧٦٩ م

وقد قارن اللواء المصرى (محمد مختار باشا) فى كتابه «التوقيقات الإلهامية فى مقارنة التواريخ الهجرية بالسنيين الافرنكية والقبطية» هذه السنة بسنة ١١٨٣ هـ وكتب تحت توقيعاتها الهجرية ما يأتى (فيها كانت ولادة نابليون الاول . والمارشال أتى . والحاج محمد على باشا صاحب مصر) وفى تاريخ الجبرتى ج ٣ أن العلماء بايعوا محمد على فى صفر سنة ١٢٢٠ هـ وفى ربيع الثانى من هذه السنة ورد المرسوم السلطانى مؤذناً بها من عشرين ربيع الأول ، إذن تكون سن محمد على حين تولى مصر حول ٣٧ سنة هـ ، فإذا كان أبوه «إبراهيم» قد توفى سنة ١٢٠٥ هـ أى قبل ولايته مصر بـ ١٥ سنة فتكون هذه الوفاة حصلت وسن محمد على (٢٢ سنة) - لا أربع سنين كما يقول الكتاب - وبناء عليه لا يكون هناك سبب يقتضى أن يكفله أحد ، بل بمراجعة تاريخ كلوت بك يعلم أن محمد على فى ذلك الوقت كان قد تزوج وولده إبنه البكر إبراهيم باشا العظيم - ومن جهة الاسم فقد عرف أن كلمة (على) المضافة إلى اسم (محمد على) ماموح بها اسم جدّه (على) مع الجنوح إلى جواز أن يكون الاسم الكامل للجدّ هو (محمد على) وجرى ذكره باسم (على) على ما هو معروف فى مثل هذا من تضمن الاسم المشهور اسماً آخر مضموماً إليه أبرزه والد محمد على فى اسم إبنه كاملاً حينما سمّاه باسم أبيه (أى جدّه محمد على) ، بل قد رؤى فى بعض المنظومات التى رفعت إلى محمد على باشا فى مناسبات الاكتفاء فى اسمه (بعلى باشا) وبذلك يحسن فى كتب التاريخ وهى تذكر لنا هذا العظيم أن ترفعه إلى جدّه هذا الذى كان من أرباب الوظائف الأمنية التى لها قيمتها وقد

وضَّحَّها شاهد القبر المكتوب

من هذا يتبيَّن :

١ - أن ذكر الكفالة على محمد علي باشا إنما هي حكاية منقوضة

٢ - أن اسم جدّه هو (علي)

٣ - أن اسم محمد علي مأموح فيه اسم جدّه

تحقيق

وينبغي للتأكد من هذا (أولاً) التثبت من شاهد القبر (ثانياً)

جولان النظر فيما يتوارد عليه كتاب أمثال هذه التواريخ

فأما عن شاهد القبر فعلوم أن هذا القبر موضوع تحت عناية وإدارة

الخاصة الملكية ، وأن إقامة هذا القبر وإقامة قبّة عليه من دون باقي المقبرة

إنما هو عمل من يهّمه هذا الأمر ، وبمراجعة تاريخ هذه العمارة يرى أنه

سنة ١٢٩١ هـ . وهذه السنة واقعة في حكم جنتمکان إسماعيل باشا حفيد

محمد علي ، وهو الخديو العظيم الذي شملت عنايته مصر وساكنيها وفروع

الحياة فيها ، فلا ريب كان من مقتضى طبعه الكريم العناية بأثر جدّه

الأعلى - ولد الخديو سنة ١٨٣٠ م في آخر ديسمبر (١٦ رجب سنة

١٢٤٦) وتولّى الأريكة في ١ / ١ / ١٨٦٣ (١٠ رجب سنة ١٢٧٩ هـ) وظلّ

حاكماً إلى ٦ رجب سنة ١٢٩٦ هـ - أي أن هذا الضريح شيد قبل مغادرته

الولاية بخمس سنين ، وإذا قابلنا تاريخ ميلاد إسماعيل باشا بتاريخ وفاة

جدّه محمد علي باشا تكون سنّه حينها ١٩ سنة وهي سنّ تسمح لمثله في

تبوغيه وعبقريته أن يكون متأكداً تماماً من حقيقة الاسم الكريم وسلسلة
نسبه العظيم وتاريخ الوفيات على وجه التحقيق
فمن هذا البيان وفي وضع الضريح تحت النظر الخاص ما يعزّز صحة
المكتوب على شاهد القبر ، وهو ما ينطق بحقيقة الأسماء وتاريخ انتقالها
وصحة الأعمار في سلسلتها خصوصاً أنه يصل بالدقة في التواريخ إلى ذكر
اسم الشهر الذي حصلت فيه الوفاة ، فإن المعروف في الوثائق القديمة أنها
ترمز بحرف (ن) الى رمضان (١)

وأما عن تواردها ذكره المؤرخون في قصة الكفالة وموت أبيه
صغيراً فيخيّل إلى أنّهم وقعوا على كتاب (لمحة عامة إلى مصر تأليف
أ. ب. كلوت بك) وفي ص ٩٨ منه ذكر مولد محمد عليّ بقواله وأن والده
توفي وهو صغير السن فكفله أحد الأغوات الخ ، وتلبّست عليهم

(١) نشر المقطم لأحد الكتاب في ٨/٢/١٩٣٤ نقلاً عن كتاب الحركة
القومية ج ٢ ص ٣١١ (أن محمد علي مات أبوه وكانت سنه لا تتجاوز الرابعة عشرة)
فهذه عشر سنين زادت عما في الكتاب المبحوث

ونشر أستاذ مطلع في مقطم ١٨/٢/١٩٣٤ نقلاً عن كتاب مصر الحديثة
المطبوع بالفرنسوية في باريس ١٨٤٨ م لمؤلفيه بعض علماء الحملة الفرنسية (أن محمد
علي عند وفاة أبيه كان في شرح الشباب) ومن يراجع ما كشف عنه فضيلة المؤلف
من حقيقة السنة التي ولد فيها محمد علي وأنها سنة ١١٨٤ هـ ويقابلها بالسنة المكتوبة
على شاهد القبر تاريخاً لوفاة أبيه وهي سنة ١٢٠٥ هـ يرى أن الفرق حوالي عشرين
سنة وهي سن محمد علي وهي السن التي عبر عنها علماء الحملة الفرنسية بسن (شرح الشباب)
وإذاً تكون هذه النقول تعزّز قويا لصحة المكتوب على شاهد القبر — الناشر

الحقيقة بالنسبة لمركز كلوت بك من الباشا المرحوم وأنه قدّم الكتاب له ، وأنه كان يعرف الحقيقة من خدمته إياه ، ولكنّ كلوت بك ذاته ذكر في تقدمته أنه صنّف كتابه مستقلاً بنفسه في ذكر ما فيه ، وأنه بتقدمته إنما يلتمس نعمة الرعاية عليه وتشريفه بالعطف والقبول ثم عاد فكرر في تمهيده (أن هذا الكتاب لم يوص بتصنيفه أحد ولم يهيمن على تدوينه أحد) ، إذاً لا يمكن رفع هذا الكتاب إلى مستوى الاستقاء انرسمي لمعلوماته من مصادره العلمية بالحقيقة ، ويكون شاهد القبر المرعي الرسمي أقرب إلى ذكر الحقيقة على وجهها مما دون فيه ، اللهم إلا أن تكون هناك مراجع أخرى لا علم لي بها ، وفوق كلّ ذى علم عليم

لهذا

يكون لي الشرف اذا تكرّمتم معاليكم بقراءة هذا التقرير وأمرتم
باجراء مايلزم نحو تقرير الحقيقة في هذا الموضوع الهام
وتفضلوا بقبول احتراماتي
رجب سنة ١٣٥٢ هـ

تقرير ملحق

سبق أن رفعت الى معاليكم تقريراً في رجب الماضي بخصوص ما شاهدته مكتوباً على شاهد القبر الرسمي بمدينة قواله للمرحوم والد « جنتم كان » محمد علي الجد الأكبر للعائلة المالكة المصرية مما لا يتفق مع ما في بعض الكتب التاريخية التي تدرسها الوزارة في مدارسها ورجوت

في ختامه أن تتفضلوا بإجراء ما يلزم نحو تقرير الحقيقة في هذا الموضوع الهام

واليوم ألحق بتقريرى ذاك هذا البيان المقرر لرسمية القبر ، لعل فيه ما يساعد على ظهور الحقيقة

أمكن الاهتداء الى ثلاثة أوامر كريمة صدرت من لدن الخديو العظيم المغفور له اسماعيل باشا في هذا الصدد

(١) في القعدة سنة ١٢٩٠ هـ صدر تصريح بصرف ٣٠٠٠٠ ثلاثين ألف قرش لبناء قبة على مقابر آباء وأمهات ساكنى الجنان الجدد المدفونين بقواله وعمل سور حولها وتعيين خادم ضريح بمرتبة ٥٠ خمسين قرشاً
(٢٢ سائرة ص ٣٥)

(٢) في ربيع الأول سنة ١٢٩١ هـ اعتماد صرف مبلغ ١٧٠٠٠ سبعة عشر ألف قرش علاوة على المبلغ المصرح به المنصرف في بناء القبة الكائنة على قبور آباء وأجداد ساكنى الجنان جددى (٣٣ سائرة ص ٤٣)

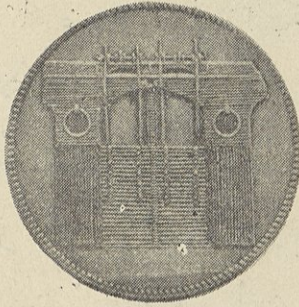
(٣) وهناك أمر كريم فى شعبان سنة ١٢٩٢ بترميم قبر والدته جد الجناب العالى المدفونة بقواله وعمل تابوت من الرخام ينقش عليه نفس التاريخ المحرر على الشاهد واستحضار الشاهدين من استامبول وعمل سور حديدى حول القبر وبناء قبة فوقه (٢ سائرة ص ٥٨)

وأرجو أن تتفضلوا بقبول تحياتى

تنبهه — نقلت هذه الاوامر من دفترى المحفوظات الرسمية بعنوان دفتر (وارد قواله نمرة ٣) — والمنقول هنا هو نص ما فى الدفتر

(٢٠٣)

تحقيق السنة التي ولد فيها محمد علي باشا الكبير



مدالية القناطر الخيرية التي سكنت وكتبت بأمر محمد علي باشا الكبير ، رسمتها وترجمتها
مصلحة المساحة المصرية في صحيفة (اذن ١ - ٥٨٢ - ٣٠) أعارنيها سعادة العالم أحمد زكي باشا

بيك يوز سكسان درت سنه	هجرية سنه قواله ده دنيايه
كلش وخطه مصر ده مدت	حكى بووقته قدر قرق أوج سنه
يه بالغ اولمش اولان محمد علي نفعا	لعموم اشبو ايكي قنطره يه بيك
ايكيوز التمش اوج سنه سي ربيع	ثانيسنك يكرمي اوچنجي جمعه
كوني كندی يديله وضع أساس	

ايتمشدر

تقرير مرفوع - إلى حضرة صاحب المعالي وزير المعارف
أثناء اشتغالي بمباحث التقرير الأول المرفوع الى معاليكم عن وفاة

والد محمد على الكبير وسنّ ولده محمد على إذ ذاك : عثرت على وثيقة أخرى بخصوص السنة التي ولد فيها نفس المغفور له محمد على بإشار أيت أن أرفع هذا البيان عنها الى معاليكم لتتكرموا بأجراء ما يلزم نحو تقرير الحقيقة فيها ، لأنّها تخالف ما يدرس في مدارسنا أيضاً . ومعاليكم صاحب الولاية على صحّة ما يعدّ للتعليم والتلقين

في كتاب تاريخ مصر الابتدائي الذي يدرس في المدارس الابتدائية عن محمد على باشا الكبير أنه (ولد سنة ١٧٦٩ م وهي نفس السنة التي ولد فيها نابليون) الخ

وبمقارنة هذه السنة من كتاب التوفيقات الالهامية وجد أنها بتدئ من ٢٣ شعبان سنة ١١٨٢ وتنتهي في ٢ رمضان من تلك السنة أي أن ذلك الميلاد وقع فيما بين سنتي ١١٨٢ و ١١٨٣ هـ غير أن الوثيقة التي وفقت اليها تخالف هذا التاريخ وتؤخره سنة أو ماحولها

ففي دار الكتب الملكية بالقاهرة « المدالية » التي صنعت لتوضع في أساس القناطر الخيرية ، وهي من البرونز على أحد وجهيها صورة القناطر وعلى الوجه الثاني سنة وضعها ١٢٦٢ هـ وهي السنة الثالثة والأربعون من حكم محمد على للقطر المصري ، وفيها أنه ولد بقواله سنة ١٢٨٤ هـ

وهذه المدالية ولاشك أقرب للحقيقة في ذكر سنة الميلاد من غيرها خصوصاً إذا تكرمت وراجعتم الأوامر الصادرة بإنشاء القناطر وبسك

هذه المدالية ^(١) ولعلكم تجدون فيها صيغة المكتوب عليها مما ينبغي معه
أخذ تاريخ الميلاد منها ومجانبة غيره ، إلا إن كان أقوى منها رسمية أو
صح منها سنداً

وتفضلوا بقبول تحياتنا

(١) نشر حضرة صاحب السمو الامير عمر طوسون في مقطم ٢٢ / ٤ / ١٩٣٤
في هذا الخصوص أحدهما صورة افادة صادرة من المعية السنية الى ديوان
السكي مصر (محافظة مصر) بتاريخ ١٠ ربيع الثاني سنة ١٢٦٣ رقم ٢١ وهي تركية
مباراة أخذت من واقع الوارد بدفتر قيد الافادات الصادرة الى الدواوين والاقاليم
من المسدة من ١٩ رمضان سنة ١٢٦٢ الى ٢٤ رجب سنة ١٢٦٣ والمحفوظ تحت
شرة ٤١٢ بدار المحفوظات بالقلعة في القسم التركي بالصفحة رقم ٢٦٧
هذه ترجمتها

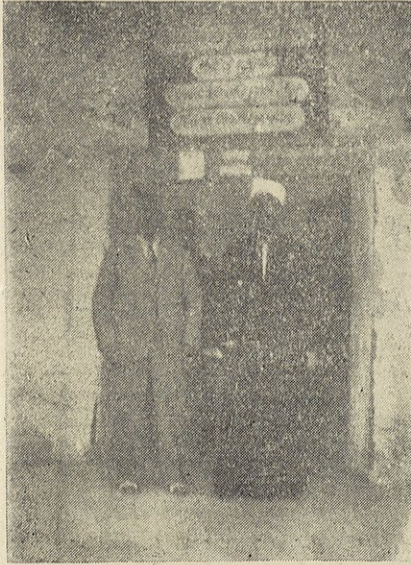
« ولد محمد علي في مدينة قواله سنة ١١٨٤ هجرية - وفي السنة الثالثة والاربعين
من مدة حكمه للقطر المصري نفعا للعموم حضر هو بنفسه ووضع بيديه أساس هاتين
القطرتين في يوم . . ربيع الثاني سنة ١٢٦٣

اقتضت الارادة السنية كتابة ماتوضح بعاليه على المدالية التي ستوضع على القنطرة
أن تعمل مدالية أخرى أيضا ويتحرر عليها مثال ماتوضح باللغة العربية ويلزم
استفسار من مو جيل بك عما هو اليوم - المتروك محله على بياض

بناء عليه تحرر هذا اليكم لاجراء مقتضاه كما هو المأمور في همتكم « اه
ثم قال سموه : وهذان النصان يؤيدان رأى صاحب الفضيلة الشيخ محمد سليمان
بأن محمد علي ولد سنة ١١٨٤ هـ الخ - الناشر

بيت محمد علي

في واسطة العقد من محيط الدور العليا على ذروة قواله الأولى ،
يتمهد الجبل لدار «جنتمکان» والد محمد علي الكبير ، حيث مهبط العز
العلوي الذي أنبت غرس الحكم والاستقلال في أرض النيل . لا تزال دار
« يول أغاسي على أغانك أوغلو إبراهيم أغا » قائمة بمكانها ، وعلى نظامها ،
ومادة بنائها ، هي دار خشبية في



عرشها وفرشها وجدارها ، وفق ما
كان النظام في دور تلك الأيام ، وقد
حافظ « عايها في مادتها وفي
هيئتها ، وكأنا بقيت بروح منشأها
فيها . تدخلها فتحس النظام والنظافة
وروح التنسيق والتوفيق ، كأنما هذا
المغنى المنظم المهندم كان أصلح نباتاً
لتلك النفس التي ولدت فيه فشبت

على التنظيم والتنسيق بل على خلق
النظام وحسن الرعاية في الأحكام

المؤلف وأمر أرقام الخاصة الملكية بقواله
وظاشيوزامام منزل محمد علي باشا من جهته الشمالية

(١) وجد في دفتر ٣ وارد قواله نمرة ٢٢ سائرة ص ٤٧ في ١٠ المحرم سنة ١٢٩٢
مايأتى : (بخصوص منزل جد الجناب العالي الكائن بمدينة قواله وموافقة على تعيين
خفير بمرتب مائة قرش لتنظيف المنزل ليكون دليلاً للزوار الذين يقصدون زيارته ،
وإخطار بضرورة بقاء المنزل في حالة منتظمة)

تطلّ الدار على البحر الأبيض من واجهتها القبليّة مباشرة ، ومن واجهتها الغربيّة يتوسّط بينها وبين البحر ميدان أعدّ لاقامة تمثال محمد على الذى يرمز يونانيو مصر بإقامته الآن على شكرهم لمصر ومولاها . أمّا حدّها الشمالى فينحدر إلى شارع مستقيم إلى الميناء ، وعمرّ على تكيّة « غازى الحاج محمد على باشا » وهو شارع فتّح حديثاً ليمرّ منه موكب الملك فؤاد حين يشرف قواله لرفع الستار عن تمثال جدّه العظيم ، وفي هذا الشارع الباب الكبير للدار ، ولها باب آخر فى واجهتها الغربيّة ، أما

حدّها الشرقى فحديقة منها منظّمة تزهر بالنجم والريحان ، وفيها باب ينزل إلى البحر شرع حديثاً لدخول الخدم والعناية بالحديقة والدار



المؤلف وأمور الاوقاف امام منزل محمد على باشا من جهته الجنوبيّة

إذا دخلت الدار من الباب الشمالى وجدت دهليزاً على يسارك يصل بك الى فناء الدار تفتح عليه حجرتان ، إحداها للخدم ، والثانية « مير اخور » وفى واجهة الباب فتحة ملئت بصندوق لولبى أعدّ لتنويل

ما يوضع فيه اذا دار لواجهة الجدار الأخرى ، وهي ردهة يفتح عليها
الباب الغربى « باب الرجال » ، وفيها بيت الماء ، ومنه كان يدخل الرجال إلى
سلم صاعد إلى « سلامك رجالى » هو فسحة وقاعة كبيرة للاستقبال وفيها
معدّات الاستقبال . أما « الحرملك » الذى وصفناه فى فنائه سلم آخر
يصعد إلى القسم المعدّ لسكن السيدات ، فالدار طبقان وفى العلو ثلاث غرف
للحریم فوق الغرفتين السفليتين ، ومن فسحته يطل شنف على البحر
بطول واجهة الدار ، ولا تزال فى قاعة النوم معدّات التدفئة الأولى ،
والقاعة التى ولد فيها محمد على الكبير باقية بشكلها . والخاصة المملكية
قائمة بحفظ الدار والعناية بها ، وإعداد الخدم لها ، وفى سلامك الرجال دفتر
كبير يوقع فيه الزوار من أعظم الأقطار . ومن أحسن ما تقاءلت به أنى
وأنا على وجه الباب الكبير رأيت القمر فى أول مطلعته من أشهر الهلال ،
كما تحسن الإشارة إلى ذكر أنموذج مصغّر لهذه الدار بغرفها وحديقتها
وسلاليمها ، يمثلها على نمنمته أتم تمثيل . صنعه مهندس رومى كما صنع
أنموذجين آخرين للمشهدين القائمين على قبور أبوى العاهل العظيم محمد
على الكبير ، رأيت الآخرين هناك فرأيتهما لم يغادرا صغيرة ولا كبيرة
من الأصل إلا متلاهما ، أما النموذج الأول فيقال إنه الآت فى
قصر عابدين

المصري في اليونان

أظن أنه لا يكاد يوجد بلد في الأرض يزهي فيه المصري ويمشي في شوارع العرَضنى مثل ما يزهي ويمشي في بلاد اليونان اليونانيون الذين علمناهم في القدم زرع الكرم والحنطة والزيتون واستخراج الزيت ، وبنينا لهم قلعة أثينا وما حولها من المنازل والميادين وسدنا لهم نظام الحكم وشرائع الدولة ، وعرفناهم حكومة البلاد وكل أولئك على يد مواطننا « كركرُيس » المصري العظيم وهم يذكرونه الآن وينطقون اسمه بالتاء الأولى بدل الكاف . ثم تلاه ذاناؤس المصري فأسس لهم مدينة أرغوس في قسم المورة وأدخل فيها ما شاء من الصناعات . وجاءنا أبناؤهم أيام الزهو الأول فزدناهم علماً ولقناهم حكمة وفهما . هذا « أفلاطون » أشهر فلاسفة اليونان تلميذ من تلميذى الكهنة في عين شمس حضر عليهم وأخذ عنهم علم مصر القديمة وكانت تضرب في جميع شعب العلوم

وهذا « بطليموس » أبو الفلك والجغرافيا هو ولد من أبناء الاسكندرية تعدّه جامعها القديمة من بين أعلامها الذين استفادوا وأفادوا ، و « فيثاغورس » الفيلسوف المشرّع ، والحاسب المهندس ، الذى رفعه تلميذوه إلى مصاف الآلهة وقالوا إنه ابن الإله « أبولون » رزق به من عزاء لم تطمّث هو كذلك من ورّاد شرعة الوادى ومستظل براية مصر و « بلوتينوس » مؤسس الفلسفة التى تعرف باسمه وهى التى تقول بحريّة

الارادة ، والايمان بالله ، والترفع عن المادة واخضاع الجسد ، صاحب الامبراطور « جورديان » وأستاذ الامبراطور « جاليانوس » وزوجته ومشهورى علماء رومية وأعضاء مجلس الشيوخ فيها ، والذي سما بنفسه فوق محيط هذه الحياة الوحشية التى غذاؤها اللحم والدم فكان لا يأكل لحماً ولا يكثر نوماً ويحي معظم الليل فى العبادة ووجهه حنيف الى الله أبداً ، كذلك هو مصرى صعيدى ولد فى أسيوط ، ومن أسيوط درج وفى جامعة الاسكندرية تخرج ، وغيرهم وغيرهم ممن لا يحصر التاريخ عددهم ، عيال علينا ويكادون يعدون منّا وان كان الاسم اليونانى طواهم فى سياقه لفظاً ومعنى (١)

هذا فى القديم البعيد ، أما فى القديم الحديث فالليونانيون يعرفون المصريين ويذكرونهم فى بطائح المورة وجبال كريد ، يعرفون عنهم أنهم الموفون ذماراً والقاطعون بتاراً ، والذين قالوا وفعلوا ، وأقدموا وما نكلوا ، هم الذين نولوا زمام موره بأيدي قائدهم البطل « ابراهيم باشا » ومهدوها ملكاً ذلولاً للسلطان حين كان السلطان عنهم عاجزاً وحسيراً . فاذا استنصروا عليهم لم يكف مصر دولة ولا دولتان بل جاءتهم ثلاث دول هن دول الدنيا العظام انكلترا وفرنسا وروسيا ينسربن الى المصريين فى البحر ، ثم لم يستطيعوا مع أسطول مصر أن يأخذوه حرباً وقتلاً ، وانما اختلسوه ختلاً واحتيالا ورابطوا بعد اغراقه على الساحل لا يقدرّون

(١) يقابل هذا ما فى (نهاية الارب) من لطائف النويرى انه عد أشهر فلاسفة اليونان مصريين مولداً ووطناً

عليه صعوداً أو نزولاً

أما التاريخ الحديث فالإيونانيّ راكز في مخه أن ترى هذا الوادي ذهب وأرضه كنز ، وأهله أعوان وأنصار ، وهذا اللفظ الثلاثي لمصر يساوي عندهم ويرادف اللفظ الحبيب المثلث أيضاً لفظ «الذهب» . وخیالهم هذا صحيح يغذيه لديهم أمثال الخواجة (افيروف) وقد أعطاهم من مالنا بارجة هي زينة أسطولهم وحامية ساحلهم ثم بنى لهم « الاستوديوم » رمز عزهم الأول ومجدهم الدارس ، والخواجة « بناكو » أقام لهم متحفاً وبنى في أثينا ملجأ وأنشأ بها مدرسة . ثلاث عظام لا تقدر عليها إلا عظام الدول . ولما ماتت الخواجة « كوتسيكا » ورثت حكومة الإيونان من تركته شقصها حوالي مليون جنيه مصري ونصف المليون فسندت وراثتها له ميزانية بلادها وكانت قد انهارت وتضعضعت ، حتى أتاها من مصر السند والمدد . وعشرات ألوف من اخواننا بنى الإيونان هم في ديار مصر أعزّ منهم في ديارهم وأغنى وأقى ، وجدوا منها الأخ المعين والجار الصالح ولدينا لهم مستراد ومسرح ، حتى لقد علمت عن هؤلاء أنهم اذا انتسبوا تشددوا في نسبتهم لنا وقالوا - وحقّ لهم أن يقولوا من (يونانيّ مصر) والوشائج المتعددة بين الطرفين المتقابلين على جانبي البحر قائمة من فجر التاريخ قيام توصيل وتنويل من طرف الى طرف ، لم تتغير النسبة يوماً ، ولا ورد الصادر مرّة ، بل هم القابلون ونحن المجيبون ، وهم الصاحون ونحن اللاهون ، وهم الذين يتمّ الإيونانيّ في داره أن يجيء مصر زمناً ليعود بسعده الدائم أزماناً . لذلك لم يكن بدعاً ونحن هناك أن نلقى ذلك

الأيكرام والأيعظام والبشر والسلام ، وتشممهم نوافح المسك من هاتيك
الأردان وقولهم كلما اقونا (سلاماً سلاماً)

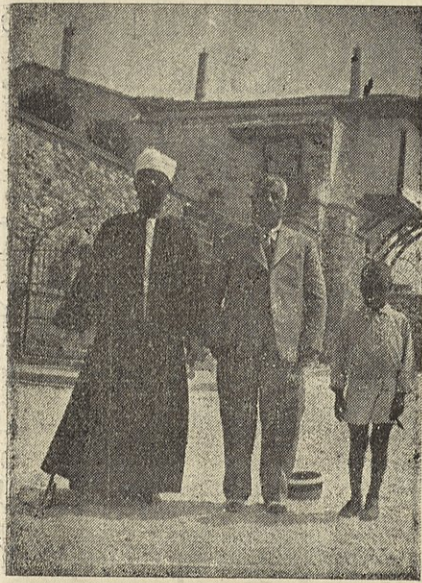
التمثال

إن كنا قد أكثرنا في مالنا عند القوم فليس هذا من باب المن ولكن
من نوع العلم ، وهو علم شكره لليونان فإنهم شكروه قبلنا وعرفوا به
حقنا وتمسكوا منه بحبالنا ، ورأيناهم هناك إخواناً وخلاًّ نأورأينا اليونانيين
المصريين يشيدون في بلادهم بذكرنا ويفخرون عليهم بوصلنا ولا ينسون
أن مصر وطنهم لها مال بلدهم ، وما لقيت يونانياً مصرياً إلا قال : « بلدى طنطا
أو المنصورة أو ميت غمر » ويناديني بمواطني ويجري معي في مضماري .
ومع تسابق اخواننا اليونانيين المصريين في ملاطفتهم لنا فاني ذاكر ثلاثة
اسماء بقيت في الذاكرة منهم بالارتياح والسرور مسيو كاستاني المحامي
باسكندرية ومسيو نيقولا كاسماتس التاجر ورئيس جمعية الكشفة
اليونانية بالقاهرة . والذين هناك أكثرهم متّصل بمن هنا فعلاقتهم واصله بنا
ويدهم مفتوحة للسلام علينا ، ومنهم من أقام بمصر ثم عاد ليونان فهو إذا رآني
رآني بشوق ولقيني بحنان ، وكثيراً ما كنت أمر في الشوارع فيخرج إلى
ناس ينادونني « يا أستاذ يا أستاذ » فأقف للمنادي فإذا به يأخذني بالسلام
التمام والسرور البادي يسألني عن « مصر . والنيل . والملك » ويعرفني أنه
كان عندنا وتر كنا منذ زمن كذا ، وهو في تلّيف على العودة وشوق إلى
السفر وحنين متواصل لذلك البرّ المتواصل بالألّعام ، ولذا فإنه ما كاد

يراني حتى تحرّكت به شجونه وهرول إلى يسلم عليّ ويسألني عن
الأحباب ، واليونان الذين كانوا مثلنا هناك للاصطياف أكرمونا وأفادونا
وكانوا صلة حبّ وسلام بيننا وبين قومهم بل كانوا كلما رأونا نظروا اليهم
بنا ، كأنهم يفخرون بمجيئنا ويدلّونهم منا على أشكال مساكنهم ولطف
مواطنهم . وفي يوم وأنا ماش بلوتراكي سمعت من جمع مشرف على البحر
في الليل أصواتاً مصريّة عذبة « شرّفت بلادنا يا بك . نورتنا الخ »
وطالما قابلني الأطفال والأحداث من أولاد نزلنا بتحيّاتهم المحبّة
« سعيدة — أهلاً وسهلاً — سلام عليكم » الى آخر هذه المظاهر التي لم
تنقطع ونحن في اليونان ، ما بين بادىء التحية ومتقدّم للخدمة ومتدخل
حلّ مشكلة وقائم بالترجمة حتى لقد دخلت مطعماً في أثينا فلما رآني
رجال « الأركستر » وفي كلّ مطعم كبير أركستر ، وقّعوا لي دوراً مصريّاً
ذاك الذي يسمّى « سميحة » وقعدت للطعام فعادوا للتوقيع بدور عربيّ
آخر ، وعندهم أغان كثيرة على تواقع عربيّة كاللواليا وغناء الافراح ولحن
العراق فكانوا إذا رأوا مصريين أداروا لهم الفونوغراف على هذه
الاسطوانات . إذا فاليونان شاكرون لمصر وحافظون جميلها وذاكرون
تاريخها وعاملون على توثيق الودّ معها ، والذين أقاموا تمثال محمد على
بميدان قواله أمام داره رمزوا به لهذا الشكر رمزاً يحمل جميع معاني
الوضوح بل يزيد عن الوضوح بما سقناه في المقال الماضي فهو إذا كان
حقيقة « وهو حقيقة » فإن الشكر معها يتضمّن الإقرار بالفضل لأهله فنحن
إذاً نقول لهم في جوابنا عليه : إنما يعرف الفضل من الناس ذووه



يقوم التمثال على قاعدة رخاميّة نصبت أمام الباب الغربيّ لدار محمد على ، وامتطى الباشا جواده وهو شاهر سيفه ينظر به إلى البحر كأنّه يقول « هنا مجال نحري » ولكن عدلت الفكرة أخيراً ، فوجه الفارس إلى باب الدار وقد أغمّد سيفه في قرابه رمزاً للسلام ، كأنه يقول قد أدّيت مهمّتي ، ومهمّتي هي السلام

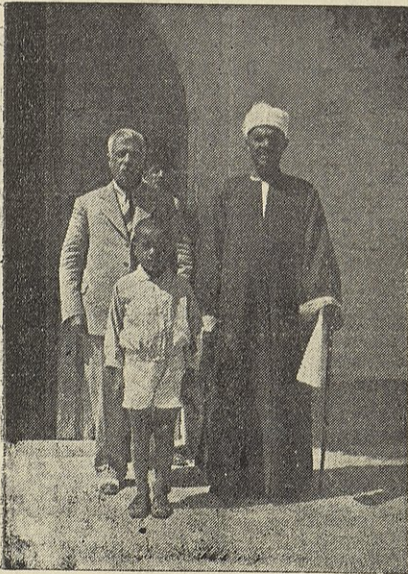


وهذا التمثال اكتتب فيه يونانيّو مصر ، ووضعه حفّار يونانيّ في باريس ، وسيتمّ قيامه قريباً حيث يتوجّه حفيد الفارس العظيم إلى قواله يوم احتفالهم به فيزيح عن وجهه الستار للنظّار ، وهي سفرة يرقبها من هناك ارتقاب الغيث من خلل السحاب وبزوغ البدر من دامن الأهاب

وقد مهدّ للتمثال ميدان مستدير المؤنّف وأمور الاوقاف أمام منزل محمد على من واجهته الغربية المطلّة على التمثال وتري فيه قاعدة التمثال والعمل جارٍ فيها يشرف على البحر في ثغر صالح رضع السلم عليه من مرسى المركب . وشرع له طريق جديد هو أنخم شوارع قواله يمرّ إلى الأسكّة بين أملاك الخاصة ومباني التكيّة ، ووضعت عنده معدّات للرصد والميقات كما هيئت فيه مجالس الفرجة للمتزّهين

التكية والمشهدات

لأن وإلى المستقبل الذى يحده رب المستقبل يفخر أبناء قواله بالقوللى العظيم أركى غراس تلك البقاع وأثمر نبات هاتيك البوادي اللاتي نبت من سهولها أرباب الأسماء العظام أصحاب عظام التاريخ وكبريات الأحداث ذلك هو (محمد على بن إبراهيم أغا ابن يول أغاسى على أغا القوللى) : والاعتزاز بهذا البطل لا يزال نعمة أهل مقدونيا وسكان قواله ، وأكبر مظاهر هذه النعمة حينما يرون مصرياً أو يحيئون إلى مجال الفخر فانهم يذكرون اسم « محمد على » فى أعلى قوائم الفخار ، وفى دور قواله ومقاهيها وفنادقها تعلق صورة محمد على فى صدور التعاليق . كذلك



المؤلف ومأمور الارقاف أمام التكية
(عمارتسى)

لم ينس هذا الرجل البار مسقط رأسه ، فهناك على فرضة قواله يشاهد بناء ضخيم كأنه قلعة ذات أبراج على واجهته لوح من الرخام نقش فيه منظومة تركية باسم باني البناء (غازى الحاج محمد على) وفيها اسم صاحب الوقت (السلطان محمود) وتاريخ البناء ١٢٣٦ هـ أى أنه بنى بعد ست عشرة سنة خلت من ولاية العاهل العظيم على بلاد النيل والاهرام

هذا البناء هو تكيّة محمد على

أو ما يطلق عليه هناك اسم (عمارت سي) . ولبنائه قصة أرويهها من
أوثق المصادر وأصدق الرواة ، فقد شاء هذا الملك الكريم أن يزور بلده
الأول بعد عزه الجديد فلما لقيه أبناء قواله تمنوا عليه وهو على استعداد
لأجابة أمانيتهم وكان ظنه أنهم يطلبون بناء الميناء فإذا بهم يطلبون إقامة
تكية لشيخوهم وملجأ لعجائزهم فكان ما أرادوا وشاده مرمرًا سقفت قبابه
بالرصاص - مدرسة ابتدائية ، ومكتب أولى ، ومسجد ، ودرسخانه ،
وميضئة وبيوت للمشايخ ، وقاعات للطلاب ، ودار فيها مخبز ومطبخ
ومخازن للأقوات ، يضم هذه العمارة نظام واحد وشمل جامع حول حديقة
باسقة الأشجار ، والتكية تغرف من سيف البحر صاعدة إلى مستوى
الشارع ثم تفرع الجو بدورها الأعلى

وقبابها المعللة

أما المشهدان فهما لأبوى محمد
على ، المشهد الأول وفيه قبر أبيه
ويسمى المدفن الكبير ، وأصله
قرافة الرجال هناك سويت حديقة
وسورت بحائط يضم الآن الحديقة
والغرف المبنية لخدمها وخدم المدفن ،
وهي تشرف على البحر قبالة متنزّه
البلدية ، وحديقته زاهية كأنها معدة
لاجتماع أعظم عين تراها ، وهكذا



المؤلف ومأمور الاوقاف في الشارع الجديد
بقواله أمام مـلات العمارة الجديدة

جميع مباني ومشاهد الخاصة بقواله على استعداد دائم لأن تطرق في أى وقت فيراها الطارق نظيفة ظريفة ، وذلك من حسن الإدارة وعناية المأمور ، وقد سبق أن وصفنا هذا المشهد فلا حاجة إلى التكرار
أما المشهد الثانى فهو على قبر أم محمد على ، وكان فى القرافة الصغرى أو قرافة الحريم ، وقد سويت أيضاً حديقة وسورت بسور يضمنها والمشهد القائم على قبر « زينب خاتون » وهو مثل مشهد إبراهيم أغا ، قبر تعلوه قبّة له شاهد هذا نص المكتوب عليه سطرّاً سطرّاً :

هو الخلاق الباقي

مرحومه ومغفوره الحاج

حسين أغانك كريمه سى زينب خاتون

قواله لى روحنه وجميع مؤمنين

ومؤمناته رحمة إيليه بحرمة الفاتحة

سنة ١٢١٠

ومن هذا الشاهد يرى أن والدّة محمد على توفيت بعد أبيه بخمس سنين وأن هذا الرجل العظيم سمى ولدين من أبنائه بأسماء أبويه ، فالبطل إبراهيم باشا على اسم أبيه ، وله بنت تسمى زينب على اسم أمه ، وزينب هذه هى صاحبة القصر الألفى ، وهو القصر الذى كان لمحمد بك الألفى على شاطئ بركة الأُزبكية واختص به محمد على نفسه بعد أن صفاه ملك الديار المصرية فأعطاه لابنته سمية أمه « زينب خانم » ومكانه الآن تلك البقعة الذهبية تحت مباني شبرد والشركة البلجيكية وما إلى هذه

الرقعة من ميدان الأثني الباقي باسمه للآن ، مما يتردد ذكره لتقلب هذه الرقعة على أسماع المحاكم والقراء — وبمثل هذه النزعة في المرحوم محمد على سمي باسم جدّه أيضاً ولده الشهير بمحمد على الصغير ، وهذا الاسم الظاهر في ولده محمد على الصغير هذا يرجح ما ظنناه في اسم جدّه المكتوب على شاهد قبر الأب ، فان اسمه هناك «على» وقلنا بجواز طي اسم «محمد» تحته أي «محمد على» فظهور الاسمين من الأب والابن بمحمد على كاملاً يرجح كثيراً أن اسم الجدّ كذلك ، أي «محمد على» والله أعلم بحقائق الأشياء عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال

طاشيوز

طاشيوز جزيرة في جنوب قواله على بعد ساعة ونصف ساعة في البحر بسير المركب البخارى ، تبلغ مساحتها ١٩٢ كيلو متر مربع ، كانت من أملاك الحكومة المصرية لها مدير مصرى وقاض شرعى وعمال مصريون إلى أن انتصرت الدولة العثمانية على اليونان منذ أربعين سنة في حرب تساليا ، ففي ذلك الوقت عملت الدولة على أن تديرها هي بعد أن كانت إقطاعاً لمحمد على من السلطان محمود جزاء ما قدمه الوالى للسلطان من الخدمات وطاشيوز لقربها من قواله مسقط رأس محمد على كانت جزاء مطلوباً لهذا الابن البار ، فلما أخذها وقفها على التكيّة التي بناها في موطنه لأهل وطنه ، ومع تمحك الدولة فيها أخيراً فان تملك الاسرة لها ظلّ محفوظاً فيها ، وبقيت إلى حروب البلقان الأخيرة لها مأمورية خاصة



يعين لها موظف من قبل صاحب مصر بعنوان « مدير أوقاف قواله وطاشيوز » ، حتى اذا ضمت أملاك الدولة في هذه المنطقة إلى البلغار وورثها فيها اليونان بعد الحرب الكبرى الأخيرة جاء اليونان الآن يقولون في هذه الإقطاعية إنها قاصرة على ما كان يملك السلطان التنازل عنه ، وهو الخراج دون الرقبة ، وينازعون الخاصة في ملكية

المؤلف والأمور أمام سرى الإدارة بجزيرة طاشيوز الجزيرة مع إقرارهم لها باستحقاقها قيمة خراجها . ويقال إن القضية بهذا النزاع مطروحة أمام محكمة الهاء الدولية لمأيفصل فيها . والخاصة لا تدفع الآن عوائد عن أملاكها في الجزيرة بحجة أن الجزيرة وما فيها ملكها لتنازل السلطان عنها لأبيهم الأول ، واليونان يقولون إن مقدار الخراج في زمن التنازل معروف فازاد عنه فهو لهم ، كما أن الجزيرة أيضاً ملكهم وحكومتهم لذلك تجبى من أملاك السكان فيها ما تراه لخزيتها ، وتركت أملاك الخاصة الآن بلا جباية قطعاً للنزاع وانتظاراً للحكم في الدعوى



قضيت يوماً من أرواح أيام الفسحة في طاشيوز وصاحبي فيها الرجل الفاضل حسين افندى فهمى مأمور أوقاف الخاصة الملكية هناك ،

وله مكانة في تلك المنطقة ترفع رأس المصرى عزة واغترباطا ، فما إن دخلنا الجزيرة بعد سفر ظريف في زورق بخارى أعدّ للتنقل بين الجزيرة والشاطئ حتى كانت مباني الخاصة هي التي رأيناها مشارف البحر ، دار المديرية ، المحكمة ، المنازل الاخرى ، معصرة الزيت الكبرى ، وهي معصرة أقيمت من ربع قرن وفيها أحد عشر مكبسا وكانت النية أن يعصر فيها زيت الجزيرة كله على أن تمدّ خطوط حديدية يجلب الزيتون في «عرباتها» إلى المعصرة فلا يشقّ على الأهالي استخراج زيتهم ويضمن بذلك ربح العمل ، ولكنّ الحرب الكبرى لم تتمّ المشروع وقامت معاصر في بعض القرى كفت ماحولها ، وبقيت المعصرة مع هذا هي الوحيدة في الجزيرة سعة ونظافة ، ولها مهندس من ترك اليونان الجالين . وهواء طاشيوز



المؤلف أمام معصرة الزيتون بطاشيوز ومعه مأمور الارقاف وولده ومهندسا من أنقى وأجود ما تروح اليه النفوس ، والنقلة من قواله الى طاشيوز تبين الفرق الهائل بين الجووين حتى أسفت أنى لم أقم أياى كلها بطاشيوز فهي مصطاف لانظير له فيما رأيت من حيث جودة الهواء ، وتفتح الشهية ،

وجمال المنظر ، والجفاف الطلق الذي أحسنه هناك . ولولا صعوبة السفر إليها لما فضلت عليها مكانا آخر

مصطاف الشرق

مصطاف الشرق اليوم لبنان ، ولبنان منه في سرّته ومركز دائرته وهو الواشج الى بنى الشرق وطنا ولغة ، والواصل بهم خلقا وعادة ، والنازلوه ينزلون منه سهلا ويجدون به أهلا ، فلا ريب أن يجعله اللبنانيون مصطاف إخوانهم ومربد جيرانهم ، فيه الراحة والهناء لهم والسكن والطمانينة بهم . ولـكنّ اليونان بدأوا يزاحونه ، فاتخذوا من بلادهم مصايف للمشاركة يعملون اليوم جلبهم إليها واستدراجهم لها واصطيفهم فيها . وظنّ أن مصر هي مدار المنافسة . فبقية الشرق الأدنى لا يعدل اليونان بلبنان لقرب الدار وسهولة المزار ، ومصر لها خطرهما في ترجيح الميزان ولا يستغنى عنها اليونان ولا لبنان . وهذا العام شاهدى على شدة المنافسة ونفع الترجيح بمصر بين الكفتين . وأقول إن لبنان لا بد أن يعتبر بهذه المنافسة ويعمل لبلده ما ينفع بلده بعد أن يزن أثر المنافسة ، ويعرف منها سرّ الاقبال والسبب في ترجيح أحد النظيرين

أما مزاحمة اليونان للبنان فليست جديدة منهم ولا طارئة عليهم ، إنما هي شئشنة عرفوا بها من القدم ، لقد كانت فينيقيا « لبنان وساحله » سيدة البحار فيما مضى ركبته بالفلك الذي صنعته ، ومخرت فيه بالنوء الذي اكتشفته ، وتقلب بين أمواجه بتجارها صدرا وإيرادا ، فاعتمدت واستفادت ، حتى اذا عرف لها اليونان هذه الميزة حفزتهم الغيرة فدفعهم

حب البقاء والتنازع عليه الى ركوب البحر ومغالبة الفينيقيين فيه ،
واخترعت « كورنثوس » سفائنها ذوات الصفوف الثلاثة من المجاديف ،
فسهّلوا بها لاخوانهم السفر إلى أطراف البحار وسخروها في التجارة
واتتحال الفنون والصناعات ، فبدأ طبع التنافس بين الفريقين من ذلك
اليوم ، وتعمّق حبّ الغلب في نفوسهم حتى ذكر التاريخ في قصّة الحروب
المادية الثانية أنّ « كورسيوز » الفارسي لما سيّر جيوشه على اليونان
واستولى عليهم وحرّق مدينة أثينا ، كان السبب في تغيير ربح النصر
وردّها عليه يونانيو آسيا والمصريّون ، وذلك أن أسطوله وعدده ينيف
على الألفين كان من فرق ثلاث : المصريون ، وهمّهم كان في هزيمته لعل
بلادهم الواقعة تحت حكمه إذ ذاك تتخلص منه . ويونانيو آسيا ، وهمّهم كان
مع اخوانهم أهل البلاد المغرّية . والفينيقيّون ، وهم هم الذين صدقوه
وحاربوا معه بحكم المزاومة التي توجب عليهم خضد شوكة اليونان وضربهم
الضربة التي لا يقومون بعدها حتى يخلو وجه البحر لهم ، فلما وقعت وقعة
« سلاميس » تحلّى الفريقان الأوّلات فلم تغن الفينيقيين حماستهم ،
وانقضّت سفن اليونانيين ألفاً أو تزيد على هذه الشرذمة المتحمّسة
لكورسيوز وكان على عرشه يشرف على الوقعة من أكمة على الساحل ،
فراى أسطوله العظيم يولّى الأدبار ورجاله يتساقطون في قاع البحار ، إذ
ذاك اضطر الى الهزيمة وترك دار الانتصار إلى الإبحار على قارب صياد
يعبر به البوغاز الذي اجتازه قبل ذلك بستة أشهر وهو في أبهة الملك وعزّ
السلطان باسم قاهر الشعوب وحاكم البر والبحر . وسبحان مالك الملك يؤتى
الملك من يشاء ويعزّ من يشاء ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير

نظرات عامّة

١ — الجو

الجوّ هناك متقلّب من برد إلى حرّ ، من صحو إلى كدر ، من تقشع إلى مطر ، ومن العجب أن تنقل الجوّ في أطواره تنقل مفاجيء حتى لينسى من فيه سابق طوره ، تمطر السماء مطراً لا إرهاب له ثم تمسك إمساكاً لا مقدمة فيه وتسطع الشمس سطوعاً كأن لم تعقب مطراً ولا كان قبلها سحاب ، وهكذا تنثور العاصفة فيهزم الرعد وتصفر الرياح ويتور الغبار حتى يسد المنافس ويكحل العيون ويظنّ من بالبلد الظنون ثم إذا بك فجأة وقد هدأت العاصفة بل فقدت وراحت كأنها التي يسمونها « ريح العفريت » فترى الحال غير الحال والبال بلا بلبال والجوّ على أحسن منوال ثم لا تلبث إلا قليلاً حتى تصير إلى تنقل وينزل بك طور لا يدوم ، وهكذا دواليك . بدت لي وأنا في بلاد اليونان من هذا الجوّ المتنقل فكرة عن طبيعة اليونان ، وتاريخهم حافل في حياتهم الشخصية بأمثال هذه النقل الجوية والتغير فيها من وجه إلى وجه ، وفي سيرهم وقصصهم شواهد وأمثال تسدّد هذه الفكرة وتصححها ، هي أن ما نقرؤه عنهم فيما فعلوا وما يفعلون برجالهم وعظماهم ومنشئ تاريخهم راجع إلى أصل طبيعهم هذا ، وطبيعهم مغروز فيهم من جوهم ، فهم بينما يرفعون الرجل عندهم إلى صف الآلهة إذا بهم يدوسونه في الوحل ويدسّونه في التراب ، ثم لا يلبثون أن يعيدوه إلى صفه مرة أخرى لا يأمن فيها أن ينزلوه منه

ويفعلوا معه ما فعلوا من قبل . وكذلك في سياستهم واتجاه حياتهم هم مشرقون مغربون ، ومغربون مشرقون ، وصادرون واردون ومقبولون وصادفون ، من أقدم أزمنتهم إلى زماننا هذا حالهم في تغيرهم لم يتغير ، وعملهم مع رجالهم وفي سيرهم لم يتبدل وكله تبدل ، وعذرهم واضح ودليلهم قائم ، هم أبناء الطبيعة وطبيعتهم متنقلة وما كان بالطبع لا يتحول

٢- الحارة الاجتماعية

ويناسب هذا ما علمته هناك في نظامهم وفي سياسة حكمهم وأنا كما قلت لا أكتب في سياسة البلدان التي أزورها ، ولكن ما أرويه هو عن ساكن فيها ومتعرف حالها ، حدثني أن القوم في اليونان شيعة ثلاث : شيعة اليونان الأصيلة وهم سكان اليونان قبل حروب البلقان ، وأصحاب هذه الشيعة يحسبون أنفسهم سادة البلاد وأصحابها وأحق بحكمها . وشيعة اليونان الدخيلة وهم أهل البلاد التي ضمت لهم من تركيا عقب تلك الحروب وهؤلاء يقيسون أنفسهم بإخوانهم فيرون أنهم أعلى منهم مكانة وأسمى منهم عرفانا ، وذلك أنهم كانوا وهم تحت حكم الترك قد عمدوا إلى العلوم فترودوها وتسلموها بها ليدفعوا عنهم الترك ويعملوا على التفتل منهم ، فلما نالوا بغيتهم نفخت في أنفسهم حين نظروا أهل اليونان الأصيلة أضعف منهم في هذا الشوط وأعجز ، ونظروهم مع هذا يحبون أن يتناولوا عليهم ويعدونهم ممن ضم إليهم ضم متبوع إلى تابع ، فنشأ من هذين النظريين ميل عند هؤلاء يخالف ميل أولئك ، واضطرد الميلان

في الازدياد وظهر الا ولون بمظهر الماسكيين والثانون بمظهر الجمهوريين ،
 والتطاحن بينهم عامل على تفريج ما بينهم وتنمية الخلف فيهم ، والخلاف في
 اليونان يعلق بالنفس ويورث عن المورث ، فلذلك لا ينتظر الناظر له زوالا
 أو اضمحلالا إلا بأعجوبة تشغلهم عموما فينصرفون عنه عامة . أما الشيعة
 الثالثة فهم شيعة اليونان النزيلة وهم الذين جلبوا من تركية آسيا وبودل
 بهم ترك اليونان فحل كل محل أخيه في دار غير داره وجار ليس من
 جيرانه ، وأمر هذه الشيعة أعسر وحالهم أخل وهم يبغضون الشيعتين
 والشيعتان تبغضهم . وعلمت وأنا هنالك أن اليونان النزيلة لا يعامل
 أفرادها غير أفرادها وأن إخوانهم ينظرون اليهم نظر الرجل إلى مزاحمه ،
 فقد جاءوا اليونان وهم أهل صناعات وعمل والبلاد فقيرة ورزقها لا يفيض
 عن أبنائها فكيف بالمشارك فيه والعامل على اقتطاعه من أبنائه لنفسه ،
 ومن هنا نشأت مشكلة لا تقف تكبر وقد نفتت الأزمة الحاضرة في عقدها
 ومكنت من قتلها وعلم العاقبة عند ربها والليالي من الزمان حبالى

٣ - الجوالى

نعم ، أين من ينظر هؤلاء الجوالى وقد احتازوا من بلدان اليونان
 أحياء ، ومن نواحي مدنها ضواحي ، وتكوف منهم كل فريق في مقعده
 يفكر مرتين في هذا العمل الذى جاز على عصبة الأمم حتى أجازته ؟؟
 ورأى أنه مادام هذا الجيل ، فإن حسرته لا تزول وألمه لا ينقضى ، فقد
 كان هؤلاء الجوالى في ديارهم ، ودار الانسان وإن جارت عليه عزيرة

عنده ، فأخرجوا منها إلى ديار لم يألفوها ، وكانوا يوم نزحوا قد أعطوا عوض ما كان لهم في بلادهم فأخذوا ينفقون هذا العوض حتى نفد ، ثم ذهبوا يبحثون عن رزق فوجدوه ضيقاً ووجدوا أهليه عليه أشداء وبه أشقاء ، فهم لهذا في حسرة يقلبون أكتفهم على ما أنفقوا ويصعدون الزفرات على مافقدوا . وما أدرى حال الذين نزحوا من اليونان إلى الترك كحال النازحين من الترك هم ؟ أم لقوا أهلاً بأهل وإخواناً بإخوان ؟ لقدمرت آلاف السنين على اليونانيين في آسيا فبعيداً على عشرات السنين أن تمحو آلافيها وأن تنشئ القوم خلقاً جديداً إلا أن يشاء رب الخلق فهو وحده يعلم ما كان وما يكون وكل شيء عنده بمقدار

٤ - الزبيون

الزبيون هو المعرض ، والمعرض الذي دخلناه بأثينا يعطي زائره فكرة قاطعة عن بلاد اليونان أنها لو سورت بجدار لا يدخلها داخل ولا يخرج منها خارج لعاشت وحيث وصحت . هذا المعرض فيه من كل شيء ، الزراعة والصناعة والتجارة ، فأدوات الحياة المعروضة فيه من صنعهم حتى اسطوانات الفنوغرافات ومعدات الحرب وآلات الهلاك وصناعة البحر والجو ، كل شيء من هذا له غرفة معروض فيها عمل القوم يدلون بمعرضهم على أنهم مستقلون في أنفسهم قادرون على الاستقلال والدفاع عن الاستقلال والاكتفاء بالاستقلال . وفي المعرض مناظر تمثل أطوارهم الاجتماعية ورفيقتهم في سلم الحضارة حتى وصلوا إلى حالهم الظاهر فيهم ،

فترى دورهم القديمة أيام الترك وعيشة أهل الريف وتغيّر الحال إلى المدينة والاستقلال مصوراً على جدران القاعة يراه الرائي من عيون ناظرة في الجدار المقابل على قدر عين المبصر من عدسة البلّور

وهذا المعرض في أثينا ثابت قائم في بناء ضخّم يظهر أنه لا يغلق ولا ينقضى . أما سلاتنيك ففيها معرض آخر موسمه عندهم شهر سبتمبر وإليه تشد الرحال من أنحاء اليونان ، وقد خطر ببالى وأنا أتخطّر فناء هذا المعرض وأرى كل ما فيه من صنع اليونان ولا صنع لغير اليونان ، خطر على ما أراه في معرض الجزيرة عندنا ، والذي يعرض فيه من صنعنا لا يساوى صنع غيرنا ، فعجبت لهذا الفرق البعيد ، وعجبت لتباعد ما بين عنه معرض اليونان ومعرض الجزيرة من المعانى الواضحة ، فالقوم يقولون بلسان معرضهم (نحن لا غير) أما لسان معرضنا فلا يستطيع أن يقول (نحن) خالصا . فليت شعرى ماذا يقصد أصحابنا إذا من عرض ما للناس مع أن فكرة المعارض فكرة فوق التجارة ؟ إنما هي فكرة العزّة للوطن ، والاستحثاث عليها ، وإقامة الدليل بمنّجاتها على إمكان الزيادة فيها للبلوغ بها غاية الكمال ...

٥ - فى الملابس والمطعم

ورأيت الحشمة فى ملابس اليونان نساء ورجالا ، فالشوارع لا بهرجة فيها ولا تبرّج ، والبساطة فى الملبس هى الشائعة ، وإن يكن هذا من قلة ما فى اليد ولكن حسن اختياره وجمال تنسيقه يملأ العين بما تريد العين أن ترى .

ويكاد يخيّل إلى أن أهل اليونان لا يطبخون في دورهم ، فإنّ الجموع
العظيمة اللاتي تقد على المطاعم العامة للغداء والعشاء لا يتصوّر أن تكون
بعدها بقيّة تخلّفت في دورها ، ولعلّ هذا قصد أيضا ، فإنّا كنّا نشاهد
العائلة بجمعها على المائدة في المطعم ، وهو في الغالب على طراز حسن ، وهناك
مطاعم تسع فوق ألف تقدّم للطاعمين في وقت واحد ما يطلبون ، والخدمة
على تمام الاستعداد في نظافة لا غبار عليها . أما بالليل فالغالب عليهم
الإقلال من العشاء إلا ما يخفّ من الطعام في المقاهي والمجتمعات ، وكنّا في
الفنادق نتناول العشاء بعد التاسعة وهي تُكثر فيه عن الغداء ، وكنت
أتضايق من تأخير وقت العشاء فليل إلى أن أهل اليونان لا يتعشّون في
الصيف إلا بعد هذه الساعة ، لأنهم يبدأون سمرهم في منتصف الليل
لحرارة الجو ، وهو لا يلطف عندهم إلا قريبا منه ، ثم يظلمون بعده
يستريحون إلى الهزيع الأخير منه ، ومع هذا هم يصحّون مبكرين
لأن جفاف الجو يضاعف ساعات النوم بركة ولذة ، فقليل الوقت للنوم
في الجفاف أترك من كثيره ولا جفاف

والتعامل في بلاد اليونان كالتمعامل في بلادنا لا تكاد تحسّ فرقا في
إجراءاته ، والمصري لا يحسب نفسه غريبا هناك ، فالأخلاق متقاربة
والشباب لم ينقطع ، والقوم على كل حال ناس طيّبون

٦ - المسلمون في اليونان

لم يبق في بلاد اليونان مسلمون إلا من بقي منهم في « تراقيا » حيث يكثرون في « كوملجنه » و « اسكيجه » و « ياقوه » والأولى مركز ولاية والأخريان مركزان في الدرجة الثالثة ، والمسلمين في كل جهة من هذه الجهات الثلاث هيئة طائفية تقوم بشؤونهم الدينية وتشرف على الأوقاف والتعليم الاسلامي ، وقد بقي هؤلاء في بلاد اليونان بعد أن أجلى إخوانهم منها مقابل الأروام الذين بقوا في مدينة القسطنطينية عند الترك بقية من صفقة التقايط التي أجرتها الدولتان في هذه الأجسام البشرية بلا رغبة من المقياض عليهم ولا اختيار !! وحين كنت في قواله قيل لي إن إخوانك في الشرق منك على ساعتين بالاتومبيل ، ولولا ضيق الوقت لزرتهم وسلمت عليهم وتروحت منهم بشاشة هذا الدين في أوروبا وقد أرز منها بفعل الزمان وعاديات الخطوب ، ولكنني تعرّفت عنهم ، فعلمت أنهم مستقلون بشؤونهم الدينية ، وأن اليونان لا يتدخلون فيها بسوء عيسسهم إلا ما ظهر من بواده بعد أن تفاهم الترك واليونان في السياسة تفاهماً يخشى أن يساء معه الدين ، فحكومة الترك اليوم « وهي لا دين رسمياً لها » لم تعد ترهب في أهلها من هذه الناحية ، فسمعت ^(١) وأنا هناك أن اليونان بعد أن كانت تتمسك فيمن يلي أمر المسلمين بأن

(١) كذلك كتبت مجلة الفتح الاسلامية في العدد ٣٦٨

يكون عدلا ديننا صارت تغضى الطرف عن هذا الى الذين يدعون في
 مساهمي اليونان بدعوة الترك في شعبهم من لبس البرنيطة وتعليم أبناء
 المسلمين الحروف اللاتينية بدلا من الحروف العربية والسير على طريقة
 الكماليين في أنقرة مما يؤول حتما إلى نسخ ظلال الإسلام من تلك الآكام ،
 والمسامون هناك متبرمون بهذه الوافدة النازلة ، ولا حول ولا قوة إلا
 بالله العلي العظيم

٧- البلقان الآن

بفندق قواله كان ينزل معنا « النورمخي » وهو رجل قيل لى إنه
 من الحزب الملكى ، ومعه عشير من رجال السياسة تكلموا معى فى حديث
 البلقان فسمعت منهما ما تحقّق ويتحقّق صدقه عن سياسة البلقان ونظر
 ممالك البلقان الآن لأوروبا والبلقان نفسه ، قيل لى إن البلقان الآن لم
 يعد مطيّة أوروبا ، وأن أوروبا فيما مضى قد جعلته الأضحية لتنفيذ
 سياستها ، واليوم لا يرى أهل البلقان إلا أنفسهم ، فهم لهذا قد رجعوا
 الى التعارف والتآلف وأن يشد بعضهم بعضا ، قالوا ولا شية فى سماء
 البلقان إلا خلاف ما بين البلغار واليونان على منطقة الحدود ، فاذا سوى
 هذا الخلاف فقد تمّ السلام ، ولم أعجب من نظر البلقانيين لأوروبا وهى
 التى عملت لهم الأعاجيب ضدّ الدولة التى أخرجتهم من حكمها ، لأنّ ابن
 آدم هكذا خلق ، والطبع لا يسرق ولا يسترق^(١)

(١) وردت التناغرات العمومية بعد نشر هذه الرسالة بمدة مصدقة لكلام

المؤلف ، وقد عقد حلف بلقانى لم يدخله البلغار — (الناشر)

٨ - مساجد قواله ومسلموها

سبحانك يادأم ، لم يبق في قواله كلها من أهل الاسلام إلا ثلاثة أو أربعة من المسلمين ، مصرى هو مأمور الأوقاف الخاصة ، وحاجبان بالمأمورية ألبانيان ، وامرأة مسامة تناسب للأسرة اليكنية بمصر معها ابنها يسكنان هناك في طلب عقار تقول إنه اغتصب منها ابان الحرب والحرب قد وضعت أوزارها من بضع عشرة سنة ومدعاها لم تنله وقد نقل من أيدي الساسة الى ساح المحاكم ، زارتني بالفندق تستصرخ بي على حقها وتقول في حجتها : عندنا بمصر عشرات الألوف من اليونان حُفِظُوا في أنفسهم وأموالهم ، مأمونون على مالهم من عقار ومنقول ، وامرأة واحدة من مصر مسامة هكذا مخرجة مشردة لاتنال في بلاد القوم حقاً ولا تصل الى مُحَق ؟ ألا ترى حكومة الإغريق أن تقايض الحكومة المصريه ما تقوم به لألوفها فتبرم لامرأة من مصر أمرها كي تدل على أن الحق في بلادها مثله في بلاد مصر يصل اليه صاحبه عندها كما يصل أصحابه إليه في بلاد المصريين ؟؟

أما مساجد قواله فلم يبق منها إلا مسجد واحد مخبئاً في دار التكية لاتقام به إلا صلاة العيد مرة أو مرتين في العام للأربعة المسلمين ومن قد يكون وصل إليهم من إخوانهم في تراقيا اليونانية ، وبقية المساجد وكانت تعد بالمئات أتى عليها الذي أتى على مساجد سلانيك ، وسبحان الحى الدائم بلا تغير ولا فناء - دخلت مسجد قواله الجامع وهو اليوم

كنيستها الجامعة كما كانت قبل دخول الاسلام فرأيت حاله كحال أخيه
« مسجد أيا صوفيا » بسلانيك أصله كنيسة حوّلها المسلمون مسجداً
وطبعوه بحلية الاسلام وزادوا فيه طنفاً وبيت ماء ، شغل هذا البيت
بدكا كين التجار ورجع مكان العبادة للربّ باسم الأب ، وكان الترك قد
كتبوا على جدرانه آيات من القرآن وأسماء من أعيان الاسلام ، فعلى باب
الكنيسة كتبوا قوله تعالى (والله يدعو الى دار السلام) برسمين متقابلين
فوقهما (اللهم افتح باب رحمتك) وفي دائرة القبلة نقشوا سورة الفتح
بتامها على محيطها الأعلى وتحتها على متسع الدائرة وضعوا أسماء (الله —
محمد — أبو بكر الخ) فترك اليونان جميع ما كتب من الآية والسورة
إلا الاسماء الخاصة بالاسلام فحوها وأبقوا على اسم الجلالة لم يحوه ،
وجميع هذا المكتوب بالخط العربي الجميل باق ظاهر يشهد للقدر بما
يظهره من قضاائه على عبيده وإلى الله ترجع الامور

٩- معرض كورنثوس

وقبل أن ألقى القلم لابد من كلمة خاطفة عن متحف كورنثوس الذي
أقامته الأمريكية المفتونة بآثار اليونان في عصر كورنثوس . وهو في
الحقيقة معرض روماني به تماثيل وأحجار عن عهدهم في بلاد اليونان بعد
أن دخلوها وبقيت بأيديهم إلى أن انتزعها الترك منهم . وأهم ما لفت
نظري تمثال (نيرون) الذي يصوره التاريخ جباراً مجنوناً ، فهو في تمثاله
الرخامي بمنظر « عسكري بحري » في شكل جميل عليه قلنسوة البحرية

وردأوها كما تراه اليوم من أولئك الشباب المتموج شبابهم على ديباجة الوجه ، والناظر إليه لا يتصور في صاحب هذه التقاسيم ما يرويه التاريخ عن شذوذه في الاثم والعدوان . وصورة رخامية ليوليوس قيصر ، عريان عليه ملاءة لا تستره وعورته بادية ، وهي صورة تصدق ما حكى عنه (أنه كان في روما زوج كل امرأة وزوج كل رجل) . وتماثيل أخرى للامبراطورة أوجست ، وبربرلان ، والمشرع كرا كله وديونيس ، وعلى باب الغرفة وقف تمثالان عاريان أحدهما لهوميروس صاحب الالياذة التي يقتبس منها أطفال الآداب ويزعمون في كل جديد أنهم يستخرجون من رميمها كل جديد ، والثاني لآلههم (زفس) أو إله أوربا (جوبتير)

١٠ - دور الجوالى

رأيت القسم الجديد في قواله دوراً بيضاء سققها قرمدى بشكل هندسى والجدة تبين عليها فعمت أنها دور الجوالى ، بنيت كل دارطبقتين بترتيب حسن ونظام صحى ، وقيل إن الحكومة اليونانية افترضت من أمريكا ما بنتها به وأسكنت فيها اللاجئين على أن تقاضى منهم الأثمان مقسطة ، ولكن الأزمة الطارئة أعجزت المشترين فهجروها ، وهي اليوم خالية مثل خلاء أمثالها في بقية البلدان التي مستها الضائقة ، فكان هذا القرض مما أعجز الدولة أن تفي أمريكا ما لها من دين

السائحون منا ومنهم

نحن بنى مصر نسيح في الأرض جمعاً أو وحداناً ، فإذا نزلنا بساحة قوم سکننا فنادقهم وغشينامجامعهم وخالطنا عشايرهم فعرفناهم وتعرفناهم ولقونا فاستفادوا منا ما يرجوه صاحب الدار من الزائر الغريب . أما السائحون الذين يحيئون مصر فأنهم يحيئون ويعودون وكأنهم ماجءوا ولا دخلوا ، بل قد يعودون مزودين عن مصر شر زاد وأسوأ ذكرى . هنا تلقاهم شركة الفنادق من ميناء البحر فتشحن بهم قطاراً أو تحملهم على باخرة ، فإذا نزلوا بفنادقها نزلوا بمنازل لامصرية فيها ولا مصريين ، ثم تطوف بهم آثار القاهرة وتذهب بهم إلى مشاهد الصعيد وتحوّلهم بعمالها على نظامها ، حتى إذا قضى السائح منهم لباتته أعادته إلى الباخرة كما أخذته منها ، لم نلقهم نزلوا فنادق مصرية ، ولا تحسّسوا أنفسهم مصرية ولا اختلطوا بمصريين خلطة تعارف أو خاطلة تعامل كما يفعل المصري في بلاد الغربية ، بل إن كان معهم أحد منا فهو الترجمان البغواء الذى يطبع زيه في عيونهم ويصب جهله في عقولهم ويعودون من مصر به وحده لا شيء معهم ممّا عندنا خاصاً بنا أو شراً حالنا ، فتراهم لذلك إن تكلموا عنّا لم يعدوا سطوع الشمس وشكل الهرم وصمت أبى الهول ، هذا إذا ذكرونا بخير ، وقليل منهم الذاكرون ، ومن شاء منهم أن يكتب أو يقول عمّا رسمه خياله عنّا ، كتب وقال ما ننفر منه ونغضب له لأن الحق على خلاف ما روى والباطل طى ما حدّث ، وأنا والحق يقال أعذر القائل

المحرّف إذا كتب أو قال . عندنا الآن جيل يتكلّم اللغات الاوربية ، وشباب عاطل بلا عمل يطلبه إلاّ المنصب والوظيفة ، ولنا لجنة تزعم أنها تدعو للسياحة وترغب السائحين ، ونحن والحمد لله أغنياء في المال والرجال ولكنّا فقراء الى الإفصاح عما بنا من حال وما نرقبه من مآل ، فهلاّ لحظ اللاحظون منّا هذا الجانب العظيم الخطر من جوانب حياتنا الاجتماعية فتكون لنا فنادق مصرية يعمل فيها مصريّون ، ويكون منّا رجال بهم من الجراة لوطنهم ماشاهدناه في الغربية من أهل تلك الأوطان ، فإنّ أحدهم يتقدّم للغريب يسأله هناك عما يطلب ويقوم له بما يحب ويشرح له ما يرغب ، نزعة فيهم أشهد ضدّها هنا ، فنحن ننظر السائح كأنّه عجب يرى تفحصه بالنظر من القمة إلى القدم ، ثم لا نكلّمه ولا نكشفه أو نتكشف له ، فاماذا تعلّمنا الألسن وحدقنا اللغات ؟ وما هذه الاوربية التي نزعمها فاذا حان حينها خفنا أن نخوض بحرها ونعمل عمل أهلها ؟ ولماذا لا يتولّى أولو الأمر فينا قيادة هذه الناحية ما دام الشعب مقصّراً ولهم من أدواتها وأسباب رواجها ما لا يملكه الفرد اليوم . حتى إذا نشب فينا هذا العرق وغازط تركوا الأمر للدارجين السالكين ، انى لأعتب عليهم في هذا التقصير ويزيد عجبى أن الميزانية قد أنشأت فندقاً في مرسى مطروح تمشيّا مع هذه الخطة التي أدعو لها ، ولكنها أعطته لأجنبيّ من أصحاب فندق «سسل» بالاسكندرية ، أعطته البناء والأثاث والماء والنور على أن تأخذ منه خمس الأجر للنزول . وفي العام الأسبق كان قدره خمسين قرشاً لو دقق الحساب في هذه الحسبة لما كانت من الرّابحين . رغبة وطنية

أودعها « رسائل » عسى جماعة من السامعين أن يقوموا لها مستجيبين
فيكونوا لوطنهم من الناصحين العاملين ، ولا أضرب مثلاً بحكومة سورية
فقد أنشأت في « الزبداني » من أرباض دمشق فندقاً يكاد يكون صرحاً
على أحدث نظام أبديته هندسة الفنادق ، وها هي تلك تجعله مستغلاً
وطنيّاً أى مستغلّ مادّة ولسان دعوة . وكذلك صنعت حكومة اليونان
في هذا العام فإنها أنشأت ببلادها لجنة تكاد تكون وزارة للسياحة وتنظيمها
والدعاء إلى بلادها . ورأينا ونحن هناك أن الحكومة لما علمت بمقدم الوزير
الكبير وكيل مجلس شيوخنا المصري « أحمد ذى الفقار باشا » قامت
واستقبلته ثم أطابت إقامته وعادت تقلده أكبر نياشينها فشرحت بذلك
صدر اخوانه المصريين . وهذا « موسوايني » قام بنفسه داعياً لوطنه
دعوة لبّاهأ أكثر من مليونين ونصف مليون من أمم الأرض سيزيدون
في العام المقبل لأن الداعي وضع أسس النجاح لدعوته في بلاده إذ سهلها
للواعلين والمدعوين ، فتح أبوابها وقال هيئت لكم ، وهم ينزلونها فيرون
فيها إيطاليا رخيصة الأجر في النقل ، مأمونة الجانب في المتع ، مؤتية
أكلها الكل زائر ، دانية قطوفها لكل نائل ، فاللايين التي زارتها العام
لا بدّ أن تسمع إذا عادت في بلادها ليعود لها العام المقبل أضعافهم وهذه
تجارة لا تبور . أخلق بحكومتنا صاحبة الوطن القديم ، صاحبة مصر
أمّ الشمس والنيل والكرنك والاهرام والمسلات والهياكل ، وصاحبة
قبر « توت عنخ آمون » وما أدراك ما قبر توت عنخ آمون ثم ما أدراك
ما طيبة ووادى الملوك وما قصر أنس الوجود ومعبد السرييوم ، إن مصر

بنفسها هي دعوة قائمة تدعو الشعوب لها، فليس على أصحابها إلا أن يساعدوها
 في تبليغ صوتها وفي تمهيد السبل لزارها وتفتيح أبوابها وتسهيلها والعمل
 على الدخول بهم في مداخلها والجوس بهم خلالها حتى يعودوا منها بنبيها
 اليقين، وتعود منهم بزاد المسافرين، وبدون هذا فما يبذل للدعوة إنما هو
 بذل زخرف أو بذل قشر لا يغني عن الجوهر ولا يفيد في الصميم

وقبل أن ألقى القلم لابد من ذكر ملاحظة عجب يراها كل مصري
 خرج من بلاده، فإن ابن الوطن ما يكاد يضع رجله خارج الأُميال الثلاثة
 من الحدود حتى تلبسه عزته ويظهر بطابع المصري الذي نشد في وطنه،
 ووفودنا الآن دخلت أوروبا لشهود مؤتمراتها، وبعوثنا الآن تذهب
 لمشاركة ما تنظمه الممالك من المحافل، وطلبتنا الذين يطلبون العلم في الخارج،
 وسائحونا الذين يجوبون البلاد، هؤلاء هؤلاء هم في غير بلادهم
 أظهر وأميز ما يكونون هناك. وأيان تجمع المصريون في مكان بدوا
 بجمعهم في أسمي وأحلى ما يبدو به أبناء الأُمم العريقة في الاصلالة والقدم،
 وندر أن لم يعد مصري إلى بلاده إلا وهو رافع الرأس موفور الكرامة حتى
 إذا دخلنا حدودنا وقبعنا في أعقار دورنا كنا هنا وفي وطننا وبين جنسنا
 أقل وأنزل ما نكون خارج الحدود وفي جماعات الأُمم، فما السر في هذا يا ترى
 أظن السر واضح، وهو أننا حينما نرى المساواة نظهر، فإذا لمع سيف
 الامتياز وحواشي الامتياز وحواشي الحواشي نقبع ونضمر حتى يكاد يصدق
 فينا عنوان الشميخ جاويز رحمة الله عليه، أي عنوانه المعروف (غرباء في
 بلادنا)، والله المسؤول أن يعود بالغريب إلى وطنه، ولكل أمة أجل

كشافة مصر في اليونان

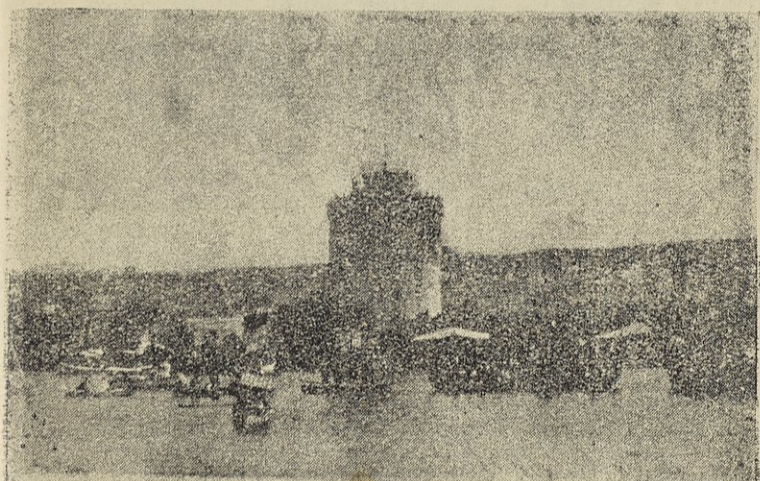
يحاولي أن أنفج هذه الرسائل بمسك اختتام عن كشافة مصر ،
وقد جاءوا اليونان ونحن هناك في عودتهم من الرحلة التي قاموا بها في أوروبا
للمساهمة مع كشافة العالم إذ تجمعوا بمعسكرهم العام في النمسا ، فقد
جاء البشير أن سنرى أعصان الحياة المصرية تظلل تلك البقاع في زورة خاطفة
وضع برنامجها مكتب السياحة في أثينا ، وكان في الكشافة ولد أخى
الأكبر فما أن علمت ميعادهم حتى كنت معهم على قدر ركباً ظهر
الطيارة من سلاويك إلى أثينا ، وهناك خفق القلب خفقة الحب والحنين
إلى الوطن ، وكأنما سكرت أبصارنا حين رأينا التيجان الحمر على الرؤوس
الجمدة فوق الوجوه الأدم تطل على القوام السمهورى وتخطر بخفة
المصرية وجاذبية ابن النيل ، شنشنة عرفتها من أخزم ، وتجمعنا في دار
المفوضية على دعوة السكرتير الأول ، فلا وأبيك ماهى كانت إلا قطعة
من مصر نقلت لأثينا ، ضيوف ومضيفون نحن جمع مصري ، إن تفرقت
الأجساد فهناك روح عام ملاء العاطفة وأفاض الشعور ، ورنّت في الأسماع
أجراس العربية بحلاوتها ومخارج الضاد بطلاوتها ، وجرت لغة يعرب
بلاغتها وذراتها ، وللمصريين طابع خاص أيما حلوا ظهروا به وظهر
بهم ، فأذكر أنا في مجمع هنا بالقاهرة يجمع الشيب والشبان والأحداث
والكهول من طبقات مختلفات لا يربطها إلا العلم وذوق العلم وجمال الفن
وتجمل الأدب ، وقائد الكشافة كان الصديق خالد حسنين بك تحت



﴿ كشافة مصر امام الزيون بأثينا ﴾

كنفه «مرشدة العرب» فتاته المحروسة بزى الكشافة تمثل من مصر روح بنتها الفاضلة أكل مثال ، أما ناظمهم فالأستاذ عبد الله سلامه وقد شاع اسمه في كشافة العالم عنواناً على الترتيب والنظام ، وفي الفوج فرقة عزفت ألحان مصر الموسيقية بآلاتها الوترية ، ووقع منهم على بيانو المفوضية كشف بارع قطعاً أعربت في بلاد العجمة عما ينتظر للشباب من الإعراب ، وقضينا معهم وقتاً اختلسناه هناك زاداً للغربة ، فطوفنا بهم مشاهد البلد وذهبنا في وداعهم الى « بيريه » ، وفي الركب رجال مصر القائمون بالمفوضية والقنصليّة وهم جدّ فرحين ونحن بهم جدّ نخورين ،

والعلم الاخضر يرفّ على سارية السيّارة الأولى وقد قدّمتها المفوضية ،
 وقامت حكومة اليونان وكشافة اليونان لضيوفها بالاحترام ،
 ولقيهم الأهالى بالترحاب والاعظام ، فكان يوماً سموه هناك بحق يوم
 مصر ، وإنه ليوم نخر يذكّرنا بوافر الخير وبارع الأثر . ونعمًا هو
 الاعلان عن الوطن



ناظورة سلايك وميناؤه

مقام العبرة - وكلمة الختام

كتبت هذه الرسائل عبرة لقوى وسلوة لنفسى . أنا رجل واضح
 رزقت نعمة الحسد أو رزئت به ، طائفة قد أهتت بهم أنفسهم يظنون بالله
 غير الحق ظن الجاهلية يجعلون حُبِّي قُبَّةً ، ويتوهمون درهمي بكرة ، شغلوا
 بالظاهر المشع على في أعينهم ، وتركوا حقيقة الواقع أو باعدوها في أوهامهم
 ولو نظروا لعلوا ما بي من أرزاء وما يحتاجني من أنواء ، إن هم أنصفوا
 بدلو حسدهم رثاء ، ورثاءهم ولاء ، على أنني والحمد لله يعلم الله غنى ما قت
 به لجانبه وجاهدت في سبيله ، وما اجتهدت وجهت لبلدى وقوى
 حنيفاً لوجهه محتسباً في أجره ، فن حقي إذاً على من يحب الحق أن ينهضني
 ولا يقعينى وأن يتحاماني ولا يقع في ، إلا يكن لى فلنفسه ، فإن السعيد
 من شغل بنفسه عن الناس . من هذا ولهذا أعمد إلى قلمي حبيبي فهو
 الذى يواتيني ، أبته لواعجى وأعلم به ما فى نفسى ، من مقابلة نافعة إلى
 ملاحظة ظاهرة إلى انتهاز فرصة فيها أمر بمعروف أو نهى عن منكر
 أو لفت إلى موعظة أو تذكرة بتبصرة ، نشرأ للخير وأخذاً بالتى هى أقوم ،
 وبين شق قلمي أجد راحة نفسى ، أحدثه حديثى ومنه يسيل على القرطاس
 نفعاً دائماً وهدياً قائماً والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم



هذه الرسائل وأمثالها مما أركن فيه إلى القلم أجدها سلوانة لنفسى
 شبت من الدنيا وأهلها وقرفت من مضايقتهم ومضايقتها ، فهى تسائر
 القلم وتؤاخيهِ ، وتجد من لدنه حناناً عليها وعطفاً يحسبها دائماً أنها فى

عالمها ، عالم الخير ومناجاة الروح الفاضل بعيداً عن الشغل بالشرِّ والتناجى
بالإِثم ، وَمِنْ ذَلِكَ أَرْبَحُ رِبْحاً ذَا ثَلَاثِ شُعَبٍ : سَلِّيتَ نَفْسِي ، وَجَنَّبْتَهَا
أَذِيَّةً غَيْرِي ، وَصَرَفْتَهَا فِي نَفْعِ قَوْمِي ، وَفِي هَذَا بَلَاغٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

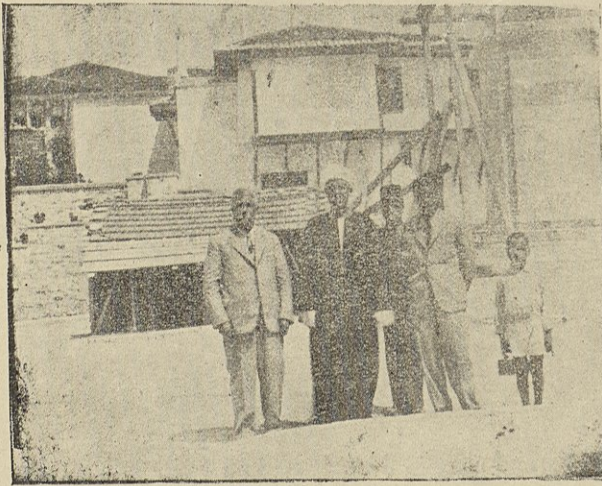


أَمَّا مَكَانُ الْعِبَرَةِ مِنْ رِسَائِلِي هَذِهِ وَمَا كَتَبْتَهُ فِي الشَّامِ وَفِلَسْطِينَ ،
فَهُوَ مَا يَرَاهُ الْقُرَّاءُ فِيهَا وَقَدْ وَصَفْتُ حَيَاةَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ بِقَدْرِ مَا عَلِمْنَا ،
وَقَوْمِي يَنْزِلُونَ إِخْوَانَهُمْ أَوْلِيَّاءَ وَأَوْلِيَّاءَ مِنْ نَفْسِهِمْ مَنْزِلَةً مَعْرُوفَةً عِنْدَنَا ،
فَلَوْ أَنَّهُمْ صَدَقُوا أَنْفُسَهُمْ فِي إِحْسَاسِهَا ، وَاعْتَرَاذِهِمْ بِهَا فَمَيَّجِدُونَ
أَنَّهُمْ مَقْصُورُونَ فِي حَيَاتِهِمْ ، بَعِيدُونَ عَنْ أَمْكِنَةِ لَائِقَةٍ بِهِمْ ، وَمَنَازِلَ فِي
الْعَيْشِ كَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلُهَا ، وَأَوْلَى لَهُمْ شَيْءٌ أَوْلَى أَنْ يَعْمَلُوا مَعَ الْفَائِزِينَ
فَإِلَى الْقُرَّاءِ رِسَائِلُ كَتَبْتُهَا أَخِي لَهُمْ ، يَشْغَلُ بِهَا الْفَارِغُ وَيَفْرُغُ بِهَا
الْمَشْغُولُ ، فَائِدَةٌ لَطَلَّابِ الْعَائِدَةِ ، وَغَنِيَّةٌ لِمُقَتَنِي الْفَائِدَةِ ، وَصَفْحَةٌ مَجْلُوءَةٌ
عَنْ عِلْمِ خَبِيٍّ وَبَحْثِ مَهْجُورٍ ، أَرْجُو أَنْ يَكْتُبَ اللَّهُ ثَوَابَهَا لِكَاتِبِهَا مُحْفُوظاً
عِنْدَهُ فِي كِتَابِهِ يَوْمَ يَجِيءُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَكُلِّ إِنْسَانٍ أَلْزَمَهُ طَائِرُهُ فِي
عُنُقِهِ وَأَخْرَجَ لَهُ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً

أَمَّا كَلِمَةُ الشُّكْرِ فَهِيَ لِحَرِيدَةِ « الْمَقْطَمِ » وَسَعَتْ صَدْرُهَا لِرِسَائِلِي ،
وَشَجَّعَتْنِي عَلَى تَحْرِيرِهَا وَتَجْوِيدِهَا ، وَأَنْ أَمْضِيَ بِهَا إِلَى خَوَاتِيمِهَا لَا أَخَافُ
مَللاً وَلَا سَأْماً . وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

بيانات

هذه الرسائل اليونانية كنت أكتبها كما كان يحضرني وقت تحريرها وأكبر مذكر لي هو المشاهدة واللقاء وطول الصحبة ، فلما أعدت قراءتها أثناء الطبع بدا لي ما كنت غافلاً عنه في كثير من المناسبات فألحقت ما أمكن نظمته في سلكهما من غير أن يحوجني إلى إنشاء جديد أما ماعداه فقد تركته الى أن يقدر الله له وقتاً . إلا أنني أحب أن أسجل هنا لوزيرنا المفوض في أثينا (علي سرى عمر بك) ماله من حق على بلده فقد قام بتمثيله هناك خير قيام وكنا نلمس « وهو غائب مدة سياحتنا » ماله من مكانة مذكورة واسم دوّار وورد على السنة من نلقاهم ونغشى مجامعهم من أبناء الطبقات الراقية وذوى المراتب السامية مما يعد خيراً لمصر ويعتز به أبناء النيل كلما رأوا وسمعوا ، كذلك أنسيت ذكر صديقنا المدير الهمام « أحمد عبد القادر بك » اذ يكاد لقاؤه هناك يكون للوداع وتابع السفر - وغيره ممن لم يرد



ذكره عذرى فيه
ما ذكرت ، وأنى
رجل قليل حفظ
الأسماء على أن
طبعي حفظ المودة
والوفاء ، فاليهم
جميعاً تحية وسلام ،
وسبحان من تقرّد

بالكمال

المؤلف في الميدان الجديد الذى اعد لتمثال محمد على ومعه المأمور -
وترى القاعدة قائمة يطل عليها منزل محمد على

رسائل سائر

كلمة المقطم من افتتاحيته يوم ١٠/٣/١٩٣٣

لما كان المرحوم أمير الشعراء يطلب العلم في باريس برعاية المغفور له
الخدوي توفيق كتب إليه رئيس الديوان في ذلك الحين مشجعاً ومشطاً وطلب
إليه أن يجد ويجتهد في التحصيل « لتعود إلينا بقبس من مدينة النور »
ويذهب كثيرون من المصريين في كل صيف إلى مصايف أوروبا ومصايف
الشرق ويتمتعون بطيب الهواء وحسن المناظر ، ويستريحون من التعب
أو من البطالة ، ولكن قلّ بينهم من يعود إلينا بقبس من نور يزد في علمنا
أو يوسع دائرة نظرنا إلى الكون الذي نحن جزء منه ، ولكن الكاتب
البليغ والباحث الاجتماعي القدير الشيخ محمد سليمان نائب المحكمة العليا
الشرعية أبي أن يسير في هذا الطريق واختار أن يشرك قومه في ما يتاح
له في أثناء الاصطياف من حقائق ومعلومات ووصف ، فلما زار سورية
ولبنان وطاف في مدينتيهما وربوعهما أنشأ في المقطم طائفة من الرسائل
أجمع الذين قرأوها على أنها ضمت إلى حسن السبك وبلاغة التعبير صحة
النظر ودقة الملاحظة والانصاف في الحكم فكانت والحق أولى أن يقال
من خير ما كتب عن تلك الأقطار في هذا العصر كما شهد بذلك الذين
تمتعوا بمطالعتها وهم يعرفون تلك الربوع معرفة حسنة . وفي الصيف
الماضي ذهب مصطفى وأسائماً في بلاد اليونان وما كان يسمى بلاد الروملى
من قبل فأتحف قراء العربية بهذه الفصول البديعة التي طالعوها في هذه

الجريدة والتي نشرنا خاتمتها البليغة أمس ناطقة بفضل كاتبها
ولم يقتصر الشيخ محمد سليمان على إيراد وصف ما تقع عليه عيناه
وصفاً مجزئاً بل عمد في مناسبات شتى إلى البحث والتحري فاستخرج
انظريات وتناجج تدلّ على ما توخاه من قرن التسلية بالفائدة والانصراف
إلى التحقيق العلمي فإن بحثه الخاص بمولد محمد على الكبير بحثاً خالف
فيه ما قرره المؤلفون والمؤرخون من قبل أحدث ضجة بين المؤرخين
فاهالت رسائلهم على المقطم حتى ضنقنا ذرعاً بها . وكتب سمو الأمير عمر
مؤيداً الشيخ محمد . ورأى معالي وزير المعارف أن هذا البحث الذي فتح
بابه من جديد بهذا التحري الدقيق جدير بالدرس فألف لجنة خاصة له .
ويسرنا أن حكومة اليونان والشعب اليوناني عرفا لهذا الباحث المصري
الكبير فضله وأعربا له عن حسن قدرهما لإنصافه وهو ما كان ينتظر من
حكومة سورية ولبنان من قبل

وعسى أن يتمكن فضيلة الشيخ محمد سليمان من نظم هاتين الطائفتين
من رسائله البليغة في مجلدين ، يتداولهما الناس ويسرون بهما في المستقبل
سرور الذين طالعوها في الحاضر . ونكرر له الشكر على ما أسدى
من خدمة إلى الأدب والتاريخ والاجتماع

عيد الجلوس الملكي

١٩٣٣ م

في منبت العز ملك مجده في مجد شعبه

« كما بدأنا أول هذا الكتاب بطالعة الافتتاح الملوكي براعة استهلال له نختمه »
« بهذه الرسالة الملوكية التي أنشأناها في عيد جلوس جلالته براعة اقتناء وختام مسك ، »
« ولها منه جميل المناسبة . »

على الذروة العليا من مدينة « قواله » دار لاتزال مزدهرة برونقها
حافضة شكلها وحال بنائها منذ ماشادها صاحبها الأول « يول أغاسي على
أغانك أوغلو ابراهيم أغا » تطل من جانبها القبلي وجانبها الغربي على البحر
الأبيض المتوسط حيث لا حاجز للناظر منها يحجبه أن يرى مصر أو
يحجز همته أن يثمر فيها ذلك الغرس العالى وقد نبت في منبت العز
هناك . وفي تلك الدار ولد الرأس الأعلى لهذه الشجرة الباسقة شجرة محمد
محمد على الذى نحتفل اليوم بذكرى جلوس أعلاها غصناً وأحلاها مذاقا
وأظلمها رواقاً وأبعدها اسطة وعلاء ، أحمد فؤاد الأول أبى الفاروق المؤمل
وابن اسماعيل المأمول . وهناك لاتزال بقايا تلك الدور التى عاصرت دار
(ابراهيم بن على) ومن مقارنتها يظهر للرأى منبت العز المصرى وانه
منبت خصب نام زاهر ، وأصل عريق زاه تالد ، فالدار فى أعلى القمة حيث
تتقاصر الدور دونها ، وفي مظهر الدار ما ينم على رفعة الأصل فى هذا المظهر .

وتخير موقعها لتطل على البحر من ناحيتين خيرة مدت بسطة الامل وبسطة الهمة في نفوس الأشبال الذين درجوا من ذاك العرين . فحين يراها المصرى يرى أصل عزه ثابتاً ومنبت مجده نامياً وموضع الرأس منه موضعاً عالياً ومكاناً سامياً ، بل لا يزال أعلى مكان في بلاد الاغريق يقوم فوقه أضخم بناء في منطقة البحر (قلعة قواله) ملكاً مملوكاً لرأس مصر ومالكها العظيم . وأنا إذ رأيت هذا العلاء حفزتنى نفس المصرى الوثابة أن أرقاه فصعدته فإذا بى وبلاد ما هنالك لامتلاء حدقة عيني ، وإذا بقلبي يشحم بدهن السرور لابدهان الغرور ، سرور أنى حيثما طوفت ازدادت نغراً بآثار هذا الملك وآثار أجداده من قبل

من هذا لاعجب أن يكون الملك أحمد فؤاد الأول ، هو الملك أحمد فؤاد الأول ذلك النبع الفياض على مصر والشرق والاسلام والعرب يفيض مافى نفسه من فضل ونبل ، على أن أظهر مافى هذا الملك وأبين مايكتبه الكاتب في تاريخه إذا كتب تاريخ الملوك ، أن يقولها بالخط العريض عن الملك فؤاد « أنه وحده هو الملك الذى جعل مجده في مجد شعبه » فهنا فى مصر ، سرّ بين واديهما فسترى آثار ملوكها البواقى آثار ملوك لا أشخاص الملوك : هرم الملك زوسر - مسلة الملك حتاسو - طيبة مدينة الدنيا أو مدينة الملوك . أمتنحت ، واحمس ، وتحتمس ، وسيق - معبد الكرنك لأول من بنى فيه الملك أسرتسن ، وآخر من رقبته رمسيس صاحب معبد الرمسوم - جزيرة فيلا وبها قصر أنس الوجود أو قصر الملك بطليموس فيلادلف الخ آثار كلها لأشخاص من

شادوها ومجد من بنوها، وثروات كانت بأيدي هؤلاء هي من ثروات شعوبهم ولكنهم جمعوها أحجاراً في الصحراء، أو بنوها مسلات في الهواء، أو رسموها صفحات خطأ عليها تلك الأسماء، فما فيها فهو لهم، وما بقي منها فهو لذكرهم، أما أحمد فؤاد الأول فمجده الذي ارتضاه لنفسه إنما هو لمجد شعبه، مدارس بناها تعلمهم ومستشفيات أقامها تمرضهم - وكهارب مدها تنورهم - وجسور وقناطر، وطرق ومعابر، ومجامع ومعاهد خير الشعب، وترفيهه وتنويله السعادة في معاشه من أسهل طرقها، وأن يرقى به صعوداً في مدارج الحياة والانسانية رقياً تتوارثه الأجيال وتنهجه، وتقفو أثره حتى يبلغ الوادي لبنية ما يضمن بقاءهم على أفضل وجوه البقاء وذلك لعمر الله هو المجد الباقي النافع (ومن سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة)

لم يبق لمحمد علي من مجده الذي يذكر باسمه إلا مسجده القائم على جبل المقطم، أما مجده الوطني فهو الذي ينعم به شعب ابنه ويذكر به أنعمه عليه، من نظم سنّها، ومدارس أقامها، ومعاهد شادها، ومصانع درّت نفعا على جيلها وعلى الطبقات من بعدهم، وقامت قدوة لبنية من بعده يستنون في مضمار أبيهم، حتى جاء هذا الملك المجلى حفيده فؤاد فأكملها، وأتم أنعم الله بها، ومد يديه مبسوطتين في وادي مصر ينفق بهما كيف يشاء نفقة الخير والاسعاد، وإنها لنفقة تسجل له مجد الحقيقة في نفع الوطن وانه مجد البقاء والدوام

لما زرت اليونان هذا العام دهشت مما رأيت أن تكون على مارأيت، واستقلالها لما يمض عليه أكثر من مائة عام إلا قليلا ، قلت هذا ليوناني من أبنائها فأهطم لى وقال : ومصر هل تجاوزت عشر السنين على استقلالها الأخير إلا قليلا ؟ فإذا رأيناه فيها وقد كادت تتبدل خلقا جديداً وتتصور حضارة طافرة ، وليس لها في حياة الاستقلال معشار ما لنا فيها ، ولو عددنا خطواتها المدنية فيها ونسبناها إلى ما تستكثره علينا في حياتنا لكنتم أنتم في الحضارة السابقون كثيراً ونحن اللاحقون فيها بعدكم بكثير ثم قال بعد سكوت وتفكير . آه : لو أن اليونان ظفرت بملك مثل ملككم أحمد فؤاد الأول إذن لكنت تراها بعد هذه الأعوام المئة في مصاف الدول العظام هذه لعمرى شهادة من شهادات الغرب الناطق لملك الشرق الذى

تحتفل بعيد جلوسه احتفال الشكر والوفاء واحتفال الإقرار والولاء مد الله في هذا العمر السعيد ، المسعد المفيد ، رحمة ورفقاً بالأئام ،

محمد سليم

على الدوام



المؤلف على أعلى قلعة قوراله في منارة الراية

كلمة الناشر

منذ عشر سنين طلعت علينا الصحف المصرية بـ « رسائل سائر » كتبها صاحبها وهو يجوس خلال فلسطين ، ثم ظهرت مرة أخرى في « رسائل الحج » وعادت في العام الأسبق تجلو لنا في مصر صفحات سوريا ولبنان . وفي هذه المرة كتبت رسائله عن بلاد اليونان وإليها كانت رحلته .

ولقد تتبععت هذه الرسائل من بدء ظهورها ، فرأيتها تنال إعجاب القارئ بما تضمنته من دقة وصف ، ووضوح بيان وبحت تاريخ ، وتجلية حوادث انساب كاتبها إلى ذكرها في مناسبات دعت إليها فخلى بها غوامض من تاريخ طمست معالمه ، واستخرج من شق قلمه ظواهر ثبتت الخير في نفوس الناشئة من جهة العلم الصحيح وجهة الوطنية الحقة . وهذا المنبسط من أرض الله وهو يملأ ما بين بلاد العرب إلى بلاد الأغر يق وقد ساحه الكاتب ، بدا للمصرى من قلم مبدية كأنه صفحة متممة لأرض الوطن ، فيها من آثار مصر وأيدى المصريين ما يثبه المصرى به نفراً ويحن إليه شوقاً .

إزاء هذا رأيته أن أجمع « رسائل سائر » في كتاب يخلد بين أبناء الوطن خلود ذكر لصاحبه ، ووجه نفع لاخوانى ، تتجلى لهم فيه العربية الفصحى ، والانشاء البليغ ، والحديث الممتع ، والتاريخ النافع . وكل أولئك فواضل أقدمها لهم ، خدمة صالحة لوطنى أرجو أن تحوز الرضى والقبول

لما أخذ فضيلة القاضي الكبير ينشر رسائله عن سوريا ولبنان جعل توقيعها هذين الحرفين (م - س) وأخذت الرسائل تستحوذ على ألباب القراء فأخذت رسائلهم ترده بالثناء والاعجاب ، من عرف رمزه من القراء كتب إلى فضيلته ، ومن لم يعرف كتب إلى من يعرف . وألطف ما أرويه كتاب ورد من الهند أرسله عالم معروف بها إلى سعادة العالم زكي باشا يرجوه توصيله لفضيلة الكاتب ، ويقول للباشا إنه لا بد يعرف صاحب الرسائل ، ومع كتابه جزء كبير من تاريخ شهير في الهند أرسله العالم الهندي بمناسبة ما جاء في الرسائل عن « ابن بطوطة » ، يريد كاتب الهند أن يناقش بتاريخه هذا في رحلة « ابن بطوطة » ودخوله تلك البلاد في العصر الخوالى - ولقد اطلعت على ماورد من هذه الرسائل ولو شئت أن أنشرها لعادلت الكتاب ولكنى أكتفى ببعض مما نشره « المقطم » الأغر لبعض الكتاب الكرام

وكما أخذت رسائل الشام مكانتها من الاعجاب فكذلك أخذت رسائل اليونان حظها من هذه المكانة حتى أن فضيلته لما عاد من رحلته الاخيرة بادره المراسلون يستميحونه الكتابة عنها . ونشر « المقطم » في عدده الصادر بتاريخ ١٨ أكتوبر سنة ١٩٣٣ رسالة بليغة للاستاذ الفاضل محمد محمد الصفطاوى المدرس بالمدارس الثانوية الاميرية المصرية ضمنها كلمة قيمة عن فضيلته وتأثير كتابته والمامة من تاريخ حياته وفي آخرها يقول :-

(... ومن أجل هذا أعتقد أيها القاضي العادل ان سفرتك كانت

للعلم ومن أجل العلم وكانت للوطن ومن أجل الوطن ، فهلا تجود للعلم
وأنت رافع رايته ، وتكتب لنا ما رأيته وقد ركبت الهواء ، وهلا
تحدثنا عما اطلعت عليه في تلك البلاد ذات التاريخ القديم ، حتى تكون
أنت المبرز بعلمك ونبوغك في حياتك الحافلة بالخير ، والأمل عظيم في
سند الصحافة الاستاذ « خليل بك ثابت » أن يفسح لنا من صحيفة المقطم
مانال به البغية ونذكر به الطلبة ويكون الرسول الحكيم بيننا وبين
القاضي الكريم)

وقفاه الأديب على عامر افندى بكلمة نشرها المقطم في ٣٠ نوفمبر
سنة ١٩٣٣ وكانت الرسائل اليونانية قد بدأ نشرها ، فأخذ يصفها ، ويذكر
تأثيرها ، وما احتوته من فائدتها وختمها بهذه الكلمة : -

(... كل ما في رسائلك السائرة جميل . ومن حق قرائك عليك أن
تدفع اليهم هذا الفيدني كله دفعة واحدة ... هم يضمنون برسائلك عن الشام
أن تذهب مع الزمن . وهم يهتفون بك أن تجمعها بين دفتي كتاب واحد .
لأنهم يؤمنون ان هذا السفر سيكون أسبق نظائره إلى الخلد . ولقد
عرفنا فيك النأي عن مواطن القعود فهل يتاح لقرائك أن يستقبلوا هذا
السفر المنشود في يوم قريب ...

هي خطرة لا أنسى معها أن أحمد اليك الله الذي هيا لك من أسباب
التوفيق في خطواتك ما أنت به خليك حقيق)

وعاد الكاتب فألقى محاضرة عنها في دار « رابطة الادب العربي » يرى
القراء ما كتبه المقطم عنها فيما بعد . وكذلك احتفى سعادة وزير اليونان بهذه

المقالات وأقام سعادة وزير مصر المفوض حفلة تعارف بينه وبين فضيلة الكاتب روى المقطم نبأها وصادف أن أقيمت في اليوم الذي كانت خاتمة الرسائل منشورة فيه .

وكما أن الجرائد العربية كانت تتناقل رسائل الشام عن المقطم ، فكذلك صنعت جرائد اليونان التي تصدر هنا وفي أثينا فترجمتها الى لغتها وانتشرت هذه الرسائل البليغة عن العرب واليونان بلسان العرب ولسان اليونان - والله أرجو أن يعم نفعها إنه سميع قريب

وهذا ما وعدنا بنشره مما أمكن حفظه من اعداد المقطم في أوقات متفاوتة متعلقا بهذه الرسائل .

في حفلة شاي وحفلة فضل وأدب

ليس أحب إلى القلب ولا أشهى للنفس من الانتظام في حلقات أهل الفضل وأعلام الثقافة والأدب ، والاستماع إلى أحاديثهم الطريفة وآرائهم السديدة

ولقد شاء الاستاذ أحمد فهمى العمروسى بك ناظر مدرسة المعلمين العليا أن يحتفى بالقائد العربى الممتاز اللواء جمال باشا الغزى فأقام له حفلة تكميمية في منزله بمصر الجديدة دعا اليها نخبة من فضلاء المصريين والشرقيين ، وهم سعادة شيخ العروبة أحمد زكى باشا وحضرات محمود بك أبو النصر والدكتور شهنيد والدكتور منصور فهمى والاستاذ أحمد ضيف والاستاذ وديع مرشاق وكانت هذه الحفلة فريدة في بابها لأنها تجرّدت عن جميع مظاهر

الجلبة والضوضاء ، واقتصرت على فئة خاصة من رجال الأدب تقاربت
مشاربهم واتحدت نزعاتهم ، ولم تُلَقَ فيها خطب وقصائد كما هو معتاد في
مثل هذه الحفلات ولكن تخللتها أحاديث نفيسة قد يكون من ورائها
نتيجة عملية للفكرة العربية

وبعد أن انتظم عقد المدعوين طاف بهم صاحب الدعوة في قاعات
منزله الجميل وهي مزدانة بمجموعات ثمينة من آثار الأباء ونفائس الأجداد ،
فافتتن بها القوم أيما افتتان ووقف حياها الدكتور منصور فهمي حائراً
مبهوتاً وهو يقول : هذه هي حضارتنا وتلك آثار أجدادنا فلماذا لا نعمل
على إحياء ما درس منها

ثم توجه المدعوون الى غرفة الطعام وجلسوا حول مائدة جمعت مائدة
وطاب من أصناف الحلوى المصنوعة بأيدي مصرية وطنية وقد نقش فوقها
بحرف كوفي جميل اسم « الرمالى »

وقضى المدعوون ساعتين وهم يتحادثون ويتسامرون دون أن يشعروا
بشيء من السآمة والضجر ، وكيف يسأم من كان يغذى جسمه بالحلوى
الوطنية الفاخرة ويغذى روحه بنوادر شيخ العروبة وقصص الدكتور
شهيندر وبحوث الدكتور منصور فهمي

ومارعنا قبل انفضاض هذا الجمع إلا وقوف شيخ العروبة على حين
غفلة ومفاجأتنا بقوله : لقد أسمعنا الدكتور شهيندر في حفلة أقامها في
الأسبوع الماضى لتكريم شاعر المسامين في الهند اسطوانة جميلة تشتمل
على نشيد الأحرار المعتقلين ، ومطلعه :

يا ظلام السجن خيم * إنما نهوى الظلام
فهل حضرة صاحب الدعوة (الاستاذ العمروسي بك) أن يشنف
آذاننا بأسطوانة مثلها ؟

وهنا وقف الاستاذ العمروسي وقال سمعاً وطاعة ثم أخرج من جيبه
عددًا من أعداد المقطم وتلا على المجتمعين قطعة خالدة من « رسائل سائر »
وهي المقالة الرابعة التي يمجّد فيها أبطال العرب وسيفهم المسلول ويقابل
بينها وبين نابليون فاستمع القوم اليها وأمارات الإعجاب ترسم على أسارير
وجوههم ، وبلغ من استحسانهم لها أنهم كلفوني أن أنوب عنهم في تبليغ
الكاتب « المجهول » عن طريق المقطم شكرهم الزائد وتقديرهم العظيم ،
وأن أدعوه وحضرة رئيس تحرير المقطم إلى الاجتماع المقبل الذي سينتظم
عقده في منزل الاستاذ وديع مرشاق يوم الأحد القادم ، وها أنا ذا أبادر
لتأدية هذه الرسالة ، وما على الرسول إلا البلاغ

تيمبر ظبيان
مدير مكتب المروبة

المقطم ١٩٣١/١٢/١٢

من فضل خالد

لى ربع قرن وأنا أكتب فى الصحف وأشدو لقومى بلسان عربى
أخرج إيقاعه من وتر القلب ، ومَرَّتْ بى أسواق للحوادث كان قلمى فيها
المجلى . فأنا صاحب مقالات (عربى بسفح النبوء) التى هزَّ « المؤيد » بها
أبناء الدولة العليّة سنة ١٩٠٨ أيام الدستور العثمانى وخلع السلطان عبد
الحميد . وفى سنة ١٩١٠ وسنة ١٩١١ كانت مقالتي افتتاحيات المؤيد عن
« المؤتمر المصرى وحرب طرابلس » بامضاء : (مسلم يطلب الانصاف) ،
و (أبو كوكب الصباح) كان هو الصداح المشجى فى سنى الثورة الوطنية .
ومنذ أربع سنين ومقالات (أبو التلاميذ) تدوى فى القطر حتى صدرت
من أجلاها قوانين وانتفع بها عشرات ألوف من البنات والبنين إلى غير
هذا كثير من المقالات والرسائل ذوات التواقيع المختلفة والرموز المتعدده
لم أبغ عليها جزاء ولا شكورا ، ولا لقيت لها جزاء ولا شكورا إلا من
رب السماء وعالم السر وأخفى ، إلى أن ساقنى القلم إلى كتابة (رسائل سائر)
ووصلت فيها إلى حمص فأسعدنى الطالع أن أكتب فى القائد الخالد سيدنا
خالد بن الوليد بمناسبة زيارتى لقبره فى حمص ، فكان من فضل هذا الروح
الكريم أن قرأت للأديب الأريب تيسير أفندى ظبيان تلك الكلمة التى
تفضل المقطم بنشرها تزكية لمقاتلى فى خالد بشهادة شيوخ الأدب والفضل
شيخ العروبة زكى باشا ، وعالم مصر فؤادى بك العمروسى ، وزعيم سوريا
الدكتور شهبندر ، والقائد العظيم جمال الغزى باشا

وعلم الله ما سررت في حياتي سروري بمثل هذه الشهادة في كتابة
لا يعرف الشهود كاتبها ، وهي خير جزاء يلقاه كاتب مخلص ، وزادوا في
كرمهم فدعوني على الغيب الى مأدبة الكرم العربي في دار الاستاذ وديع
مرشاق ، وكان جزاء هذا الاحسان أن أتلّقاء بالاجابة فزاد نفسي سروراً
ذلك الحفل الحافل بالسراة والأكارم من أبناء العرب ، ولقيت « الذوق »
الذي كتبت فيه رسالتين من رسائل مجلّواً في دار مرشاق فزوّدت العين
والفم والأذن بزاد النضرة والنعيم . وقد تميزت سهرة الأُمس بما عرفته
بالخبر عن أبناء الشام أنهم « عرب قبل كل شيء » فهم يتغنّون بالعربية
ويعملون لها أسبق أنبائها وأبرهم بها . وهذه ظاهرة سيرد القول عنها في
رسائلي . إنما أخص القول بالخطبة الأنيقة العذبة المرتبة التي ألقتهاربة
الدار بحسن منطق وعذب أسلوب وبديع إلقاء حتى قلت للاستاذ العمروسي
بك والله هذه الخطبة أشهى عندي من هذه المائدة على بدعها وجمال الذوق
في ترتيبها وفي صنعها لأن ما كنت أحلم أن أسمع خطيبة بمثل هذا الشأن
حتى سمعت الليلة زين بنات غسان

فن المقطم ناشردعوتي أرجو نشرشكري هذا إلى مكتب العروبة
وإلى دار مرشاق وإلى السادة الغطاريف الذين شرفوا الحفل وذكروني
في ملئهم بخير ذكرهم الله في ملئه بالاحسان

(م - س)

المقطم ١٩٣١/١٢/١٦

في رسائل سائر

حفلت دار « رابطة الأدب العربي » في مساء الخميس الماضي بجمهرة ممتازة من المتأدين لاستماع المحاضرة النفيسة التي قصرها الأديب النابه على أحمد عامر أفندي المحرر في مجلة الإخاء على « رسائل سائر » التي يذيعها « المقطم » للعالم العامل حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد سليمان نائب المحكمة الشرعية العليا

وفي تمام الساعة التاسعة أخذ المحاضر مكانه على منصة الخطابة وتناول الحديث عن « رسائل سائر » بعد أن مهد له بمقدمة مستفيضة عن مواضع السمو في أدب صاحبها العالم الجليل سواء من ناحية أسلوبه الأخاذ ، أم من ناحية آرائه النافعة ، وكان الحديث من جانب المحاضر عن هذه الرسائل الممتعة باعناً على إعجاب المستمعين لأنه بسط لهم - في أداء طلي وأسلوب أخاذ - ما في تلك الرسائل من خصائص كلها فريد في بابه ، طريف في أسلوبه ، وكان اغتباط المستمعين باعلان المحاضر أن « رسائل سائر » ستكون بين أيديهم في كتاب مستقل بعد أمد وجيز ، كان اغتباطهم بهذا النبأ اغتباط المشوق إلى تحقيق أمل منشود ، فقد قابله بحماسة أفصح عنها تصفيقهم المتواصل . . .

وقد عقب على المحاضرة بكلمات طيبة الأديبان الأستاذان كامل كيلاني

سكرتير الرابطة ومحمد مصطفى حمام

وهكذا كان مساء الخميس في دار « رابطة الأدب العربي » مثار

حديث شيق عن أدب الاستاذ العالم الشيخ محمد سليمان وعن موفور علمه

وفضله

المقطم في ٣٠ / ١٢ / ١٩٣٣

حفلة تعارف

أقام حضرة صاحب العزة على سرى عمر بك وزير مصر المفوض في أثينا حفلة شائعة بفندق سميراميس قبل سفره لتعارف سعادة وزير اليونان المفوض في مصر بفضيلة الشيخ محمد سليمان دعى إليها جماعة من الصحب لمناسبة ما نشره «المقطم» لفضيلته بعنوان «رسائل سائر»

وبعد شرب الشاي قدم سعادة الوزير لفضيلة القاضي مجموعة مناظر جميلة ونفيسة عن بلاد اليونان في «ألبوم» مذهب في جلد فاخر وقال له: «إن ما كتبته عن بلادنا سواء كان لنا أو علينا كله حق، حرره قلم قاض نزيه، وإن أكبر الجرائد في أثينا الآن تنشر ترجمة هذه الرسائل، ودعا لفضيلته إلى زيارة اليونان مرة أخرى. فشكره القاضي وقال له: إنه مستعد لتصحيح ما عسى أن يكون قد أخطأ فيه أثناء جمعه هذه الرسائل في كتاب هو تحت الطبع الآن، فكرر الوزير له شكره وانفض الحفل مسرورين شاكرين

المقطم في ١٤ / ٩ / ١٩٣٤

تذبيہ

هذا وقد بذل جهد غير قليل في تصحيح الكتاب وشكل الكلمات
اللاتي يعوزها الشكل فجاء بحمد الله ثقة بيناً إلا أن الكمال لله وحده فقد
وقعت غلطات مطبعية قليلة نشير اليها هنا

ظهرت بعض كلمات كان مضر وباً عليها فتحذف وهي : يوشع س ١ ص ١٤٢
وأن س ١٤ ص ١٨١ وإن س ١٣ ص ١٩١ - (حلفت رأسها) س ٨ ص ٦٤
ويوضع أصلها (قصت لمتها) و (للتريض) س ٧ ص ١٨٠ وأصلها (للرياضة)
(و (كسيّ) س ٣ ص ١٨٤ وأصلها (كُسا)
ويحذف شكل الكلمات الآتية :

(ظفرت) س ٦ ص ٣١ و (عذر) س ١٦ ص ٥٩ و (تزن) س ١٧ ص ٦٠
(يتمم) س ٢ ص ٦٣ و (تبق) س ٧ ص ٦٤ و (مزدوجه) س ٦ ص ١١٣
(إصالة) س ٦ ص ١٩٠ و (شعب) س ١٤ ص ٢٠٩ و (أن) س ٦ ص ٢٣٨
وتوضع كلمة شليّات س ١٧ ص ٣٩ بين قوسين
ووقع رسم الهمزة على ألف في بعض الكلمات وصوابها أن تكون مفردة أو
على نبرة

وتصحح لصاله س ٢ ص ٦٩ - لصاله

الرحيل س ٢ ص ٦٩ - الرحيق

قبلة س ٧ ص ١٩٠ قبلته

اضطرد س ١٩ ص ٢٢٤ اطر د

صدر س ١٠ ص ٢٣٦ صدور

الساقون س ٧ ص ٢٤٩ السابقين

شكر

وقبل أن تغادر المطبعة يجب أن نسجل شكرنا « بلساني ولسان المؤلف » لصديقنا الأديب الأريب محب الدين أفندي الخطيب صاحب المطبعة السلفية ومدير مجلة الفتح الإسلامية ، فقد بذل جهداً مشكوراً ، وأرانا خالقاً رصيناً ومعاملة حسنة

والى حضرات المشترين

يجب أن تقدم خالص الشكر فقد بادروا الى الاشتراك في هذا الكتاب بمجرد الاعلان عنه ، ولئن دلّ هذا على مكانة المؤلف في عالم القلم فانه ليبدل على روح قوى للعلم تجلى به حضرات المشترين وظهر اكبر مشجع لخدام العلم والأدب في هذا البلد الأمين . والحمد لله رب العالمين

الناشر

علي محمد نري

فهرست الكتاب

صفحة

٥ كلمة المؤلف

في سوريا ولبنان

٦ رسائل سائر

١١ مشاهد وعبر

في دمشق الفيحاء

١٧ معاوية وقبره

٢٠ أقدم مدينة بلا آثار

٢٥ قبور الخالدين . وقصور الفانين

٣١ اللغة والعمامة

*

٣٤ الذوق عندهم

٣٩ الذوق عندنا وعنهم

خالد بن الوليد

٤٣ خالد - الخالد

٤٦ سيف الله المسلول

٥٠ بعض حركاته الحربية

٥٤ أخذه بالامر كزينة

٧٠ عود الى خالد

صفحة

خالد وعمر

٥٧ تحليل نفسي

٦١ كيف يختلف العضاء - صفحة

٥٥ من مجد الاسلام *

٦٧ النيل والقنوات

٧٠ حمص . حماه . معرة النعمان

٧٨ حلبا البيضاء . حلب الشهباء

٥٥ الدعوة العربية - وحظ مصر

٨٣ قاعة حلب ومساجد الشام . حكاية

٥٥ الكنافة وقسمة الارزاق

٨٨ بعلبك - كرك - الارز - النجعة

٩٣ القرآن والسياحة

٩٦ السياحة وأثرها

١٠٠ أحكام السائحين

١٠٢ مقارنات

١٠٧ المصري الاحوى - الخاتمة

١١٠ كتب الرحلات . ورسائل سائر

في فلسطين

١١٢ سكة فلسطين الحديدية

١١٣ بدء الرحلة

١١٤ بئر سبع

١١٦ الخليل

١٢٢ مشاهد الخليل

١٢٩ بيت لحم

١٣٤ القدس الشريف

١٤٥ يافا . حيفا . تل أبيب . غرفة

الساعة

في بلاد اليونان

١٤٩ يابحـر

١٥١ مشاهد البلاد ووقعها في نفسى

١٥٤ الرفقة

١٥٦ هوس القومية وجنود الاهمال

١٦٠ أثينا

١٦٢ مصر وحدها

١٦٤ لوتراكى

١٧٦ موسلنجي

١٧١ في أثينا . الجامع . الاكروبول .

بناكى . استديوم . معرض

الاستقلال

١٧٦ سان جورج

١٧٩ بوسه ليني

١٨٢ الضرائب في اليونان

١٨٤ ياأخت أندلس عليك سلام

١٨٦ المقامة البشرية . والطائرة يونينا

١٩٠ سلانيك

١٩٣ في سهل مقدونيا

١٠٤ قواله

محمد على الكبير

١٩٦ وضع نسبته . وأصل نشأته

٠٠ بحث تاريخى طريف

٢٠١ تقرير ملحق

٢٠٣ تحقيق السنة التى ولد فيها محمد

على الكبير

٢٠٦ بيت محمد على

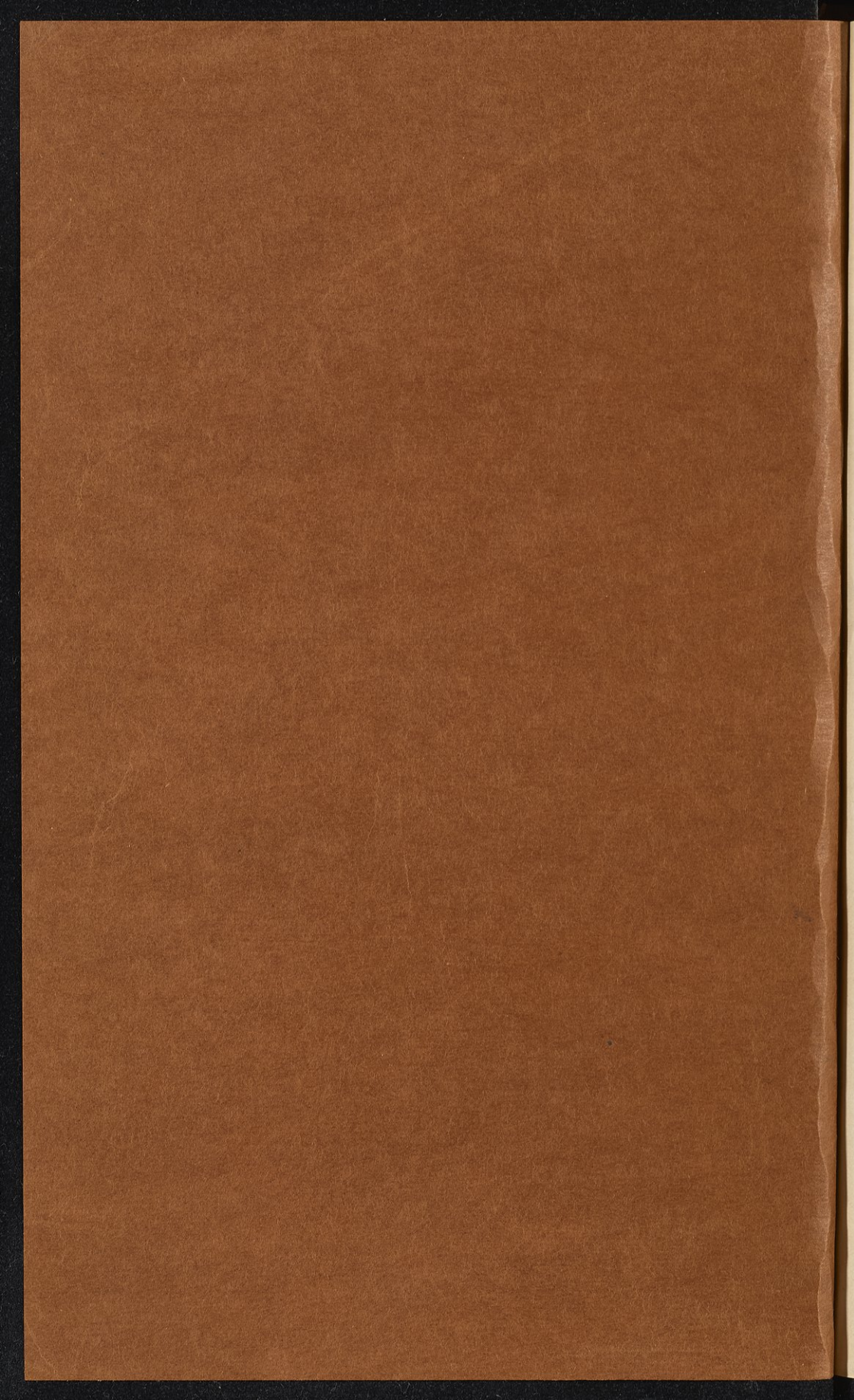
٢١٢ التمثال

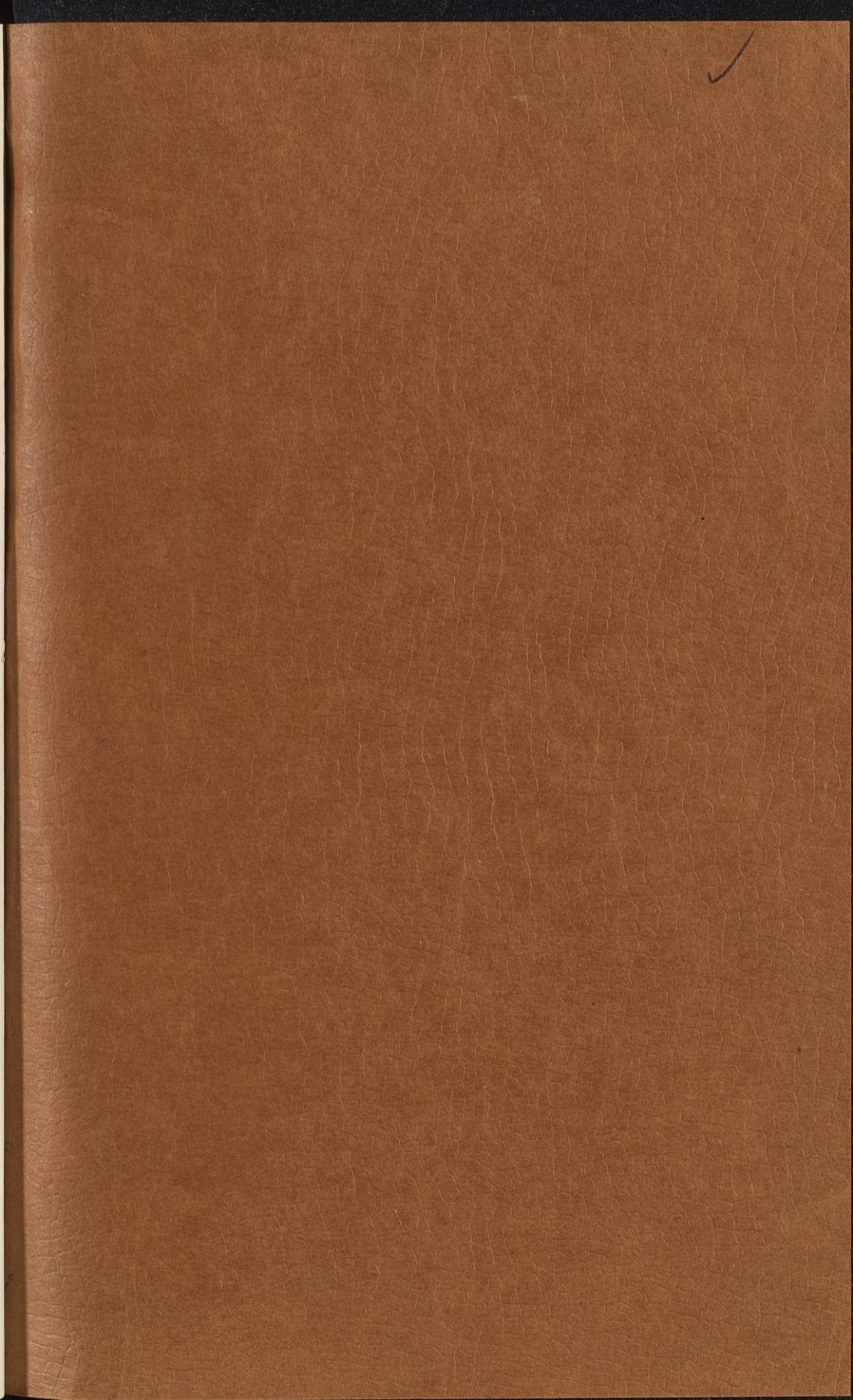
٢١٥ التكية والمشهدان

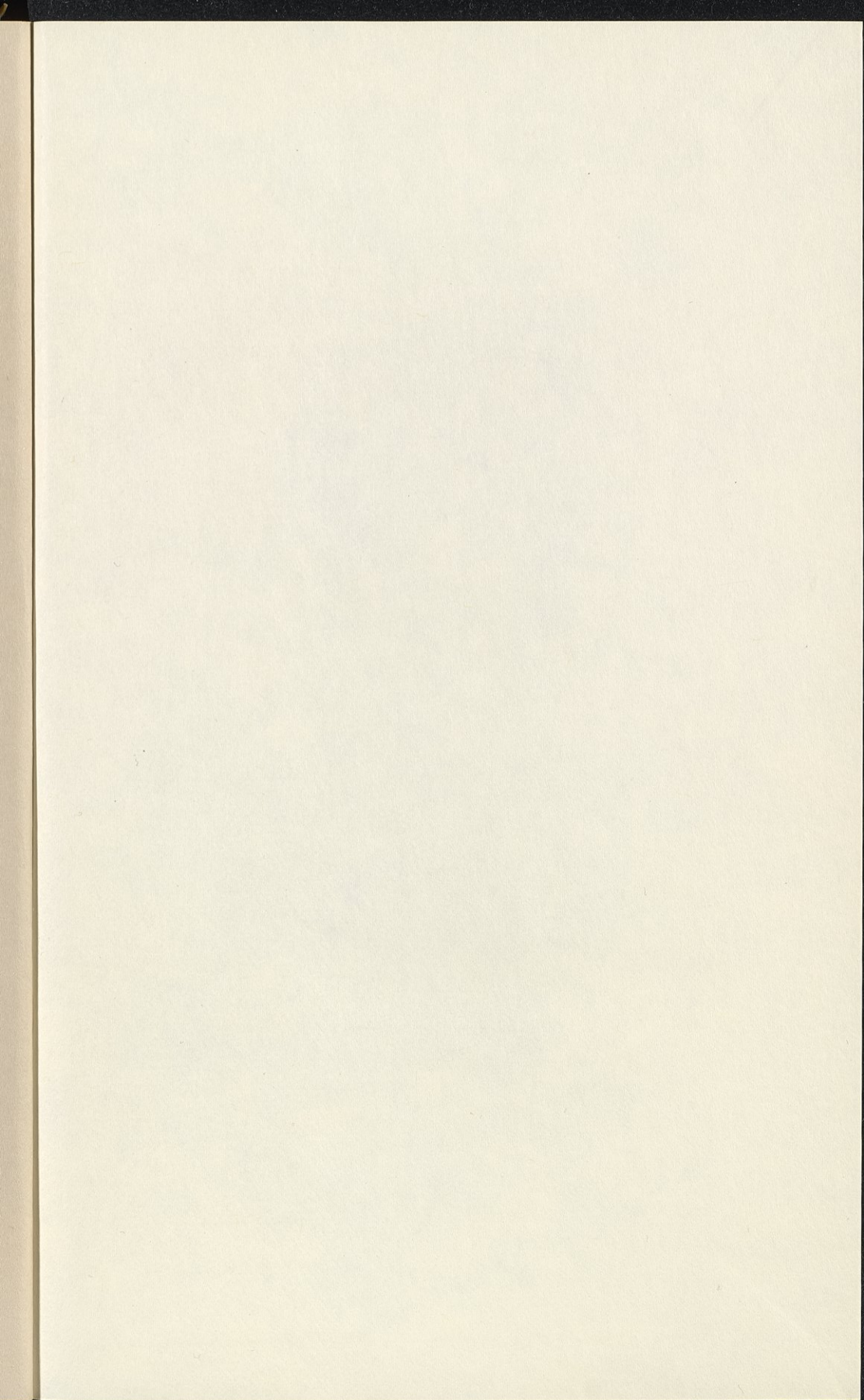
٢١٨ طاشيوز

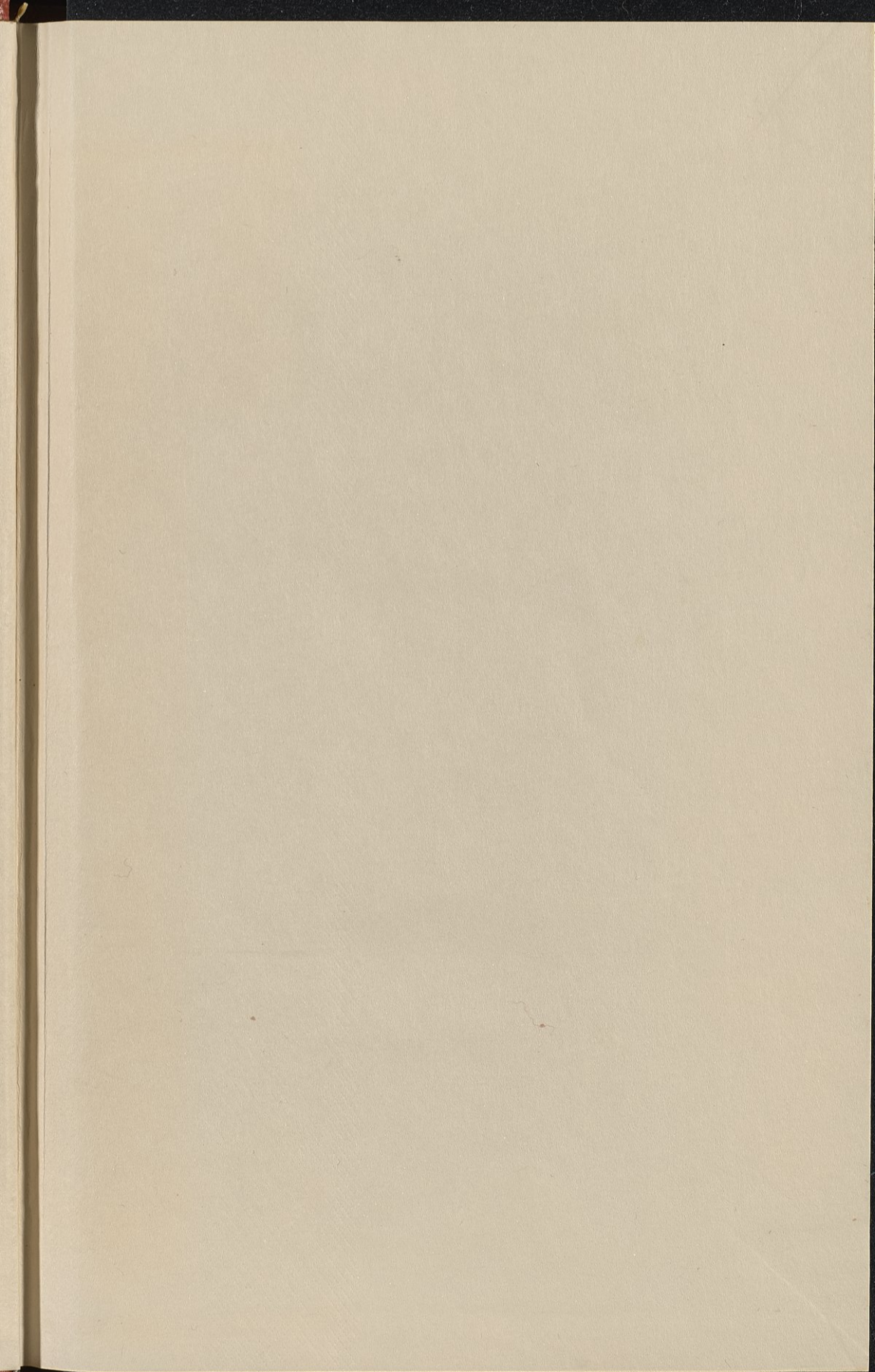
٢٣٤	السائحون منا ومنهم
٢٣٨	كشافة مصر في اليونان
٢٤١	مقام العبرة وكلمة الختام
٢٤٣	بيان
٢٤٤	رسائل سائر
٢٤٦	عيد الجلوس الملوكى
٢٥٠	كلمة الناشر وتقاريف الكتاب

٢١٩	المصرى في اليونان
٢٢١	مصطاف الشرق
	نظرات عامة
٢٢٣	الجو
٢٢٤	الحالة الاجتماعية
٢٢٥	الجو الى
٢٢٦	الزيون
٢٢٧	في الملابس والمطعم
٢٢٩	المسلمون في اليونان
٢٣٠	البلقان الآن
٢٣١	مساجد قواله ومسلموها
٢٣٢	معرض كورنثوس
٢٣٣	دور الجو الى









DS
49.7
.S84

06739180

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU52884163

DS49.7 .S84

Rasail sair min bila

RECAP